

مِنْ أَيْدِي التَّيْبَاتِ

فِي

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ عَثْمَانُ قَدْرِي مَكَانِسِي

دار أبو حمزة

حُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبِيعَةُ الْأُولَى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبير عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرب: ٦٣٦٦/١٤ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الإهداء

هذه الدنيا متاع
من إذا ناديتُ لبّت
بسمه الأُنس لديها
إن أقلُّ «قال الإله»
أسعدتني بالتزام
ترتجي الرضوان صرفاً
فإذا ما ملتُ نسيّاً
نبّهتني باهتمام
فيه أخلاق حسان -
زوجتي هذا كتابي
صغته لله قريبي
لك فيه حُسن رأي
وهو إهداء إليك

خيرها الزوج الوفيّه
تسرع الخطو رضيّه
تجعل النفس هنيّه
أو نبيّ البشرّيّه
فيه إخلاص ونيّه
من هدى ربّ البرّيّه
في الحياة الدّعويّه
- فيه لطف وزويّه
للوصايا النبويّه
فيه أفكار سنيّه
أبتغي الدار العليّه
وانتقادات ذكيّه
فاقبلي مني الهديه

عثمان



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم .
والصلاة والسلام على المعلم الأول، سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام.

أما بعد:

فقد كان كتابي «التربية النبوية» على صغر حجمه ملفتاً للنظر،
استعرضت فيه بعض أساليب الرسول الكريم والمعلم العظيم في إيصال
الفكرة، وإبداء المعلومة واضحة مفهومة، لأصحابه، وتلاميذه رضوان الله
عليهم.

ثم رأيت أن أتم الفائدة في استعراض بعض أساليب القرآن الكريم في
التعلم والتعليم.

ولا يخفى أن القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه، - لأنه كلام الله العظيم ورحله المتين - بحر زاخر ما تزال العلماء
على شواطئه، تحاول الغوص في لججه، وتشتار العلوم والمعارف من
خضمته، وتستقي الفوائد من ثرّه المعطاء.

هذا القرآن الكريم فيه من الأساليب التعليمية ما نحن بحاجة ماسة
إليها.

وكنت قد طالعت عدداً من الكتب التي تتحدث بعامة عن العلم
وفوائده، وتعرف من أساليب القرآن بعضها. لكنني لم أجد - على ما أظن -

كتاباً يتحدث في طرائق التعليم في القرآن الكريم بشكل خاص، بل رأيت شذرات في هذا الكتاب وذاك المؤلف.

فقلتُ لعلي أكون الرائد في هذا المضمار، فأفتح لإخواني المربين طريقاً واضحاً، ثم يكملون بهمتهم رصفه وتعييده.

وكنت أقرأ من صغري كل يوم جزءاً من القرآن، فما عدوتُ هذا، ولكنْ بتُّ أبحث عن أساليب التعليم وطرائقه في كل جزء، وأضع أرقام الآيات التي تشكل حجرات البناء لكل أسلوب مجتمعة.. حتى أنهيت ما فقهته منها في مجموعات تحت عناوين محددة، هي الأساليب التي هداني الله تعالى إليها.

وهكذا وجدت نفسي في رياض بكرٍ، حلوة المذاق، لذيدة الجنى.
وها أنذا أقدم إلى إخواني الكرام طاقة عبقة، وضمة نفاذة الشذا من أساليب القرآن الكريم في التربية.

واني لأتمس منهم أن يقوموا عملي، ويرفدوني بأرائهم الصائبة في سدّ نقص، أو ترميم فكرة، أو وضع لبنة تقوي هذا الصرح التربوي الرائع، فإن أحسنت فلله الفضل والمئة، وإلا فهو حسبي وللمجتهد أجر إن أخطأ وأجران إن أصاب، والله أسأل التوفيق والسداد.

أخوكم عثمان

الثقة بالله واللجوء إليه

هي الإيمان عينه، فمن وثق بالله آمن به، ومن آمن به توكل عليه، ومن توكل عليه نال رضاه، والله المن والفضل وإليه يرجع الحمد، ومنه الخير كله.

ولذلك يبدأ الإنسان صلاته بالفاتحة، ففيها الاعتراف بألوهيته وربوبيته، وفيها الالتجاء إليه وعبادته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ (١)

وهو الذي يعطي ويمنع، ويرفع ويخفض: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مَعَن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

فإذا كان كل شيء بيد الله، فأحرى بنا أن نقصده وحده لا شيء غيره.

ويخبرنا القرآن الكريم أن أنبياء الله جميعاً كانوا خيرة الناس الذين

(١) سورة الفاتحة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

توكلوا على الله في دعوتهم إليه سبحانه، فكان لهم العون ونصرهم على أعدائهم، وأقر أعينهم، وجعلهم قدوة الناس.

فرسول الله ﷺ علمه ربه أن يلجأ إليه ويستعيذ به من شر خلقه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ (١)، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (٢).

وإن حاول الشيطان صرف القلوب عن الحق والذكر، استعاذ المسلم منه بالله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَبْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَجْوً فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ (٣).

وهذا موسى عليه السلام يستعيذ بالله من الكفار المعاندين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ (٤).

ويعيش المسلم هادئ النفس حين يلجأ إلى الله من وسوسات الشياطين وفسادهم: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ (٥).

وهذه مريم العذراء دخل عليها جبريل، فاستعاذت بالله من أمر قد يسئ إليها: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِينَا ﴿١٨﴾﴾ (٦).

ودعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله سبحانه وحده، فأبوا

(١) سورة الفلق.

(٢) سورة الناس.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٧.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٦) سورة مريم، الآية: ١٨.

ذلك، فحَوَّفَهُمْ عَذَابَهُ وَبَطَشَهُ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (١). وقيل: إن جبريل عليه السلام نزل على إبراهيم وقومه يجهزون لإحراقه فقال له: سل حاجتك، قال إبراهيم: أما إليك فلا! وأما إليه سبحانه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي، فجاء الفرج من الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢)، إنها ثقة بالله عظيمة، يحتاج إليها الدعاة إلى الله في مسيرتهم الدعوية ليكون الله عوناً لهم وسنداً، بل إنه عليه السلام يعلنها صراحة معتمداً على الله لاجئاً إليه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُمْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٣) ﴿أَنْتُمْ وَمَا آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٤) ﴿فَأَنهَمُ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٦) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجِيبُنِي﴾ (٩) ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٠).

ولما بشرته الملائكة بإسحاق ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَهُ يُبَشِّرُونِ﴾ (١١) ﴿قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا نَكُنْ مِنَ الْفٰئِطِينَ﴾ (١٢) ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (١٣) ﴿صدق سيدنا إبراهيم، فالمؤمن لا يئس من رحمة ربه أبداً، فهو يثق بنصره وتأييده ما دام معه.

وهذا ابنه إسماعيل عليه السلام مؤمن بالله، راض بقدره، واثق بحكمته، فلما أراد أبوه أن يذبحه ﴿... قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظَرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَبْنَئِي أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٤).

وهذا مؤمن آل فرعون آمن بموسى واجتهد في نصرته، وبذل جهده، وناصره العدا، ومكروا به لكنه لجأ إلى ربه ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٤) سورة الحجر، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

بِالْعِبَادِ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِإِغْلَابِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ (١)

وهذا سيدنا نوح يدعو الناس إلى عبادة الله، ويحثهم على تقوى الله وطاعته، لكنهم أبوا هذا، وكيف يؤمنون وأراذل القوم - حسب اعتقادهم - تبعوا نوحاً؟ فلو طردهم لربما تبعوه!! . ولكنه ﷺ أبى طرد المؤمنين فهده قومه بالرجم، فلجأ إلى ربه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْتَنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ (٢)

وهذا فرعون يستقبل السحرة، ويعدهم بالمال الوافر والمناصب الرفيعة إن هم علواً بسحرهم على موسى، ولكن أتى لسحر البشر أن يغلب أمر الله! فلما لَقَفَتْ عصا موسى سحرهم أيقنوا أنه لم يغلبهم بسحر، فما لأحد بهم من قوة إنما غلبتهم قوة الله التي أيدت موسى ﴿قَالَتِي السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمَآنًا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمَسْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْبُطَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلِبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (٣). فماذا فعل السحرة؟ هل خافوا وعادوا يعتذرون إلى الجبار المتغطرس أو سكتوا مذعورين؟ لا هذا ولا ذلك إنما ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ (٤) هكذا يكون الإيمان، وهكذا تكون الثقة في الله.

وهذا يعقوب عليه السلام لم يصدق أن ابنه الثاني قد سرق على الرغم من الاستشهادات التي قدمها أولاده له، إنما وكل أمره إلى الله تعالى ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ حَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٢﴾﴾ (٥) وجعلته ثقته في الله، ينتظر ظهور يوسف وأخيه.

فلما ابيضت عيناه من الحزن عاتبه أبناؤه على ذلك، أجاوبهم بلهجة

(١) سورة غافر، الآيات: ٤٤، ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧ - ١١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦ - ٤٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٥٠، ٥١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

المؤمن الواثق بربه المتكل عليه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) يَنْبِئُ أَذْهَبُوا فَحَسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا
تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (١)
فكان ما قاله حكمة تنير الدرب للسالكين. . إنه لا يئس من روح الله إلا
القوم الكافرون؛ !! .

فالثقة بالله، واللجوء إليه سبيل المؤمنين، وزاد المتقين، وأمان
الخائفين، وأمل العاملين نسأل الله تعالى أن نكون منهم.



(١) سورة يوسف، الآيتان: ٨٦، ٨٧.

التعظيم

خلق الإنسان ضعيفاً، إذا عطش وجاع بدا الإرهاق عليه، وإذا مرض
آن وشكا، وإذا أصيب جزع وخاف، وإذا فقد عزيزاً بكى وتألّم.

ولا يشعر الضعيف بالأمان إلا حين يلجأ للقوي. وهل القوي سوى
الله؟! وهل يحس بالراحة من خلق من نطفة، ثم علقه إلا إذا استند إلى
ركن ركين، وعز منيع، هو الله تعالى؟!.

ولا عظيم سوى الله، ولا عظيم إلا من عظمه الله.

والله سبحانه وتعالى ينبهنا في كل سورة وآية إلى عظمته في نفسه،
وإلى عظمته في صفاته، وإلى عظمته في بديع صنعه وخلقته، وإلى عظمته
في وحدانيته، وإلى عظمته في قدرته.

والقرآن الكريم كتاب الله يسطر عظمة الله في السطور، لينتقل أثرها
إلى الصدور والعقول والقلوب الحية، فتعيش في كنفه سبحانه مؤمنة به
منتمة إليه متوكله عليه مسلمة قيادها له، فإذا بها في الخالدين.

فالله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٣﴾ (١)

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ

(١) سورة الحديد، الآية: ٣

الْجَبَّارِ الْمُنَكَّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (١).

إنه إله عظيم ينبغي توحيده والاعتماد عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ
الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (٢).

وهو الكامل كمالاً مطلقاً، لا تشوبه شائبة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (٣).

منه العلم، وإليه العلم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٩﴾﴾ (٤).

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ أَلْبَانَ ﴿٤﴾﴾ (٥).

هو القيوم مالك كل شيء، والمتصرف في كل شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي
بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ (٦).

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (٧).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ (٨).

وفي القرآن الكريم أربع عشرة سجدة، كان رسول الله ﷺ يسجد
حين يقرأ آياتها تعظيماً لله سبحانه وتعالى، وإقراراً بربوبيته وألوهيته، مثالها

(١) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الصفات، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٦) سورة الملك، الآية: ١.

(٧) سورة يس، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٨) سورة التوبة، الآية: ١١٦.

في سورة النحل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيَنَاطُ ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (١)

وفي سورة السجدة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ (٢)

وفي سورة الإسراء: ﴿قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا يَأْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾﴾ (٣)

وفي سورة الروم أمثلة كثيرة وافية شافية على عظيم قدرته سبحانه: ﴿فِي يَضْعُجِ سِينِكَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (٤)، ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُسُكُوعٍ وَحِينَ نُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ (٥)

وانظر معي بتدبر وتفكر إلى عظمة الله في أفعاله:

١ - فالله سبحانه خلقنا من تراب ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٨ - ٥٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ - ١٠٩.

(٤) سورة الروم، الآيات: ٤ - ٦.

(٥) سورة الروم، الآيات: ١٧ - ١٩.

٢ - وَرَزَقْنَا زَوْجَاتٍ وَأَلْفَ بَيْنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ .

٣ - وَكَانَتِ السَّمَاءُ لَنَا غِطَاءً، وَالْأَرْضُ فِرَاشًا، وَخَالَفَ بَيْنَ أَلْوَانِنَا وَالسَّمْتِنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ .

٤ - وَفَضَلَ اللهُ عَلَيْنَا كَذَلِكَ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِنَرْتَاحَ فِي سَكُونِ اللَّيْلِ، وَنَعْمَلَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ .

٥ - وَمَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ دَالَّةً عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْفَائِدَةِ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ .

٦ - وَأَخِيرًا فَإِلَيْهِ سَبْحَانَهُ مَرَجَعُنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَلٌّ لَكُمْ فَلَنْتُونَهُ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ (١) .

والله سبحانه وتعالى أصل الحياة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢)، ولا حياة بغيره سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (٣) .

ولذلك قرر سبحانه أنه المعبود، لا رب سواه ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٤) .

(١) سورة الروم، الآيات: ٢٠ - ٢٧ .

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥ .

(٣) سورة يونس، الآية: ٥ .

(٤) سورة طه، الآية: ١٤ .

وكلما كان الإنسان قريباً إلى الله، داعياً إليه، عاملاً بأمره، منتهياً عما نهى عنه استمد من عظمة الله عظمة.

فهؤلاء الأنبياء اصطفاهم، فكرمهم ورفع مقاماتهم، لأنهم كانوا أمثلة رائعة للعباد المؤمنين العاملين، فخلد ذكرهم في الدنيا والآخرة.

فمن تعظيم رسول الله ﷺ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ نَبِيِّهَا أَلَيْسَ ءَأَمْتُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿١﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿٢﴾.

﴿إِن نُّوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِن تَظْهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (١) ﴿٣﴾.

ومن تعظيم الأنبياء الكرام قوله سبحانه يمدحهم في سورة الصافات:
﴿سَلِّمُ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٦) ﴿٤﴾، ﴿سَلِّمُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١١٩) ﴿٥﴾، ﴿سَلِّمُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١٢٠) ﴿٦﴾، ﴿سَلِّمُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٢٥) ﴿٧﴾، ﴿وَسَلِّمُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿٨﴾. ﴿٤﴾.

وكتاب الله الكريم كلام الله سبحانه، أنزله ليكون نبياً يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم: ﴿الْعَرَبُ﴾ (١) ﴿٩﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴿٥﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ﴿٦﴾. ﴿٦﴾.

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزَّلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) ﴿٧﴾. ﴿٧﴾.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) الآيات: ٧٩ - ١٠٩ - ١٢٠ - ١٣٠ - ١٨١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٧) سورة فصلت، الآيات: ١ - ٣.

وما أعجب هذا التعظيم الذي يجعل القرآن الكريم ذا منزلة عالية . .

فهو:

١ - لو كان كتاب من الكتب المنزلة سِرت بتلاوته الجبال، وزعزعت عن أماكنها؛ لكان هذا القرآن .

٢ - ولو كان كتاب من الكتب المنزلة شُققت به الأرض، حتى تتصدع وتصير قطعاً، لكان هذا القرآن .

٣ - ولو كان كتاب من الكتب المنزلة كُلم به الموتى، فأحيها الله وأجاب، لكان هذا القرآن .

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ
الْمَوْتُ﴾^(١) .

وهذا القرآن كلام الله تعالى، لم يفتره رسول الله عليه، وحاشاه ﷺ أن يكون مفترياً، بل هو الصادق الأمين: ﴿الْمَرْ ١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرِيقُهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾^(٢) .



(١) سورة الرعد، الآية: ٣١ .

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١ - ٣ .

ذكر الصالحين

إن الأذن لترتاح لسماع أخبارهم، وإن النفس لتتشوق إلى تعرّف أحوالهم ومتابعة أفعالهم، فهم القدوة والمثل، والراغب في الكمال يتأساهم ويتحسس خطاهم.

وقد كان القرآن الكريم يقصُّ علينا أخبار الأنبياء الكرام، فنحسُّ بالقمم الإنسانية الشامخة ترنو إلينا، فتستنهض هممنا.

ويقصُّ علينا أخبار الصالحين من غير الأنبياء، الذين كان لهم الدور الكبير في نشر كلمة لا إله إلا الله، وإعلائها، وتحمُّل الأذى، والصبر عليه. ولسنا هنا في صدد سرد المواقف كلها، لكننا نعرضُ بُدأً لدور هؤلاء العظماء في خدمة الدين، ورفع شأنه.

١ - الأنبياء:

سيدنا نوح عليه السلام: ذلك النبي العظيم، من أولي العزم، الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، ثم كانت قصة الطوفان الذي قضى على الكفار بعد ذلك، ونصر الله به نوحاً وأتباعه.

وهناك ما لا يقل عن إحدى وعشرين سورة ذكرت فيها قصته، ذكر فيها وحده لبيان فضله، أو ذكر مع إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً.

وفي الجزء التاسع والعشرين سورة كاملة باسمه عليه السلام، أما قصة

الطوفان فقد صورت تصويراً رائعاً في سورة هود الآيات [٢٥ - ٤٩].

سيدنا هود عليه السلام: ذلك النبي الكريم الذي أرسل إلى قوم عاد، فكفروا، وكانوا عمالقة متجبرين، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، فحصدتهم وأبادتهم.

وهناك حوالي سبع عشرة سورة ذكرت فيها قصته عليه السلام مع قومه، توضح عنادهم واستكبارهم وفسادهم، التي أدت إلى هلاكهم ونجاة النبي وأتباعه.

سيدنا صالح عليه السلام: النبي الكريم الذي أرسل إلى قومه ثمود بعد إهلاك عاد قوم هود، فدعاهم إلى التوحيد، فلما استكبروا وقتلوا الناقة أهلكهم الله بالصيحة، فما أبقى منهم أحداً، وقد ذكرت قصته عليه السلام في أكثر من عشرين سورة في القرآن الكريم، لتكون وقصة أخيه هود مع أقوامها عبرة للدعاة من جهة، والمعاندين المستكبرين من جهة أخرى.

سيدنا إبراهيم خليل الله: هو أبو الأنبياء عليه السلام ذكرت قصته في خمس وعشرين سورة على الأقل، تتحدث عن جهاده في سبيل الله وقوة إيمانه، وفضل الله عليه في اطلاعه على ملكوت السموات والأرض، وحججه الدامغة في مناظراته الكافرين وقوة إيمانه، وسمو مكانته، ويكفيه فخراً أن الله سبحانه وتعالى اتخذه خليلاً، وجعله أمة وحده، وهو الذي بنى الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ورزقه الله إسحاق ويشره بحفيده يعقوب لأنه صدق الرؤيا ونفذها.

سيدنا موسى عليه السلام: ذلك النبي العظيم من أولي العزم الذي أرسله الله إلى قومه اليهود، فابتلي بهم، وتحمل منهم الأذى والمكاييد والعناد، وأنقذهم من فرعون الذي استضعفهم وسخرهم، فكانت نجاتهم على يد النبي العظيم موسى عليه السلام.

وقد حفل القرآن بقصته مع قومه، وهناك ما لا يقل عن ثلاث وثلاثين سورة توضح جوانب من دعوته، وتحمّله سوء أخلاق قومه وفسادهم، وتكاد

السور الكبيرة الحجم والوسطى لا تخلو من مواقف لقومه، يوبخهم الله تعالى على ما اقترفت أيديهم وألسنتهم.

سيدنا عيسى عليه السلام: ذلك النبي الشاب من أولي العزم الذي بعث إلى اليهود، فحاولوا قتله، فنجاه الله منهم، وامتحنت فيه الخلائق حين ولد دون أب، فجعلوه ابن الله سبحانه تارة، وجعلوه الله ذاته - والعياذ بالله - وألوه وأمه تارة أخرى، وهو إحدى علائم الساعة، ينزل فيكسر الصليان، ويقاتل الكفار، ويدعو إلى التوحيد.

ذكرت قصته في أكثر من اثنتي عشرة سورة توضح ما لقيه من ظلم اليهود ومكرهم.

سيدنا يوسف عليه السلام: النبي الكريم ابن الكريم (يعقوب) ابن الكريم (إسحاق) ابن الكريم (إبراهيم) عليهم السلام.

وقد ذكر في سورة الأنعام، وسورة غافر إلا أن له سورة سميت باسمه في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر، تقص علينا مراحل حياته وما عاناه، لتكون تشبيهاً لفؤاد النبي ﷺ، وكان عليه السلام مثالاً للأخلاق والإيمان والذكاء.. بل قل مثالاً للإنسان المعصوم، الذي رباه الله تعالى على عينه.

وهناك قصص الأنبياء العظام: إسماعيل ويونس، وذو الكفل، وزكريا، ويحيى وإسحاق ويعقوب وهارون، وشعيب وآدم وداوود وسليمان... وكثيرين غيرهم عليهم صلوات الله وسلامه، تتحدث عن فضلهم، وعلو كعبهم في خدمة الدين..

٢ - الصالحون:

لقمان الحكيم الذي شكر لله فاتاه الله الحكمة فكان داعية إلى الله، يعظ الناس، ويدلهم إلى الصراط المستقيم، وقد أفرده الله تعالى سورة في الجزء الحادي والعشرين، سماها باسمه «سورة لقمان» فيها من المواعظ التي جرت على لسانه ما يشي بعظمته، وسمو مكانته.

الخضر عليه السلام: صاحب موسى الذي آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً، وقصته في سورة الكهف منبئة عن علمه وفضله. الآيات [٦٠ - ٨٢].

ذو القرنين: الذي مكن الله تعالى له في الأرض، غربها وشرقها، فنشر الإسلام، وقاتل الكفار، وبنى سدّ يأجوج ومأجوج، وقصته في سورة الكهف الآيات [٨٣ - ٩٨].

مؤمن يس: حين أرسل الله تعالى ثلاثة من الأنبياء إلى إحدى المدن، يدعون أهلها إلى الإيمان، فكذبوهم، فجاء «حبيب النجار» يسعى إلى جمعهم مؤيداً هؤلاء الأنبياء الكرام، فما كان من المجرمين إلا أن قتلوه، فدخل الجنة معزراً مكرماً، وقصته في سورة يس الآيات [٢٠ - ٢٧].

مؤمن فرعون: الذي آمن بموسى واتبعه دون خوف من فرعون وملئه، ودعا الناس إلى الإيمان بالله تعالى واتباع موسى، فهو سبيل الرشاد، وخوفهم من عذاب الله ومصير الأمم السالفة، وموقفه في سورة غافر الآيات [٢٨ - ٤٤].

- وهناك قصص عديدة لهؤلاء الصالحات:

منهنّ السيدة مريم العذراء، وقصتها في سورة آل عمران الآيات [٣٥ - ٣٧]، وفي سورة مريم، حين ولدت عيسى عليه السلام، الآيات [١٦ - ٣٢]، وسورة التحريم.

ومنهنّ آسية، زوجة فرعون، التي طلبت من فرعون حين التقطت موسى عليه السلام من النهر أن يبقي عليه، وعرضت عليه المراضع. . . وحين رأت من زوجها الاستكبار والكفر، سألت الله تعالى أن ينقذها منه. . . وقصتها في سورة التحريم (آخرها).

ومنهنّ أم موسى، تلك المرأة المؤمنة، التي أوحى إليها الله تعالى أن تضع ابنها في النهر، إن خافت عليه جنود فرعون، ووعدّها أنه سبحانه سيعيده إليها، ففعلت مؤمنة مطمئنة، وحرّم الله المراضع على موسى، وكانت أخته تتبعه، وتتقضى موضوعه، فدلتهم على أمّه ترضعه، فعاد إليها، ونعم بدفء حنانها. وقصتها في سورة القصص الآيات [٧ - ١٣].

تلك أخبار الصالحين وقصصهم، تتقبلها النفس تقبل العطشان للماء
البارد فتنتعش نفسه، وتستروح لها، وتستمد من نسماتها الإيمان واليقين
والصبر والمصابرة، وتعيش في أجوائها ذات اليمن والبركات.

اللهم إنا نحب أنبياءك وأوليائك، فاحشرنا معهم تحت لواء سيد
المرسلين، اللهم آمين.



التذكير بفضل الله تعالى

قد يقسو القلب، فينأى بصاحبه عن طريق الحق، ويعدل به عن الصراط السوي، وقد يتمرّد فيصعب قياده، وقد ينسى إنعام المنعمين، وفضل المتفضلين، فلا يرى لأحدٍ فضلاً عليه. فإذا ما ذكرت له الأيادي البيضاء التي تلقفته في محنته، والقلوب الصافية التي حثت عليه لان - إن كانت فيه بقية من صلاح - وهدأت نفسه، وأنست إلى التزام الحق والتمسك به..

هذا إن كان صالحاً، أما إن لم يكن كذلك، وتمادى في غيّه، وركب رأسه، فقد أقمت عليه الحجة إن أردت معاقبته، وأعدّرت فيه إن أردت فضحه وإظهاره على حقيقته، كي يرعوي إن ارعوى، أو يحذر منه الناس ويتجنبوه.

وفي القرآن الكريم الكثير الكثير من الآيات التي تذكر الإنسان بفضل الله وكرمه، علّه يستقيم ويتذكر.. إن نفعت الذكرى...

فمن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة مخاطباً اليهود:

﴿وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَلَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمَّيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا آلَ الْبَيْتِ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا لِي مَا كُنْتُ بِلَهُمْ بِشِيرًا وَلَا أُنِذِرُهُمْ بِسَخِرٍ مِمَّنْ يَنْقُلُ الْجِبَالَ إِنَّكُمْ عَلَىٰ عُنُقٍ مِّنْ عِزٍّ وَإِنِّي خَشِيْتُمُ الْمَوْتَ الْمُنِجِيًّا ﴿٥٤﴾

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾

ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٦﴾

وَعَلَّمْنَاكَ عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الْعِقَابَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَٰتِ كَلِمَاتٍ مِّنْ طِبِّتٍ مَا
رَزَقْتَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿الآيات [٤٩ - ٥٧].

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
أَنْتَنَا عَشْرًا عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الآية [٦٠].

ويقول سبحانه مخاطباً المسلمين في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ يَبْدِرُ وَأَنْتُمْ أَدْلَىٰ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا النُّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ ﴿الآيات [١٢٣ - ١٢٦].

وفي سورة آل عمران كذلك نرى فضل الله على المسلمين في غزوة
أحد، في الآيتين [١٥٢ - ١٥٣].

ونرى من نعم الله على المؤمنين قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ
أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (١)

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَلْوَاهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَوْ يَكُنُ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ (٣).

وقوله تعالى، يذكر فضله على المسلمين في غزوة بدر، في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمٌ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾﴾

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾
الآيات [٩ - ١١].

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾
وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ
وَلَنَكِيدَنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ الآيات [٦٢ - ٦٣].

وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلَّا لَتَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَالِثًا إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٠، ١١.

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْنَا وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٤﴾ الآية [٤٠].

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ
لَهُمُ الْغَيَرَاتُ وَأُولِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
الآيات [٨٨ - ٨٩].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الآية [١٠٠].

﴿وَالْآخِرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ الآية [١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَأَطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (١).

وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِبَلْعِيهِ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِنْسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ الآيات
[٥ - ٨].

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الآية [١٤].

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ الآية [١٨].

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ الآية [٦٦].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الآية [٧٠].

وقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ لِنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَاءً كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ الآياتان [٤٨ - ٤٩].

وقوله تعالى في سورة العنكبوت، يذكر فضله على أهل مكة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا عَامِنًا وَبُخْطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ؟﴾ الآية [٦٧].

وقوله تعالى في سورة لقمان يذكر نعمه الوافرة على عباده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نِعْمَةٍ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الآية [٢٠].

وقوله سبحانه في سورة الأحزاب، يذكر فضله على المؤمنين في غزوة الخندق، وغزوة بني قريظة: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسُرُوا فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَدَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ الآيات [٢٥ - ٢٧].

وقوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ

عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَ بَلَدَهُ طَبَعَهُ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
الآية [١٥].

ويقول الله تعالى في سورة الجمعة، يَمُنُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِرْسَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، يَهْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾. الآية [٢].

إن الحرَّ حين يرى فضل الله عليه يقرُّ به، ويعترف، ويعاهد الله تعالى أن يكون له عبداً شكوراً.. «اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين».



الأسوة الحسنة

والأسوة: القدوة والمثل، وتأسى به: احتذاه، وسار على هداه، واقتدى به.

وأسوة المسلم رسول الله ﷺ، والأنبياء الكرام الذين دعوا إلى الله سبحانه، ودلوا البشرية إلى الطريق القويم.

وحين زلَّ آدم، فأمر الله تعالى بإنزاله إلى الأرض، وتاب عليه حدَّد له ولذريته ما يتبعون فقال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (١).

١ - وقد أمرنا الله تعالى أن يكون رسول الله ﷺ قدوتنا، وأمر رسوله الكريم - ونحن من بعده - أن نتخذ من الأنبياء الكرام خير أسوة وأفضل قدوة، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (٢) فهدفنا اليوم الآخر الذي نربح فيه رضا الله والجنة.

وقال سبحانه آمراً بالاتباع، ومبيناً السبب: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

يَاللَّهِ وَحَدَّثَهُ... ﴿١﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ ﴿٢﴾

ولنا قدوة في داود: ﴿أَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرَ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِيِّ إِنَّهُ
أَوَّابٌ ﴿١٧﴾...﴾ ﴿٣﴾

ولنا قدوة في ابنه سليمان: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ
أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾...﴾ ﴿٤﴾

ولنا قدوة أيضاً في أيوب: ﴿وَأَذْكُرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾...﴾ ﴿٥﴾

ولنا قدوة في إبراهيم عليه السلام، وأبنائه الكرام: ﴿وَأَذْكُرَ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِيِّ وَالْأَنْبَصَرِ ﴿٤٥﴾...﴾ ﴿٦﴾

- لماذا يا رب؟

- إن فيهم خصلة زادت على غيرهم من أمثالهم.

- فما هي؟

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿٧﴾

﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿٨﴾
ويحشد الله سبحانه وتعالى أسماء ثمانية عشر نبياً، مادحاً إياهم بالهدى

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

(٣) سورة ص، الآية: ١٧.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٠.

(٥) سورة ص، الآية: ٤١.

(٦) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٧) سورة ص، الآيتان: ٤٦، ٤٧.

(٨) سورة ص، الآية: ٤٨.

والرشاد أمراً المسلمين بإتباع هداهم: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

وَمِن آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدَةٌ ﴿٩٠﴾ (١)

٢ - وقد أمر الله سبحانه نبيه الكريم أن يصدع بدعوة الحق، داعياً إلى التزامها بوعي وفهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ (٢).

- وهذه الدعوة القويمة ليس فيها اعوجاج، ولا ميلان عن الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٣).

- وهي سبيل الصالحين السادة الأعلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَن نَّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ...﴾ (٤).

- ومن سلكها لم يكن للشيطان سبيل عليه ولا سلطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ - ٩٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

- وفيها التمايز عن المشركين: ﴿يَأْتِيهَا النَّوِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (٢).

﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٣).

٣ - ولا ينبغي اتباع أحد إلا للوصول معه إلى طريق مستقيم، فيه هدى.

- فهذا سيدنا موسى يقول للرجل الصالح: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِي
مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٤). وقد نهى القرآن عن إتباع أهل الغي والفساد
نهياً شديداً، فاتباعهم يؤدي إلى المهالك في الدنيا والآخرة.

- إنهم ضالون، فهل يقودون من تبعهم إلا إلى الضلال!! ﴿وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (٥).

- قلوبهم غافلة لاهية، وهم أصحاب هوى، لا خير فيهم ﴿وَلَا تُطِيعُ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٦).

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (٧).

- أصحاب فتنة، والمفتون لا يهدي بل يضل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٨).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٩).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٧) سورة طه، الآية: ١٦.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

٤ - ومن اقتدى بالأنبياء وسار على دربهم نجا، ونجح .

- فمن تبع رسول الله ﷺ كان مفلحاً ﴿... فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) .

- وأتباع عيسى عليه السلام، الحواريون، ومن سار على دربهم قبل بعثة النبي ﷺ جعلهم الله منتصرين على الكفار أبداً ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) .

- وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يحدد هوية من آمن به ﴿فَمَنْ يَتَّبِعِ فَإِنَّهُ مِنِّي...﴾^(٣) .

- ولسان حال كل نبي كريم يقول: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدَّثَى﴾^(٤) .

- والله سبحانه وتعالى يُجمل المعنى قائلاً: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٥) .

٥ - أما من حاد عن الصراط السوي فهو ضال تائه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ؟﴾^(٦) .

- خاسر لأنه اتبع هواه، وحاد على طريق الحق ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾^(٧) ﴿١٦﴾ .

- يحيا حياة متعبة، لا راحة فيها، ويحشر أعمى يوم القيامة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦ .

(٤) سورة طه، الآية: ٤٧ .

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٣ .

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٠ .

(٧) سورة طه، الآية: ١٦ .

﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
ءَابَتُنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ ﴿١﴾

- هم أولياء الشيطان، غاؤون ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا
مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٢﴾

- أما الجبابرة المتكبرون في الدنيا، فإنهم في الآخرة يتبرأون من
أتباعهم وأعاونهم حين يرون العذاب، ويتمنى التابعون أن يعودوا
إلى الدنيا ليتبرأوا من الطغاة، الذين كانوا لهم أدوات التنفيذ
الفاسدة، يعملون لهم دون تفكير وتمحيص ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَّةً فَسَتَبَرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴿٣﴾

- والإنسان العاقل لا يقتدي إلا بمن ينفعه في الدنيا والآخرة، ويأخذ
بيده إلى دروب النجاة والسلامة..... إنه يقتدي بالهادين
المهدين، بالأنبياء المرشدين، وأتباعهم الصالحين.



(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٦٦، ١٦٧.

الصحبة الحسنة

الصاحب - كما يقولون - صاحب .

قل لي مَنْ تصاحب أقل لك من أنت . . مقولة مشهورة أثبتت الأيام صدقها، وقد جاء في الأثر: «المؤمن مرآة أخيه المؤمن» .

وقديماً قالوا: «صاحب السعيد تسعد، وصاحب الشقي تشق» .

ويؤكد هذا القول ويعضده قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَشْفُقُ الْمَنَاءَ بِالنَّمِيمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَا بُولَاقِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾^(١) .

فقد دعا عقبة بن أبي معيط جيرانه إلى وليمة، وكان رسول الله ﷺ من بينهم، فأبى قبولها إلا أن يشهد عقبة شهادة الإسلام، ففعل، فأجاب رسول الله دعوته . . وفي اليوم التالي سمع أبي بن خلف بما فعل عقبة - وكان صاحبه - فجاءه يلومه، ويقول له: وجهي من وجهك حرام إلا أن تكفر بمحمد، فقال له عقبة: ما قلت ما قلت إلا ليقبل دعوتي، ولست بصابئ، فقال له: وتذهب إليه فتشتمه وتبصق في وجهه الكريم . . .

ذهب ذلك المشؤوم، وأسمع رسول الله ﷺ هُجر القول وسفيهه، ثم

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٥ - ٢٩ .

لما بصق ارتدَّ البصاق إلى وجهه، فأحرقه.. ثم إن رسول الله ﷺ أسر عقبة يوم بدر، وأمر بقطع عنقه، فبترها علي رضي الله عنه قبل العودة إلى المدينة المنورة.

هذان الكافران عقبة وأبي يندم كلُّ منهما على مصاحبة الآخر يوم القيامة، ولات ساعة مندم.. وفيهما نزلت هذه الآيات، تحذر من اتخاذ الأوصحاب الفاسدين.

هؤلاء الأوصحاب الذين يلزم بعضهم بعضاً في الدنيا، ويؤازر كل منهم صاحبه في شهواته، وملذاته، وفساده، يتعادون حين تأتي الساعة، ويتبرأ كل منهم من صاحبه، إلا الصحبة في الله، والأخوة في الدين.

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (١).

وما أضلَّ مَنْ يصاحب من لا دين له، ولا خلاق، يأمر صاحبه بالخنا والفجور، وينهاه عن التقوى، ويكذب بالدين ويكفر بالله، ويطغى حين يصير غنياً ناسياً أن مرجعه إلى الله وأنه محاسب بين يديه.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ إِنَّ زَاةَ أُنثَىٰ كَتَمَتْ ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ الْوَجْدُ ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّى ﴿٤﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٥﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿٦﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿٧﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ (٢).

ويخاطب الله سبحانه نبيه الكريم ﷺ - ونحن من ورائه - أمراً أن نتبع هذه الشريعة الغراء، التي أنزلها على نبيه الكريم، وأن ننأى بأنفسنا عن الأهواء، وأهل البدع والفساد، فأهل الهوى لا يعلمون حقيقة الحياة، ويقودون من تبعهم إلى الهلاك والشبور، وحين تحقق الحقيقة يتبرأون ممن تبعهم ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمْ ﴾

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٢) سورة العلق، الآيات: ٦ - ١٤.

الْأَسْبَابِ ﴿١٦٦﴾^(١). ويتبرأ التابعون بدورهم من السادة أهل الأهواء دون أن يفيد البراء الطرفين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَمَا كَفَرْنَا بِكَ إِنَّا نَحْنُ الْغَائِبُونَ﴾ كَذَلِكَ يُرِيدُهُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾^(٢).

نعم وحين تحقق الحقيقة لن يغنوا عمّن تبعهم شيئاً. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾^(٣).

ولكن أي ولاء يثبت في الآخرة.. إنه ولاء صاحب الآخرة، وخالق الدنيا والآخرة.. الله وليّ الذين آمنوا.

كما أن الصحبة والولاء للذين آمنوا بالله ورسوله، أما من غضب الله عليهم لكفرهم بالله واليوم الآخر فلا ينبغي لنا صحبتهم، ولا موالاتهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٤﴾﴾^(٤).

وقد قصّ الله - تعالى - علينا قصة ذلك الرجل المؤمن، الذي دخل الجنة، فجلس مع إخوانه يأنسون، ويطيرون، ويتجاذبون أطراف الحديث، ثم تحدثوا عن الدنيا وما جرى لهم، فيها يتذاكرون نعيمهم، وحال الدنيا، وثمره الإيمان. فقال الرجل: لقد كان لي جليس في الدنيا، ينكر البعث والجزاء، ويتندر قائلاً: أتصدق أننا إذا متنا، وأصبحنا ذرات من التراب، وعظاماً نخرة أننا محاسبون ومجزيون بأعمالنا، ما الذي جرى له أيها الأصحاب؟ تعالوا نطلع إلى النار، لنرى حال ذلك الجليس، فنظر أصحابه إلى ذلك الرجل، فأبصره يتلظى بنار جهنم، ويُسوي بسعيرها، فخاطبه المؤمن شامتاً وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٣) سورة الجاثية، الآيات: ١٨، ١٩.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

ولولا فضل الله عليّ بثبتي على الإيمان لكنت معك في نار جهنم،
أكوى بنارها. ثم خاطبه مستهزئاً ساخراً به كما كان ذاك الفاجر يسخر
بالمؤمن في الدنيا: ألا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتنا
الأولى، وأن لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟! ثم التفت إلى
أصحابه وقال: الحمد لله الذي تفضل علينا، فأدخلنا نعيم الجنة. وهذا هو
النجاح والفلاح الأبديان. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ
مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوَإِنَّا مِنَّا وَكُنَّا قُرَابًا
وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَعِدُونَ ﴿٥٣﴾

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظْلِمُونَ ﴿٥٤﴾

فَأَطَّلَعَ فِرْعَاوُنُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتَرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ ﴿٥٧﴾
أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوَئِنَّا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾

إِنَّ هَذَا لَهُ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

لِيُمِثِلَ هَذَا فَلَئِمَّ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾ (١)

قال المفسرون: أشارت هذه الآيات الكريمة إلى قصة شريكين، كان
لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله، ويقصر في التجارة والنظر
إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلاً على تكثير ماله، فانفصل عن شريكه
لتقصيره، وكان كلما اشترى داراً أو جارية أو بستاناً أو نحو ذلك عرضه
على المؤمن، وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذ سمع ذلك يتصدق
بنحو من ذلك ليشتري له به قصراً في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال: ما
صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله، فكان يسخر منه، ويقول: إنك لمن
المصدقين؟! فكان أمرهما ما قص الله علينا في كتابه العزيز.



القول الحسن

ماذا يفعل القول الحسن بمن يسمعه أو يُوجّه إليه؟.

ما موقفك حين ترى مَنْ يقول هجراً؟ ومَنْ يغلظ في حديثه؟.

كيف تنظر إلى من يتلطف في القول، ولا يُسمعك إلا ما تحب وتأنس إليه؟.

إن الكلام الطيب كماء نزل من السماء على أرض عطشى، فأنبت الله به زرعاً وثمرأ، وجعلها فتنه للناظرين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾﴾^(١) فهي تفعل فعل السحر في السامع، وتأخذ بمجامع قلبه، فيفتح إليك، ويأنس بك.

أما الداعية فيعمل، ليصل كلامه إلى أعماق الناس، بما أمر الله من قول حسن ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢)، وترتاح قلوب الناس وعقولهم للكلام الطيب، كما يرتاحون للفاكهة الطيبة الحلوة، فيستمعون بأطياب الكلام، كما يتلذذون بأطياب الطعام.

والله أمر الدعاة أن يقولوا في محاوراتهم، ومخاطباتهم، الكلمة الطيبة، ويختاروا من الكلام اللطيف وأحسنه، وينطقوا دائماً بالحسن، فالكلمة الخشنة

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

سلاح الشيطان، يُسَعَّرُ بِهَا نَارَ الْفِتْنَةِ، وَيُوجِّعُهَا ﴿وَقُلْ لِمَا بَدَى يَقُولُوا أَلَيْسَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣) (١).

ويأمر الله سبحانه وتعالى الداعية، باللطف، واتخاذ الأسلوب المناسب، لاجتذاب السامعين فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) (٢).

وإذا جادلتهم أهل الكتاب، ودعوتموهم إلى الإسلام، فليكن ذلك بالحسنى، كالدعاء إلى الله بالحجج والبراهين، والحسن من الكلام، وأعلموهم أنكم تؤمنون بالإله الذي يؤمنون به، إلا المحاربين الظالمين، المجاهرين في عداوتهم، فجدا لهم بالغلظة والشدة، لتوهين حججهم، وتهجين مذهبهم، وهذا ما يليق بالمجرم المشرك الغليظ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَجِّدْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) (٣).

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى، أن نكافئ المحسن في تحيته، بتحية أفضل ليشعر بالأمان، وليرى أن المسلمين، أهل حب وود، فيتقرب إلينا، ولا ننس أن الله رقيب علينا، يجازينا بما نعمل من خير أفضل الثواب، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيٍّ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) (٤).

وتعال معي - أخي الكريم - إلى رؤية ثواب من يقول أفضل كلمة يحبها الله وهي: «الله ربي» فيها هو القرآن الكريم يفضل في ذلك.. يقول سبحانه:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

أ - نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ

١ - أَلَّا تَخَافُوا

٢ - وَلَا تَحْزَنُوا

٣ - وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

٤ - تَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

٥ - وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ

٦ - وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ عَفْوِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

ب - وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ

١ - دَعَا إِلَى اللَّهِ

٢ - وَعَمِلَ صَالِحًا

٣ - وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

ج - وَلَا سَتَوَى الْمَعْسَنَةَ وَلَا السَّيْنَةَ

د - أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

هـ - وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١).

ما أعظم ثواب الكلمة الطيبة، ينميه الله، حتى يصير أعظم من جبل أحد، كما جاء في الأثر.

وانظر إلى العلاقة الطيبة بين إخوة الإسلام، هذه العلاقة التي شدت من عروتها، الحب في الله، فترى الخلف يدعو للسلف، ويسألون الله صفاء القلب من الغل والحسد، لإخوانهم في الله:

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ - ٣٥.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

أ - رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ

ب - وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾^(١)

أندرون ما قدوتنا وأسوتنا في القول الحسن؟ إنه قول الله تعالى، القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ . . ﴿٢﴾^(٢)



(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

حَسَنُ الْأَدَبِ

نقصد به القول والفعل اللذين إن اتصف بهما المرء كان من المروءة
بمكان، ونال من الله تعالى الحظوة والقبول، وإن خلا المرء منهما ناله ذم
وقدح، وابتعد عن دائرة الثُّبُل والمروءة.

ولئن كان خلُو المرء من بعض هذه الصفات لا يعد كبير إثم، إلا أن
بعضها الآخر - إن خلت - منه كان من أهل الكبائر. . لكنها جميعاً آداب
اجتماعية، وأخلاقية ودينية، لا بد للمسلم النبيه أن يحوزها.

من هذه الصفات:

- ردُّ التحية ردّاً له أثره الإيجابي في النفوس.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ (١).

فالأفضل أن ترد التحية بأفضل منها، فإن قيل لك: السلام عليكم،
قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته، ومغفرته، ورضوانه.

وقد جاءت الملائكة إبراهيم فحيّوه بالجملة الفعلية، والفعل يدلُّ على
الحدوث، فأجابهم بتحية دلّت على الثبوت، وذلك بالجملة الاسمية،
فكان رده أحسن ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ
فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴿٢﴾ (٢).

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

وقد نعى الله تعالى على اليهود الذين يحرفون الكلم، فإذا دخلوا على رسول الله أو هموه أنهم يسلمون، فيقولون: «السلام عليكم»، والسلام هو الموت. فهم - إذا - يدعون عليه، وكان ﷺ يعرف مرادهم فيردُّ قائلاً: «وعليكم» فيكون رده أبلغ، لأنهم يدعون فلا يستجاب لهم، وهو عليه الصلاة والسلام يدعو عليهم، فيستجاب له. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَوْ يُحْيِيكَ بِهِ اللَّهُ...﴾ (١).

ومن هذه الصفات أيضاً إكرام اليتيم، والحضُّ على إطعام المسكين، وقد مدح الله تعالى الأنصار، الذين أكرموا إخوانهم المهاجرين إليهم فقال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَبِسَاءِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّهِ اللَّهِ لَا تُرْبِدُ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرًا (٩) (٢).

كما نعى القرآن على الكفار، الذين لا يحضون على إطعام الفقراء والمحتاجين، ويأكلون مال اليتيم، والمرأة، والضعيف، فلا يعطونهم ميراثهم، ولا يهتمون في أكل المال، أمِّن حرام كان، أم من حلال؟ قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا (١٩) وَتَحْبِسُونَ أَمْوَالَ حَيًّا جَمًّا (٢٠)﴾ (٣).

ويأمر الله تعالى نبيه الكريم - وهو القدوة لنا - فنحن مأمورون بما أمر به - أن يراعي بؤس اليتيم فلا يقهره، وأن يعطي السائل، فإن لم يستطع، رده رداً جميلاً. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٤) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (٥)﴾ (٤).

كما هدد القرآن من يعيب الناس، ويغتابهم، ويطعن في أعراضهم، أو يلمزهم سراً بعينه، أو حاجبه. ويوقع بين الناس، ولا يهتم إلا بجمع المال، يحصيه ويعدّه بالنار والإحراق، فهذا جزاؤه المناسب ﴿وَيَبْلُ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٨، ٩.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤) سورة الضحى، الآيتان: ٩، ١٠.

يَكُلُّ هُمْزٌ لَمْزَةٌ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ
أَهْلَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لِيُبَدِّلَ فِي الْخَطْمَةِ ﴿٤﴾ ﴿١﴾.

وقد نهى القرآن الكريم عن النجوى؛ وغمز المؤمنين، ومعصية
الرسول الكريم، ﴿الَّتِي تَرَى إِلَى الَّذِينَ هُمْ عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعْوَدُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ
وَيَتَّبِعُونَ بِالْإِنْمَارِ وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ؟﴾ (٢).

فإذا تحدثوا سرّاً وتناجوا، فلا يكون ذلك بما فيه إثم من قبيح القول،
أو بما هو عدوان على الغير، أو مخالفة ومعصية لأمر الرسول
الكريم، وليتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، وليخافوا الله فيمثلوا
أوامره، ويجتنبوا نواهيه، فسوف يجمعهم للحساب، ويوفيهم
أجورهم، ويجازي كلاً بعمله.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْمَارِ وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَأَنْقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣).

وكان المسلمون يتنافسون في مجلس النبي ﷺ، أو غيره من
المجالس. فأمرهم الله بالتواضع والإيثار، وأن يفسحوا في المجلس
لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ، ليتساوى الناس في الأخذ من
حظهم من رسول الله ﷺ. وفي الحديث: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من
مجلسه، ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا، وتفسحوا، يفسح الله لكم»،
وقد تكون الفسحة للمطيع في الرزق، والصدر، والقبر، والجنة. وهذا
يوضح فضل الله علينا حين يوسع لنا في خيرات الدنيا والآخرة، كما
أنه إذا قيل لنا انهضوا من المجلس، وقوموا لتوسعوا لغيركم فعلينا
السمع والطاعة، وهذا درس عملي في التواضع، بدءاً من التوسعة
وانتهاء بالقيام.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ

(١) سورة الهمزة، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٩.

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾

ومن هذه الصفات حفظ السر، لما فيه من فائدة السلامة والصيانة فرسول الله ﷺ ذكر أمراً لزوجتيه عائشة، وحفصة واستكتمهما إياه، فلم تحفظاه فعوتبتا على ذلك، فما ينبغي لأحد أن يكشف سرَّ أحدٍ إن سألَهُ أن يحفظه. ﴿وَأَذِ اسْرَ التِّي إِلَى بَعْضِ أَرْوَجِهِ حَلِيًّا فَلَمَّا نَبَاتَ بِهِ وَأَطْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ نَبَاتِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾﴾ إن نُوَبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٢).

وهذا سيدنا إبراهيم حين جاءته الملائكة، فلم يعرفهم وحسبهم بشراً، فماذا فعل؟:

١ - ذهب إلى أهله مسرعاً، في خفية عن ضيفه، لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة، من غير أن يشعر به الضيف حذراً أن يشعر الضيف أنه أثقل عليه، فيمنعه من إحضارها، وأسرع بالعودة حتى يؤنس ضيفه، فلا يتركه وحده.

٢ - وجاء بعجل مشوي، وهذا إمعان في إكرام الضيف.

٣ - ومن الأدب أن يقدم الطعام إلى الضيف مكان جلوسه، فهذا أوجه وأكرم.

٤ - ومن الأدب التلطف بالدعوة إلى الطعام، فلم يقل لهم «كلوا» إنما قال متودداً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْكَ حَلِيٌّ صَبِيحَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (٣)

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة التحريم، الآيتان: ٣، ٤.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ٢٤ - ٢٧.

وهذا لقمان الحكيم يوصي ابنه - ونحن من ورائه - بأمور عدة أمراً وناهياً:

﴿يَبْقَى﴾

أ - أَقِمِ الصَّلَاةَ

ب - وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ

ج - وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

د - وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾

هـ - وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

و - وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾

ز - وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

ح - وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (١)

وفي سورة الإسراء آداب عدة:

١ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (٢)

٢ - أ - ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا ﴿٢٦﴾

ب - إِنَّ الْمُدْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ج - وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ رَجُّهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾

٣ - وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٢٣، ٢٤.

تَحْسُرًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

٤ - وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً
كَبِيراً ﴿٣١﴾

٥ - وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾

٦ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

٧ - وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

٨ - وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ مِيزَانًا بِالْقِسْطِ أَلَيْسَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ عِزًّا وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

٩ - وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عِنْدَهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

١٠ - وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا
﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴿٢﴾

إنها آداب رائعة، وشرائع راقية، تبني مجتمعاً متماسكاً، وأمة حضارية.

وانظر معي إلى الأدب القرآني الرفيع، ففي سورة يوسف نرى هذه
الصورة المعلمة للأدب الراقى ^(٣).

١ - أمر يوسف عليه السلام أن توضع السقاية، وهي من ذهب مرصع
بالجواهر في متاع أخيه بنيامين ليقبضه عنده.

٢ - نادى مناد إخوة يوسف، إنكم سرقتم.

٣ - جاء إخوة يوسف إليهم يسألونهم! ماذا فقدتم؟

٤ - قالوا لهم: فقدنا سقاية الملك، وأنتم أخذتموها، ألم نكرمكم،

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٢٦ - ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٣٤ - ٣٨.

(٣) عُدْ إلى القصة في سورة يوسف من الآية ٦٩ إلى الآية ٧١.

ونحسن ضيافتكم، ونوفُّ إليكم الكيل، إنا لا ننتهم عليها غيركم...
فأين الأدب هنا؟..

إنه من إخوة يوسف، فالمنادون اتهموهم بالسرقة، فردَّ عليهم هؤلاء:
«ماذا تفقدون» بدل: «ماذا سرقنا» إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب، وعدم
المجازفة باتهام البريئين الغافلين بالسرقة، ولهذا التزموا معهم الأدب
فأجابوهم: «نفقد صواع الملك» بدل قولهم: «سرقتم صواع الملك».
والأمثلة كثيرة، وسبحان الله معلم الأدب، الدال على الصواب.



الأمان والحرية

قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَعُغٌ﴾^(١) ويبدأ الرسول ومن تبعه يبلغون الناس رسالات ربهم، فإن وجدوا مناخاً مناسباً، ازدهرت دعوتهم، لأنها دعوة الفطرة، وإن وجدوا محاربة وإيذاء صبروا، فدرّب الدعوة مليء بالشوك والمصاعب، فإن ازداد الإرهاب، وكثر القتل، والسجن، والعذاب، انتقلوا بدعوتهم المباركة هذه إلى مكان أكثر أمناً، وأوسع حرية.

هذا رسول الله ﷺ يترك مكة بعد ثلاثة عشر عاماً إلى المدينة المنورة، لأن أهل مكة ساموه وأصحابه سوء العذاب، ووجد المدينة تمدّ إليه أيدي أبنائها الذين آمنوا بدعوته، فخرج من مكة قائلاً: «والله إنك لأحب أرض لله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» ثم يعود إليها بعد ثماني سنوات فاتحاً، ليرسي فيها دعائم التوحيد والإيمان.

وكان ﷺ وهو بمكة يرى أصحابه وهم يعذبون، ويفتنون، فيأمرهم بالهجرة إلى الحبشة «فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد».

صور من الهجرة قبل الإسلام:

- هذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يكسر أصنام قومه، ويعلن ملة التوحيد، ويدعو الناس إليها، فيجادل قومه، فيحاجهم ويخرسهم، فيرون موقفهم أمامه ضعيفاً، ويخافون أن يؤمن به الدهماء، فيقررون التخلص منه

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

بالإحراق. لكن الله تعالى ينقذه من النار، وتزداد شدة الوطء عليه، فيقرر الهجرة إلى الشمال - إلى حزان - ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾^(١)، ثم تبدأ الهجرة الثانية إلى فلسطين ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّدِينَ﴾^(٢)، وهناك تنتشر الدعوة ويقوى عودها.

- وهذا موسى نبي الله الكليم يقتل نفساً من الأقباط دون قصد، فيأتيه رجل يقول له: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِيُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلَهُ فَأخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣) فرجح منها حافياً يرقب قال رب ينجني من الظلم الظالمين^(٤). ويتوجه تلقاء مدين ويسقي للفتاتين، ويستدعيه أبوهما، فيقص موسى عليه خبره، فيقول له الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفْ بَحَثَ مِنَّا الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥). ويجد الحرية والأمان في مدين، ويرببه الله تعالى على عينه، ليعود إلى فرعون داعياً، وإلى بني إسرائيل منقذاً.

ويرى موسى عليه السلام وقومه، الصدد والإيذاء والاستعباد، فيقرر الهجرة إلى الشام مرة أخرى، ولكن مع قومه من بني إسرائيل، لأنه هذه المرة لم يعد مسؤولاً عن نفسه فقط، بل عن قومه أيضاً، فهو النبي المرسل إليهم. والله تعالى هو الذي أمره بالهجرة الآن، فما عاد فرعون وقومه يطاقون. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِمِائِدَتِي إِذْ كُرُّوا مُتَّبِعُونَ﴾^(٥) وينجي الله موسى وقومه، ثم يُغْرِقُ فرعون وجنده.

- وأهل الكهف أعلنوا كفرهم بالأوثان، وإيمانهم بهدى الرحمن، وتوحيد الديان، فاغتاظ الملك، وأمرهم أن يعودوا إلى الكفر أو يقتلوا. فتبدأ هجرتهم إلى الله تعالى، ويلجأون سراً إلى كهف قريب من مدينتهم، كي ينطلقوا بعد ذلك في أرض الله الواسعة، ويبحث عنهم الملك وأعدائه،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٥٢.

فلا يرونهم، ويلقي الله تعالى عليهم النوم ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾^(١) فتكون هذه هي هجرتهم الطويلة، التي ضربها الله مثلاً رائعاً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. ويكون الكهف أماناً لهم، ورحمة من الله تكتنفهم، وتنشر عليهم ظلالها، وتهيئ لهم الأمان، والهدوء، والسكينة ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّاؤا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾^(٢).

فوائد الأمان والحرية:

- ١ - إمكانية العبادة لله سبحانه، قال الله تعالى محمداً فائدة الانتقال إلى المكان الآخر ﴿يَعْبُدِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾^(٣).
- ٢ - الحصول على الرزق الواسع، وإغاظة العدو الذي لم يستطع كبح الدعوة المؤمنين ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَقًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٤).
- ٣ - رضئ الله عنهم، لأنهم تركوا ديارهم ليأمنوا على دينهم، تركوا الأرض التي أحبوا ليمارسوا شعائر دينهم، بحرية، ويدعوا إليه دون رقيب وإيداء، أفلا يستحقون فضل الله وعفوه وكرمه؟ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٥).
- ٤ - كما أن لهؤلاء الخير في الدنيا - وهذه مثوبة سريعة - ولهم في الآخرة الأجر الكبير ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجُرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤١.

٥ - تكفير السيئات، ودخول الجنة، والشواب الجزيل فيها، قال تعالى:
﴿قَالِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١).

- بل إن الملائكة المكلفة بأخذ الأرواح، تقول للذين استكانوا إلى
الظلمة، ولم يخرجوا إلى أرض، أخرى يقيمون فيها شعائر دينهم، فصاروا
أداة قمع في أيدي هؤلاء الظلام، هؤلاء الملائكة يوبخونهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ
الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٢).

- ومن الجدير بالذكر أن الذين آمنوا، ولم يهاجروا في سبيل الله،
ورضوا أن يعيشوا في ظل القهر، لا ينبغي أن نواليهم أو نصادق منهم
أحداً، حتى يحققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد في سبيل الله. قال تعالى:
﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٣)، فالمؤمن لا يكتمل
إيمانه حتى يفاصل الأعداء ويكون قادراً على التعبير عما في نفسه، محققاً
أوامر الله، منتهياً عما نهى في دار الأمان والحرية، وتاريخ الأنبياء
والرسالات أوضح أمثلة على ذلك وعلى هذا نفهم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
مَآسُوا وَلَمْ يُهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ
فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيشِقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤).

فالمسلمون ثلاثة أقسام:

المهاجرون: فهم الأصل، لأنهم هجروا الديار والأوطان ابتغاء رضوان

الله.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

الأنصار: فهم نصرروا الله ورسوله، وجاهدوا بالنفس والمال، وبين هذين الطرفين الولاء والنصرة.

المؤمنون الذين لم يهاجروا: حرموا الولاية حتى يهاجروا في سبيل الله.

إن البحث عن دار الأمان، والانتقال إليها، ليمارس الإنسان حرته في عبادة الله تعالى أساس لرضوان الله تعالى، ذلك الرضوان والقبول عظيم، لم يحذره رب العزة إنما جعل تقديره - وهو عظيم - في علمه، وكرمه وجوده سبحانه وتعالى حين قال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

١ - ترك البيت - ملاذ الإنسان الذي بناه، وأتعب نفسه للحصول عليه - دليل على بيع الدنيا ولذاتها، والانتقال إلى أرض غريبة بعيدة عن الوطن، والأهل والذكريات، لإقامة منهج الله سبحانه في دار الأمان والاطمئنان.

٢ - واللجوء إلى الله تعالى، ومتابعة رسوله الكريم، دليل آخر على الطاعة والولاء، وبيع النفس والنفيس لهذه الدعوة المعطاء.

٣ - الثواب بناءً على هذا عظيم جليل، يوازي هذا العطاء، الذي بذله المؤمن عن رغبة وطواعية، إنه ترك متاع الحياة الزائلة، فحق له أن ينال الأجر الكبير، الذي يصدر عن الإله الكبير، وما يعطيه الجليل لا شك أنه جليل.



(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

الصبر

هو التجلد وحسن الاحتمال...، وصبر على الأمر: احتمله دون جزع، وصبر عن الشيء: منع نفسه عنه وحبسها، واضطبر بمعنى صبر.

والداعية الصابر من يتحمل الجهد والمكابدة، وصلف المدعوين وجهالتهم، وأذاهم قولاً وفعلاً، في سبيل الله ونشر دعوته.

وهذا ما فعله الأنبياء أولو العزم، فاستحقوا مدح الله سبحانه وتعالى، وبه أمر الله نبيه الكريم تأسيًا بهم، وسيراً على طريقتهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (١).

وقال أيضاً موسى نبيُّه الكريم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأُرْسُلِينَ﴾ (٢).

وكان سيدنا يعقوب من الصابرين، فسجل الله سبحانه ذلك له، فقال: ﴿وَجَاءَ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾ (٤).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

والصبر الجميل: التسليم لقضاء الله دون تدمر ولا فزع، والرضا به
انتظاراً لفرجه سبحانه.

وعلى هذا النوع من الصبر حث الإله العظيم نبيه الكريم... فقال:
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥)... ﴿(١)﴾.

وللصبر فوائد جمّة أذكر بعضاً منها:

١ - إنه من الأسباب المعنوية المؤدية إلى النصر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿(٢)﴾.

وقال في ذلك أيضاً: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦) ﴿(٣)﴾.

ويقول سبحانه أيضاً، أمراً بالصبر في القتال على مناجزة العدو، كي
نحظى بالنصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) ﴿(٤)﴾.

٢ - إنه يعين على البلاء والتحمل، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
...﴾ (٥).

فالصلاة حين يؤديها المصلي بإتقان، وإحسان، فقد أدى نوعاً من
الصبر، يرفع معنوياته.

وهؤلاء الرسل الكرام، يقولون للكفار، الذين يؤذونهم ومن آمن:
﴿... وَلَصَّبِرْ عَلَىٰ مَا ءَادَّبْتُمْنَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦).

(١) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَظِيمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣) (١).

٣ - وفي الصبر والتحمل خير لصاحبه من أن يثار لنفسه.. فهو مسلم داعية. قال تعالى: ﴿وَأَن عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١١٦) (٢).

وهؤلاء لم ينتظروا خروج الرسول الكريم من حجرته إلى المسجد، فنادوه بصوت عال، وقد أمروا أن يغضوا من أصواتهم في حضرته، فقال تعالى معلماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥) (٣).

٤ - وعاقبة الصبر محمودة «الجنة»، قال تعالى يبشر المؤمنين الصابرين بالجنة والمال الطيب ﴿.. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَيْسَتْ أُولَٰئِكَ لِمَن عَقِبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ (١٣) ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) (٤).

٥ - والصبر يقلب الموازين، فصبرك على أذى الآخرين، ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدو صديقاً، ويستل من سخيمة صدره فينقلب محباً ودوداً.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢٤) ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢٥) (٥).

٦ - والصبر يورث الأجر، قال تعالى: ﴿.. إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٤، ٥.

(٤) سورة الرعد، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ (١).

وحين كشف يوسف لإخوته عن نفسه، فرأوا ما هو فيه من عزٍّ ومجدٍ - وقد كانوا يظنون به الموت أو الأذى - قال لهم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه مقررًا الأجر الكبير للصابرين المتوكلين على الله في صبرهم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٤﴾ (٣).

وحين يشتد العذاب على المؤمنين في بلد ما، عليهم أن يهجروه إلى أرض الله الواسعة، ويصبروا على الغربة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤).

٧- والصبر على الدعوة يرفع الداعية، ويجعله قدوة وإماماً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُّهْدُونَكَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٥).

وهذا الرجل الصالح صار معلماً لسيدنا موسى عليه السلام - في سورة الكهف - واشتراط عليه أن يصبر عليه، فلا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، ويجيبه موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦) ولو لم يكن الرجل صابراً، لما صار معلماً له، ولا أمكن أن يأمره بالصبر.

٨- والصبر يقرب العبد من مولاه، ويرفع مقامه، قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ

(١) سورة هود، الآية: ١١

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٥) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٩.

إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (١)

وأول المتقين، والمحسنين، وسيدهم، رسول الله ﷺ، وأين مكان من
صبر لحكم ربه، وستح بحمده في قيامه وصلواته، في ليله وسحره؟
إنه في رعاية الله ومعيته، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومُوا وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ ﴿٤٩﴾﴾ (٢)

٩ - وبالصبر النجاح والنصر والحفظ، قال تعالى واصفاً المنافقين وكرههم
للمسلمين، ومؤكداً نصره للمسلمين إن صبروا واتقوا ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ
حَسَنَةٌ سَأَوْهَمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصَرُوا وَتَنَقَّوْا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (٣)

وسيكون النصر للرسول الكريم، الذي حقق الصبر، والتزم التقوى،
وهو أهل لها: ﴿... فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

وماذا قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله - إن استشهدوا في سبيل الله -
والحائزون على نصره إن صبروا ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ
كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾

ويأمر الله تعالى نبيه الكريم، وصحبه الأبرار أن يصبروا في القتال،
فما بعد الصبر إلا الظفر: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّوْءُ حَرِيصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ
عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

وَأَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ (١)

١٠ - ومدد الله تعالى للمؤمنين بصبرهم وتقواهم، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٦٦﴾ بَلَىٰ إِنْ نَصَبُوا وَتَثَقُوا وَبَاتُوا مِنْ قَوْمِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ (٢)

وحين صبر المسلمون في معركة بدر، واستغاثوا ربهم، وسأله العون والمدد، لبأهم، وكان عند حسن ظنهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ (٣)

١١ - والمسلم الصابر ممدوح. ومن الذي مدحه؟ إنه الله تعالى ومن مدحه الله تعالى رفعه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُصِيبِ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ (٤)

وقال تعالى يمدح الصابرين على ما أصابهم فيمن مدح: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ (٥)

ومدح كذلك الصابرين الذين قاتلوا مع أنبيائهم في سبيل الله، وبذلوا كل ما في وسعهم، ورفضوا الخنوع للعدو الكافر، فقال سبحانه: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ (٦)

ومدح الله تعالى بعض أنبيائه لصبرهم - وكلهم صابرون - ﴿وَأَسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (٧)

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٥.

ومدح أيوب عليه السلام بصبره على ما ابتلاه الله به: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١).

وقد يصير الصابر إلى مقامات عليّة بصبره، نسأل الله تعالى أن يجعلنا
من الصابرين.



(١) سورة ص، الآية: ٤٤.

العدل

هو «أساس الملك» وميزان الحياة الطيبة، وإقامته في مجالات الحياة يصل الناس إلى حقوقهم، وينتفي الظلم، ويعرف كل إنسان حدوده، وفيه المساواة بين الجميع، والإصلاح بين الفرقاء.

ويتجلى العدل في القول، والعمل، والحكم.

والله سبحانه وتعالى يعلمنا العدل، ويأمرنا به، لأن فعله سبحانه العدل بعينه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(١).

قال سبحانه آمراً وناهياً بما يقيم العدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

ويقول سبحانه آمراً بالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، دون نقص ولا طغيان، وإنصاف الناس في أوزانهم دون تطفيف، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾^(٣).

وهدد من يطفف الميزان بالويل والشبور، وعظائم الأمور يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

كَالْوَهْمِ أَوْ وَزْنُوهُمْ يُحْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴿١﴾. والعاقل من يفهم ويعي، ويجنب نفسه
الخسارة الرهيبة التي لا تعوض في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة،
ويؤكد ذلك في ضرورة الإيفاء في الكيل، والوزن الصحيح، بالعدل والسوية
دون خداع ولا احتيال، فإن فعلوا ذلك وصدقوا نالوا في الآخرة المنزلة
العالية، وفي الدنيا الذكر الحسن: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ
الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢﴾.

- كما أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل أنبياءه جميعاً لهداية البشرية،
فأنزل معهم الكتب السماوية لهداية الناس، والقانون الذي يحكم به بين
الناس، وهو ميزان العدل الإلهي، ليتعاملوا بالعدل والحق في معاملاتهم
فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿٣﴾.

وإقامة العدل والقسط كما ذكرنا يريح العباد، ويشعرهم بالأمن والأمان.

وإمام الرسل محمد عليه الصلاة والسلام على رأس الأنبياء الذين
أمرهم الله بالعدل، والحكم بالحق فقال: ﴿وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِإِعْدَالٍ بَيْنَكُمْ﴾ ﴿٤﴾.

وتراه سبحانه يؤكد للرسول ﷺ أن الدين الذي أنزله عليه كان لبيان
الحق ونشر العدل، وإحقاق الحق، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ ﴿٥﴾.

وعلى الرغم من أن اليهود يكرهون الإسلام، ونيبه، وكتابه، والمؤمنين
فإن هذا كله لا يمنع أنهم إذا جاءوا يحتكمون إلى رسول الله ﷺ أن يحكم
بينهم - إذا رضي ذلك - بالعدل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾

(١) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٧.

وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمَا فَكُنْ بَصُورًا شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾

ويأمر الله سبحانه وتعالى أن تكونوا - معشر المسلمين - ...

- ١ - ﴿قَوِّمِ لَّهِ﴾
- ٢ - شَهَادَةً بِالْقِسْطِ
- ٣ - وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُا قَوْوِ عَلَآ تَعْدِلُوا
- ٤ - أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
- ٥ - وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

- ويقارن الله سبحانه وتعالى بين رجلين، يضرب بهما مثلاً:

أ - ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾

ب - هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾

فمكانة من يحكم بالعدل، ويأمر به، ويتقي الله سبحانه، مكانة عظيمة يندبنا الله تعالى إلى التسامي إليها، والعمل لها.

- وتعال معي إلى ذلك الاهتمام الواضح بالمرأة، والزواج بأكثر من واحدة، وقضية الطلاق.

كان العرب يتزوجون ثم يطلقون دون التقيد بعدد الطلقات، وهذا استعباد للمرأة، وقهر لها، فحدد الله تعالى عددها، ومنع أحداً أن يأكل مهرها، فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾

فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْتَمَرَ حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعْتَمَرَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٦.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا

وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٦﴾ (١).

لكن إذا طلبت المرأة نفسها أن تفارق زوجها، ولم تعد تطيق البقاء معه، تخلت عن مهرها، واقتدت نفسها بذلك.

- وعلى الرغم من السماح بالتعدد، فقد نبه القرآن أنه يسمح بالتعدد إذا عُذِلَ بين النساء، وإلا فالواحدة أحسن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا فَوَاحِدَةً﴾ (٢).

فإن اضطرت الإنسان إلى التعدد - وهو مباح - ولن يستطيع العدل بين نسائه ولو حرص على ذلك، فليترك الله سبحانه، وليحاول جهده أن لا يميل عن الحق ويجور، فيترك بعض نسائه وكأنهن مطلقات، ويميل إلى إحداهن ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ...﴾ (٣).

- وقد يحدث قتال بين المسلمين أنفسهم فتجور قبيلة على أختها، فماذا على الحاكم أن يفعل:

أ - ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

ب - فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ

ج - فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤).

وقد يحكم القاضي بين متخاصمين، أحدهما قريب له، فهل يجوز أن يميل إليه في الحكم، ويميت حق صاحب الحق؟ ﴿وَإِذَا قُتِلْتُمْ فَاصْدِرُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٥) فالقاعدة التي ينبغي للحاكم أن يسير عليها قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

تعالى ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١) فبالعدل نرضي ربنا، فهو الحكم العادل.

والأمثلة على توخي العدل والعمل به وافرة في كتاب الله، تحثنا على الحكم به، والالتزام به، لنكون خير أمة أخرجت للناس.



(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

الغفران والصفح

يقال: غفر له ذنبه: غطى عليه وعفا عنه. وصفح عن ذنبه: أعرض عنه.

فالغفران أكثر تسامحاً وعفواً من الصفح، وفي كل خير.

والقرآن الكريم يعلمنا الصفح والغفران، وأن لا نحمل لأحد في قلوبنا ضغينة، ولا في نفوسنا كسحاً، فالدعاة إلى الله أسوتهم النبي ﷺ الذي ما كان يغضب لنفسه أبداً، وكان أبش الناس وجهاً، لا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يقابلها بالعفو والغفران ما لم تكن في جنب الله سبحانه.

١ - والله سبحانه وتعالى غفار الذنوب وستار العيوب، يعلمنا الغفران فيبدأ بنفسه، وهو الذي لا يعجزه شيء، لكنه يحب أن يغفر لنا.

يقول لنا سبحانه: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وأمرنا أن نغفر للناس، ونتشبه به سبحانه فقال: ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

٢ - بل إنه سبحانه أمر ملائكته الكرام أن يستغفروا لنا، وهذا من كرمه وفضله سبحانه فيقول: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ (١)

ويقول سبحانه: ﴿... وَالْمَلَكُةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾

وهذا يعقوب عليه السلام يعتذر إليه أبناؤه لخطئهم في حقه، وحق يوسف عليه السلام، فيقول: ﴿... سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾﴾

وهذا سيدنا أبو بكر الصديق حين يرى مسطحاً نال من السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان يتصدق عليه، فأقسم أن لا ينفعه بنافعة أبداً، ولكن الله سبحانه يعلمنا أن نغفو ونغفر، فينزل آية يأمره وغيره أن يغفو ويصفح، فهذا أولى بالمسلم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُوْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (٤). فقال الصديق: بلى يا رب؛ أحب أن تغفر لي.

وفي معركة أحد خالف الرماة رسول الله ﷺ، فأمره الله سبحانه أن يغفو عنهم، ويستغفر لهم، فهم بشر يخطئون، والعفو عنهم يجمعهم على حب رسول الله ﷺ، والطاعة له، وتصحيح أخطائهم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ بِكُفْرَانٍ لَكُمْ لَمَنِ الْقَوْلُ مِنْكُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥)

- (١) سورة غافر، الآيتان: ٧، ٨.
- (٢) سورة الشورى، الآية: ٥.
- (٣) سورة يوسف، الآية: ٩٨.
- (٤) سورة النور، الآية: ٢٢.
- (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وكذلك إذا عفا الإنسان عن أخيه، وصفح عنه، أحبه أخوه، وعظم في عينه، وكذلك أمر رسول الله ﷺ أن يقبل بيعة النساء، ويستغفر لهن إذا التزمن التوحيد، وامتنعن عن السرقة والزنا، وقتل الأولاد - حين تطرح المرأة نفسها فلا تحبل - ويمتنعن عن إلحاق لقيط برجل ليس أباه، ويلزمن أنفسهن بطاعة رسول الله ﷺ فَيَايَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

وسيدنا يوسف عليه السلام، كان إخوته سبب بلائه، وبعده عن والده مدة أربعين سنة، فلما كشف نفسه لهم، ورأوا مكانته السامية في مصر، اعتذروا له طالبين الصفح والغفران، فعفا عنهم وسأل الله تعالى المغفرة لهم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ (٢) .

وما أجمل أن يدعو المسلم لأخيه بظهر الغيب، ويسأل الله أن يغفر لهما، ويجمعهما على ما يحب ويرضى . . إنه الدين الذي جمع قلوب العباد ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (٣) .

مجتمع فيه تآلف ومحبة، كل واحد يرجو فيه الخير له ولأخيه، هو مجتمع جذوره ذاهبة في الأرض ثباتاً، وذراه ذاهبة في السماء سمواً وعلواً.

- حتى إن القرآن ليذهب أبعد من هذا، فمن أساء إليك، فلا تسيء إليه إلا بقدر إساءته لك، والأفضل من هذا الصفح والعفو والصبر ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ . . .﴾ (٤) .

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢ .

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٩١، ٩٢ .

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠ .

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧ .

ماذا تفعل مع إنسان أساء إليك، وأنت تريد له الخير، أتمنع الخير عنه وتقول لا بد من عقابه، أم تتناسى إساءته، وكأن شيئاً لم يكن، أم تقابل إساءته بالإحسان إليه؟

لعل القرآن الكريم يريد لك أيها المسلم الداعية أن تكون أكبر من ردة الفعل فلك هدف تصبو إليه... هذا ما يريده القرآن، وصاحب القرآن سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وَمَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وَمَا يُفْلِحُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١)

وجعل الله تعالى أخذ الحق أمراً لا يلام الإنسان عليه، لكن العفو أمر يحبه الله تعالى

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ (٢)

لكن حين نعلم أن الله تعالى أعد جنة عرضها السموات والأرض للمتقين نسأل عن سمات هؤلاء المتقين، لعلنا نكون منهم:

أ - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

ب - وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

ج - وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٣ - ٣٥.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٠، ٤١.

د - وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾

هـ - وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ

و - وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَقْلُمُونَ ﴿١٢٥﴾

ز - أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾^(١)

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.



(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٤ - ١٣٦.

الالتزام بالوعد والعهد

صفة إيجابية يؤديها من كان الصدق ديدنه، والمروءة والشهامة عُدته، ويرفع الالتزام بالوعد صاحبه في أعين الناس، ويقربُه إلى قلوبهم ونفوسهم، فيعظم فيهم شأنه، وتُعتمد عندهم كلمته.

وإذا كثر هذا في الناس اطمأنت أفئدتهم، وارتاحت نفوسهم.

أما إذا أخلَّ الإنسان بعهده، وضيع وعده انقلب أمنه إلى توجُّس وحذر، وخاف الناس بعضهم بعضاً.

ولذلك يحضننا المولى تبارك وتعالى على حفظ الأمانة وأدائها إلى أهلها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١).

ويأمرنا بإنفاذ العهد الذي قطعناه على أنفسنا، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ويؤكد سبحانه وتعالى الوفاء بالعهد - أيضاً - في وصاياه في سورة الإسراء: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولًا﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

أما المنافقون فلم يكونوا أهلاً لحفظ العهد مع الله سبحانه وتعالى،
فما هي عقوبتهم يا أخي الكريم!؟

لقد كان العقاب شديداً ﴿وَمِنَّمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ
لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا
كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ (١)

وهل أشد عقاباً من أن يعيش الإنسان منافقاً، ويلقى الله منافقاً؟ لقد
وفى الله سبحانه لهم بما طلبوا حين آتاهم من فضله، لكنهم بخلوا وأعرضوا
عن الدين القويم، والرسول الكريم، فنالوا جزاءهم.
ولأهمية إنفاذ العهد نرى الفكرة تتكرر مرة أخرى في قوله تعالى في
حق المنافقين في غزوة الأحزاب:

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَسْتَئْتَدِينُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلْتَقَىٰ بَقَوْلِهِمْ إِنَّا قُتِلْنَا غَدْرًا وَمَا نَحْنُ بِمُغْرِبِينَ
إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣)

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا
يَسِيرًا ﴿١٤﴾

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِينَ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ (٢)

والكفار والمنافقون - على حد سواء - لا يفون بالعهد.. لماذا؟ لأن

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ١٣ - ١٥.

الذي يفى بعهده عاقل لبيب، يحترم نفسه، وصادق فيما يقول. . وهذه ليست من صفاتهم، إنها صفات المؤمنين.

فحين أرسل الله تعالى على فرعون، وقومه الدم، والضفادع، والقتل، وعدوا موسى أن يؤمنوا بالله إن كشف الله الضر عنهم، وعاهدوه على ذلك، فماذا فعلوا حين كشف الله تعالى عنهم البلاء؟ نقضوا العهد وأخلوا به: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (١) والنكت بالعهد صفة المذمومين ومن لا خلاق لهم.

ولعل سيدنا أيوب الذي مسه الضر وكان جسمه عليلاً مدة طويلة من الزمن، وابتعد الناس عنه، وتقرزوا من رؤيته، وما كان أحد يدخل عليه، انشغلت زوجته - وهي الإنسان الوحيد الذي ما فارقة - فتأخرت عنه مرة فأقسم لئن شوفي ليجلدنهما مئة مرة. . فلما شفاه الله تعالى لم يطاوعه قلبه أن يعاقب زوجته الصابرة المخلصة، لكن ماذا يفعل وكيف يبرّ بقسمه؟ .

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبرّ بعهده، دون أن يؤذي زوجته، فأمره أن يجمع مئة عود فيضربها ضربة خفيفة، تكون حلاً لقسمه ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (٢).

والله سبحانه وتعالى حذرنا من الشيطان وأحاييله، وسماه العرور، فحذر منه المؤمنون فنجوا، وتبعه الغاوون، فكانوا معه في جهنم، كان في الدنيا يزين لهم المفساد والأهواء فانغمسوا فيها، وجزوا وراءها يلهثون، فلما التقوا معه في العذاب بانث الحقيقة، ولكن بعد فوات الأوان ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٤.

فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنفُسَكُمْ
 مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِي
 إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
 إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ (١).

وقد بايع أصحاب رسول الله ﷺ قائدهم العظيم في صلح الحديبية، فأعلمهم ربُّ العزة: أن مبايعتهم نبينهم ﷺ مبايعة الله سبحانه وتعالى، وأن الذي يحافظ على البيعة له أجر كبير، أما الذي ينقض البيعة فقد أساء إلى نفسه وظلمها، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١﴾ (٢).

ويقول سبحانه أيضاً في سورة الفتح نفسها مادحاً المسلمين: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴿٣﴾.

وقد وعد الله تعالى المؤمنين العتة فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾ ﴿٤٩﴾

جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفُتَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾

مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِبْرَةِ الرَّابُّ ﴿٥٢﴾

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ (٤).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٤) سورة ص، الآيات: ٤٩ - ٥٣.

وفي سورة الأحقاف نجد صورتين متناقضتين، الأولى للمسلم المؤمن الذي يخاف الله، ويحبه، ويرجو ثوابه، والثانية للكافر الفاسق.

فماذا وعد الله المؤمن؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١)

وبماذا وعد الكافر؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (٢).

فمن أي النوعين تريد أن تكون أيها الإنسان العاقل؟.

ويوم القيامة ينبت الناس من الأرض كما ينبت البقل، والمؤمنون متيقنون سابقاً ولاحقاً أن الله سيجمعهم يوم القيامة، أما الكفار فإنهم يتساءلون خائفين: ﴿قَالُوا يَا بُولُوكُنَّا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣).

فوعده الله حق، لأنه سبحانه هو الحق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (٥).



(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩.

التحجب

يقول الله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا... ﴾ (١).

هكذا تفعل الكلمة الطيبة في نفوس السامعين، تدخل القلوب دون استئذان، ويتبوأ صاحبها المكانة المقبولة في نفوسهم، ويستمعون له، ويحبونه، أما الكلمة الخبيثة، فعلى العكس من ذلك تنفّر الناس من صاحبها، ويجدونه ثقيلاً على أنفسهم، ثقيلاً على قلوبهم.

فحين عاتب الله عزّ وجلّ نبيّه وحبيبه محمداً عليه الصلاة والسلام حين أذن للمنافقين أن لا يخرجوا معه في غزوة تبوك بدأه بكلمة خفيفة على النفس، محببة لدى المخاطب، فقال سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (٢).

وحين عاتبه في أمر ابن أم مكتوم، لم يخاطبه مباشرة بل حدّثه بضمير الغائب، فقال: ﴿عَسَىٰ وَوَلَّكَ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ (٣)، ولم يقل عبست وتوليت أن جاءك الأعمى... فإذا كان رب العزة يتحجب إلى خلقه، ويتودد إليهم - وهو الودود الرحيم - أفلا ينبغي لنا أن نسلك هذا الطريق الذلول

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة عبس، الآيتان: ١، ٢.

لنصل إلى قلوب الناس؟، والمؤمن ألوف مألوف.

والله سبحانه رؤوف بعباده حريص على إيمانهم، يتحجب إليهم برفق
قائلاً: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) (١).

ويقول: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (٢).

ويخاطب رسوله الكريم: ﴿يَقِيعِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) (٣)،
﴿وَقُلْ لِيَعْبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤).

ويخاطب موسى عليه السلام حين أمره أن يترك مصر إلى سيناء بالمؤمنين
﴿فَأَنسِرْ يِعَادِيَ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (١٣) (٥). فتحجب إلينا بكلمة «عبادي».

وهذا لقمان الحكيم الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى بالهداية، فشكره
علي نعمته، فزاده منها، يقول لولده متحياً متقرباً ينصحه: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ
بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٦)، ﴿يَبْنِي إِنَّمَا إِنْ تَكُ وَثِقَالٍ حَبْرٌ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
حَبِيرٌ﴾ (١١) (٧)، ﴿يَبْنِي أَقِرَّ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ
مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) (٨). فكرر كلمة «يا بُنَيَّ» وهي كلمة
لطيفة أنيسة.

وحين يأمرنا الله تعالى ببر الوالدين، يتلطف معنا، فلا يستعمل صيغة

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٢٣.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٨) سورة لقمان، الآية: ١٧.

الأمر كي لا يستثقله الإنسان فينفر منه، بل يأتي بصيغة الماضي والتذكير بالفضل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴿١﴾﴾ (١)، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴿٢﴾﴾ (٢).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴿٣﴾﴾ (٣).

وتراه سبحانه وتعالى كثيراً ما يستعيز عن الأمر بالوصية: [﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٤﴾﴾، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾﴾، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٤﴾﴾] (٤).

- هذا يوسف عليه السلام يخاطب أباه بأدب ولطف وتحبب، فيستعمل كلمة «أَبَتِ» ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴿٥﴾﴾ (٥).

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴿٦﴾﴾ (٦).

- وإبراهيم الخليل يتلفظ بالكلمة نفسها لأبيه الكافر، متقرباً إليه، يدعوه إلى الإيمان ويتحجب مكرراً هذه الكلمة التي يعشقها الآباء، ناصحاً وواعظاً:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

أ - ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١﴾﴾!

ب - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾.

ج - ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٤) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

د - ﴿يَتَابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَليًا﴾ (٤٥) (١).

- وهذا ابنه إسماعيل الذبيح يخفف عن أبيه لواعجه، ويساعده على الاستسلام لأمر الله، وطاعته.

﴿يَتَابِتْ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢).

وهذه البنت الواعية، الموقرة لأبيها تعرض عليه بأدب أن يستأجر موسى عليه السلام بالكلمة نفسها.

﴿يَتَابِتْ أَسْتَجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٣).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

كما أن الأنبياء عليهم الصلوات والسلام جميعاً، على الرغم من أذى أقوامهم لهم، وسوء معاملتهم إياهم، تجدهم حين يخاطبونهم، يتوددون إليهم ويتقربون بقولهم: «يا قوم»، وفي القرآن عشرات الأمثلة من هذا التودد منها:

أ - قول موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١) (٤).

ب - قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إني بريءٌ ممَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥).

ج - قول نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ (٦).

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ - ٤٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

د - قول هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقَوِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١).

هـ - قول صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقَوِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٢).

و - قول شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقَوِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣).

ز - الرجل الصالح في سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِرِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٤).

ح - مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوِرِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٥﴾﴾ (٥).

حتى إن فرعون ذلك المتكبر المتغطرس، حين أراد أن يتقرب إلى الغوغاء من شعبه ليضلهم ﴿قَالَ يَنْقَوِرِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٦).

فحريّ بنا أن نكون من أتباع الأنبياء، محبين لقومنا، ندعوهم إلى العودة إلى الله سبحانه وتعالى بلطف وتحبب.

وهذا ربّ العزة يمدح النبي ﷺ قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (٧)، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٨).

ولنا فيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، وفي إخوانه عليهم الصلوات جميعاً.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٧) سورة القلم، الآية: ٤.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بذل المساعدة

يقول الرسول الكريم ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..».

هذه دعوة إلى الخير، ومساعدة الناس، لما في المساعدة من إغاثة للملهوف، وتخفيف عن المكروب، وعون للمحتاج. وهي تدل على الأخوة الصادقة في المجتمع الموحد. وعلى التماسك القوي بين أفرادها، واللحمة المتينة بين أنسجته، فتزيد أواصره قوةً وروابطه شدة.

والقرآن الكريم سرد لنا بعضاً من صور المساعدة الفردية، والمساعدة الجماعية، لتكون لنا قدوة ودافعاً إلى التكاتف والمحبة.

- فهذا سيدنا موسى عليه السلام يفرُّ هارباً من الظالمين الفراعنة، ويسأل الله تعالى أن ينجيه منهم، وينطلق متجهاً إلى الشام، يرجو ربه أن يهديه سواء السبيل ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ (١)

فشهامته على الرغم من خوفه، وغربته، وجوعه، أبت أن يرى فتاتين تنزويان عن الرجال، منتظرتين أن ينتهوا من سقاية أغنامهم ومواشيهم، فتسقيان. وتعجّب أن لا يكون لهما راع، فسألهما، فعرف أنهما ابنتان لرجل

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٣، ٢٤.

هرم، لا يقوى على السرح بالماشية ورعيها، فاضطرتنا إلى فعل ذلك، فتقدم فسقى الماشية بهمة وقوة ونشاط قبل الرعاة، ودفع بها إلى الفتاتين، فعادتا مبكرتين على غير عادتهما، فسألهما والدهما عن السبب، فأخبرتا بما جرى، فاستدعاه وزوجه إحداهما، ليعمل عنده في رعي الغنم...

- وبذل المساعدة تتأثر بها النفوس، والتصرف الحكيم يعدل الموازين، فتصفو القلوب، وتأرز الأفتدة لصانع المعروف، وتنقلب العداوة قريباً وصدافة، والبغض محبة ووداداً.. قال تعالى:

أ - ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

ب - أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ

ج - فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

د - وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

هـ - وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١).

فالحسنة فعل تستحسنه النفوس وترجوه، وتأنس إليه وتعظم صاحبه، والسيئة فعل تستقبحه وتنفر منه، وتكرهه وصاحبه، فإذا العدو القالي يصبح صاحباً، وحيبياً، مما تقدم له من عون، وصفح، ووجه بشوش، وابتسامة جذابة. - وهذا ذو القرنين - رضي الله عنه - مكن الله له في الأرض، شرقها وغربها، فلم يتكبر ويتجبر، إنما كان مثلاً يُحتذى في البر والخير، فلما فرغ من نشر الدعوة في الشرق والغرب، انطلق إلى الشمال، حيث الجبال الشاهقة، حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين، بمنقطع بلاد الترك وجد قوماً متخلفين، لا يكادون يعرفون لساناً غير لسانهم، إلا بمشقة وعسر، لبعدهم عن مخالطة غيرهم، ولم يفهم كلامهم إلا بترجمان، فأخبروه أن قبيلتي «يأجوج ومأجوج» قوم مفسدون، بالقتل والسلب والنهب، يخرجون في الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وسألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً يمنع غائلة المفسدين، وأعلنوا أنهم سيتحملون التكلفة.

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٤، ٣٥.

فلم يأخذ منهم شيئاً، فالله تعالى بسط له القدرة والمال، فما يحتاجهم إلا بالرجال العاملين، وبنى لهم السدَّ الحصين العالي المتين من الحديد المصهور، والنحاس المذاب، الذي صبه عليه فصار جبلاً صلباً ملتصقاً ببعضه ببعض، فما استطاعوا نعبه لصلابته وثخانته، ولا أن يعلوه ويتسوروه لملاسته ونعومته ﴿ثُمَّ أَلْبَسْنَا لَهُمْ سَبَاطًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ مَجَدَّ مِنْ دُونَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَبْدَأُ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُجُ وَمَأْجُجُ مُضِيدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ جَعَلْ لَكَ خَرْمًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَرَبِّيَ رَدْمًا (٩٥) ءَأَتُونِي زَبْرًا الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ (١)

- وهؤلاء الأنصار أهل المدينة المنورة من الأوس والخزرج - رضي الله عنهم - يحجون مكة، ويؤمن العشرات منهم برسول الله ﷺ، ويبايعونه على نصرته، ونصرة المؤمنين من أهل مكة وغيرهم، إن أقبل إليهم. وهكذا كان. فانتقل الرسول الكريم وأصحابه إلى المدينة، فاستقبلهم إخوانهم من أهلها استقبالا حسنا، شهد به القرآن الكريم ومدحهم بذلك، فقد آمنوا بالله ورسوله، وأكرموا المسلمين المهاجرين فأسكنوهم ديارهم، وقاسموهم أموالهم، وفضلوهم في الغنائم على أنفسهم دون شخ، ولم يجدوا في أنفسهم غيظاً وحسداً مما أخذوا فاشتدت الألفة بينهم، والحب والأخوة، فأسسوا مجتمعاً طيباً، ينتشر عبقه على مدى الدهور وكرَّ العصور ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ (٢)

- وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأداء زكاة أموالهم للمحتاجين من إخوانهم، وجعل أداءها ركناً من أركان الإسلام، فأفاد أموراً كثيرة منها:

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩٢ - ٩٧.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

- ١ - بناء مجتمع متكامل متراحم، تسوده مشاعر المحبة والألفة.
- ٢ - محو الضغائن من قلوب الفقراء نحو الأغنياء...
- ٣ - تقليصهوة بين أفراد المجتمع وطبقاتهم، فلا يكون أغنياء مترفون ولا فقراء مُعَدَمون.

فأمر الله تعالى أن تدفع الزكاة في عديد من المصارف، وحدد الأهم فالأقل أهمية ليتحقق وجود ذلك المجتمع المتجانس المتآلف ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمَلِينَ عَلِيًّا وَالْمَوْلَى فُلُؤْمِهِمْ فِي الرِّقَابِ وَالْفَدْرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (٦١) (١).

وأمرنا أن نعطي الأقرب أولاً - فالأقربون أولى بالمعروف - ثم المسكين، فهو عفيف اليد واللسان، لا يسأل أحداً لكن حياته ناطقة بمعاناته، ثم ابن السبيل الذي انقطع عن بلده ولم يجد ما يبلغه دياره، قال تعالى: ﴿فَأَنذِرْ ذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾ (٢)، ثم أعقبه بقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وهذا الرجل الصالح معلم سيدنا موسى، يساعد الناس بأمر من الله تعالى، وبطريقة لا نعرفها، فهو يخرق السفينة، وأهلها لا يعرفون، فحين تقع في يد الملك، ويريد أخذها منهم يرى الخرق، فتعافها نفسه ويتركها.

ويقتل الغلام، لأن الله يعلم أن هذا الفتى إن عاش وصار رجلاً فسيرهق أبويه طغياناً وكفراً، ويبدلهما الله خيراً منه فتاة تصير زوجة نبي من أنبياء الله، ثم يبني الجدار في القرية على الرغم من امتناع أهلها أن يقروها لأن صاحبي هذا الجدار ما يزالان طفلين، وقد ينهدم الجدار وتحتته كنز لهما، فيضيع هذا الكنز بأيدي الجشعين. ويبقى الجدار ويظل الكنز خبيثاً

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٨ مكرر.

تحتة، حتى يكبرا، ويشتد عودهما، ويتفعا بالمال.. سبحان الله..

إن المسلم يبذل ما في جهده لمساعدة إخوانه في بقاع الأرض كلها
ليحقق معنى الأخوة الإسلامية^(١).



(١) عد إلى هذه القصة في سورة الكهف.

النصيحة والحض

النصيحة: الوعظ بوذ وإخلاص، والحض: الحمل على الشيء والإغراء به، والحث عليه...

والقرآن الكريم حرص على النصيحة، فهي أسلوب يدفع إلى فعل الخير، وركوب الطريق الصحيح، فعلاً كان أم تفكيراً، بطريقة تدع المنصوح، راغباً دون شعور بالمساءة.

وللنصيحة والحض عليها أساليب عدة، سلكها القرآن، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الشرط: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) ^(١)، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ^(٢).

فالقرآن في هاتين الآيتين الكريمتين ينبه إلى أن النفس العظيمة تطلب الشيء النفيس الباقي، وذلك لا يتأتى إلا من الله سبحانه، والإيمان به، وطلب الدار الآخرة.

ونرى موسى عليه السلام، ينصح قومه بالتوكل على الله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ ^(٣)، وعلى هذا الأساس نرى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.

الله سبحانه وتعالى يحض نبيه الكريم، على التوكل على الله، والاكتفاء به حسيباً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١).

وأسلوب الشرط في إسداء النصيحة والحض على الخير كثير في القرآن الكريم.

٢ - لولا التحضيضية: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ...﴾ (٢).

فهلأ... ولكن كان أولئك بعيدين عن التعقل والفهم، ولم يكن منهم أولو ألباب وعقول.

... وفي حديث الإفك، حض على التفكير للوصول إلى معرفة الحقيقة ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (٣).

وحضهم على التزام شرع الله في الوصول إلى الحق، وعودة إلى أول السورة نجد أنه يجب المجيء بأربعة شهداء لإثبات زنا المرأة: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٤).

ونصحهم بعدم الخوض بهذا الفساد: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٥).

٣ - النداء والأمر والنهي: وقد تجتمع في كثير من الآيات، بل في أكثرها.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١٦.

(٣) سورة النور، الآية: ١٢.

(٤) سورة النور، الآية: ١٣.

(٥) سورة النور، الآية: ١٦.

تَقُولُوا رَبِّنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمَعُوا بِالْكَذِبِ عَذَابُ آيَةٍ ﴿١٠٤﴾^(١).

فاليهود يقصدون من كلمة «راعنا» المسببة، والشتيمة، كما أنها قد توهم الجفاء، أو التقيص، في مقام يقتضي إظهار المودة والتعظيم.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾^(٣).

٤ - ويجتمع النداء والنهي: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَاءَ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ ﴿٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِقَاةً لِلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾.

٥ - ويجتمع النداء والأمر: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَسْبُوتُونَ ﴿١٧٢﴾﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴿٧﴾﴾.

٦ - المقارنة والاستفهام: كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾^(٨)، وكأنه سبحانه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٧) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٨) سورة هود، الآية: ٢٤.

يقول لأهل العقول: تذكروا وعوا...

ومنها الاستفهام بـ «هل» كقوله تعالى: ﴿فَأَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا
أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) (١)

ومنها الاستفهام بـ «من» كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضَلِّفُهُ لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...﴾ (٢)

ومنها الاستفهام بـ «الهمزة» كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّهِ عَفْوَراً رَجِيماً﴾ (٧٤) (٣)

٧ - الأمر وحده: كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى
وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) (٤)

٨ - النهي والأمر معاً: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلظَّالِمِينَ حَصِيماً﴾ (١٠٥) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوراً رَجِيماً (١٠٦) (٥)

٩ - الإخبار: في قصة السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت نجد الأفكار التالية التي يسمعها الرجل العاقل اللبيب فيمتنع
أن يكون مثل أصحابها:

أ - نبذ فريق من الذين أوتوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ب - جاءهم الحق، فتناسوه كأنهم لا يعلمون.

ج - اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.

د - لم يكفر سليمان، والشياطين كفروا.

(١) سورة هود، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

هـ - المتعامل بالسحر ما له في الآخرة من خلاق .

فكان هذا الإخبار نصيحة وحضاً على التزام الطريق الصحيح .

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُم لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُونَ وَمَرْيَمَ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَّا اشْتَرَاهُ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (١) .

وكذلك الإخبار في قوله تعالى: ﴿لَن نَّأْلُوا آلِهَةً حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِنَّا مُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ (٢) .

١٠ - الوصية: وهي أسلوب رفيع في النصيحة والحض عليها .

وقد ذكرت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة في صيغ عديدة فيها الأدب العالي والأخلاق الرفيعة . . فمن أمثلتها:

أ - ما وصى به الأنبياء أولادهم في التزام التوحيد . . قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (٣) .

ب - ما وصى به الله تعالى أولي العزم من الرسل حين شرع لهم، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٠١، ١٠٢ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢ .

وَصَيَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ . ﴿١١﴾ .

د - وفي ثلاث آيات من سورة الأنعام نجد وصايا متتالية، مصابيح هداية تنير للسالكين دروب الهداية، وسبل النجاة، قال تعالى:

﴿قُلْ تَمَّالُوا أَتَدُلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

١ - أَلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا

٢ - وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا

٣ - وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ

٤ - وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

٥ - وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ .

٦ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ

٧ - وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

٨ - وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

٩ - وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ .

١٠ - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴿٤﴾ .

وأساليب النصيح في القرآن الكريم كثيرة، كثيرة... بحسب الليب أن يراجع الآيات الكريمة بتفحص وإمعان، ليجد فيها ما يساعده على الوصول إلى قلب السامع والمخاطب...

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

المشورة

لماذا يستشير أحدنا غيره، وهل من فائدة في المشورة؟
إذا استشرت فقد طلبت النصح، لتصل إلى وجه الصواب، وتستشير
برأي الآخرين.

ففي الاستشارة - إذاً - فوائد كثيرة منها:

- ١ - الاستنصاح للوصول إلى الوجه الأكثر كمالاً.
 - ٢ - عدم الانفراد بالرأي، فالانفراد يعدُّ خطأً وضعفاً.
 - ٣ - تحميل الآخرين مسؤولية اتخاذ القرار، والمشاركة فيه.
 - ٤ - بناء مجتمع متماسك، يشعر كل واحد فيه أنه لبنة مفيدة.
- والشورى ركن مهم من أركان المجتمع الإسلامي، حُضَّ عليه ديننا
العظيم، فقال: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١) فلا ينفرد في القرار أحد، ويتعاون
الجميع على إنضاجه وإبرامه، ليكون أكثر إحكاماً وسداداً.

- وقد كان رسول الله ﷺ كثير المشورة لأصحابه، في أمور الحياة
سلمها وحرّبها وقد مدح الله تعالى رسوله ﷺ، باللطف في معاملة أصحابه،
فالتفوا حوله واجتمعوا عليه، على الرغم من أخطاء الكثيرين منهم، ولو لم
يكن كذلك لتركوه ونفروا منه، وقد أمره الله سبحانه - والرسول ﷺ - قذوتنا -

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

أن يعفو عنهم ويتجاوز عن إساءاتهم، ويطلب لهم المغفرة من الله تعالى، ويستشيرهم في جميع أموره، ليقنتدي بفعله الناس ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُرُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (١).

- وكان التشاور - وما يزال - من شيم المجتمع الإسلامي حتى في الأمور العادية، فإن طلق رجل امرأته، وله منها ولد ترضعه، فاتفقا - ليذهب كل واحد في سبيله فتزوج هذه المطلقة - على فطامه قبل انقضاء الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة للولد بعد التشاور لم يكونا آتمين ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (٢).

فهذا مثال وإن كان مهماً فهو بالنسبة إلى غيره من الأمور يعتبر عادياً، ومع ذلك فقد استحسِن فيه التشاور، فما خاب من استشار.

- والمشورة ترتفع بالمستوى الإنساني إلى درجة عالية، لا ينفرد بها المسلمون فقط، إنما هي سمة عامة بالمجتمع الذي يريد أفرادها الحياة الطيبة، والوصول إلى المكانة اللاتفة، والطريق الصحيح الموصول إلى الغاية الصحيحة.

فهذه ملكة سبأ، يأتيها من سليمان عليه السلام، كتاب يلقيه عليها الهدهد، فتفتحه فإذا أوله بسم الله الرحمن الرحيم، ومضمونه دعوة إلى توحيد الله، والانقياد لأمره وطرح التكبر، والسفر إلى الشام مع وجهاء قومها مسلمين طائعين، موحدين، فجمعت كبار قومها، وأهل الرأي والمشورة قائلة: ﴿بَنَاتِيهَا... الْمَلَأُوا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣).

قال القرطبي: (أخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها في كل ما يعرض لها، فراجعها الملاء بما يقر عينها، فأعلموها بقوتهم وبأسهم،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) الفصال: الفطام.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

ثم سلموا الأمر بعد المشورة إليها، وهذه محاوره حسنة من الجميع).

قال الحسن البصري: (فوضوا أمرهم إلى امرأة - نعم إلى امرأة - فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم منهم رأياً وعلماً، فقالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١) وهكذا فعلت ثم رأيت الحق أحق أن يتبع، فذهبت إليه، وأمنت به، وتزوجته، فكانت من الناجين في الدنيا والآخرة، وكانت فألاً حسناً لقومها، وهادية لهم إلى الإيمان بحسن عملها.

- وفعل فرعون ما فعلت ملكة سبأ من المشورة، لكنه بجبروته وتكبره حاد عن الطريق وسقط في الحضيض.

فحين جاء موسى وهارون يدعوانه وقومه وبني إسرائيل إلى الإيمان بالله، جادلتهما فرعون، وحاول إرهابهما، وتخويفهما، فردّ عليه موسى ردّاً عقلياً يدلّ على الإيمان العميق بالرسالة التي كلف بها، وقارعه الحجّة بالحجة. فلما أفلس هدّده بالاعتقال والسجن. . فما كان من موسى إلا أن أظهر آيته اللتين زوّده الله تعالى بهما - إلقاء العصا، فتنقلب حية تسعى، وإدخال اليد في فتحة القميص وإخراجها بيضاء تلمع وتضيء -، فلما رأى فرعون هاتين الآيتين بُهِتَ أول الأمر، ثم استعان بالأعوان، لا ليدلّوه على الطريق الصحيح، والدين القويم، إنما ليعينوه بمكرهم، ودهائهم، على التصدي لهذا النبي الذي يملك سلاحاً قوياً كاد يعصف بفرعون، وعرشه، فلم يقل ما قالته ملكة سبأ: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾، طالبة النصيح والرشاد بل أعلن كفره بموسى ابتداءً، فحرّض هؤلاء عليه حين قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(٢)، فكانوا كما أراد فرعون، فقد فهموا أنّه لا يريد نصيحة حين أوهم أنه يستشيرهم، وعرفوا مرماه، وكانوا كما قال تعالى دائماً إياهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾﴾^(٣)، فقالوا له

(١) سورة النمل، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

ما وافقه وأرضاه وزاد في طغيانه وضلاله ﴿قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَحَاهُ وَأَبَعَتْ فِي الدَّلَائِنِ حَسِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُورَكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ (١).

وكانت النتيجة أن الله سبحانه وتعالى أغرقه وجنوده في اليم، جزاءً وفاقاً على كفره وطغيانه وفساده ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ، وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ جُودًا وَجُودًا فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (٢)، فأمن ساعة لا ينفع الإيمان، آمن وهو يغرق ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّمَ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (٣) فآلوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلقك آيةً وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لعفولون ﴿٤٣﴾﴾ (٣) فكان من الهالكين . . .

- وهذان سيدانا إبراهيم وإسماعيل يضربان المثل الأعلى، في الاستشارة وإن لم تكن استشارة حقيقية . . . فكيف؟

لما ترعرع إسماعيل وشبَّ وبلغ السن الذي يمكنه أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوادثه قال له حين أمر في المنام بذبحه: ﴿يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (٤).

ورؤيا الأنبياء وحيّ فعيونهم تنام، ولا تنام قلوبهم، فلما سأل إبراهيم ابنه: ما رأيك في الذي رأيت، لم يكن يشاوره ليرجع إلى رأيه فهذا أمر حتم من الله وما سألته إلا ليعلم ما عنده، فثبت قلبه، ويوطن نفسه على الصبر، فأجاب ابنه بأحسن جواب: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا أَفَعَلَ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن سَأَلَنِي اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥). وهذا جواب أولي الحلم والصبر والامثال إلى أمر الله والرضا بقضاء الله . . . جعلنا الله تعالى من أهل هؤلاء الكرام لنفوز برضا الله سبحانه وننجو من عذابه، بل قل: لنكون من أهل الله.

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٣٨ - ٤٠.

(٣) سورة يونس، الآيات: ٩٠ - ٩٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

التلطف والاعتذار

يستطيع الإنسان أن يأخذ باللطف ما لا يستطيع أخذه بالعنفوان .
وبالكلمة الطيبة، والابتسامة اللطيفة، يصل الإنسان إلى مأربه .

والله سبحانه وتعالى خلق سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام ليناً هيناً
مع الناس ليكون نموذجاً حسناً حياً للدعاة، ولو كان عصبياً سريع الغضب
ما ألفوه وتبعوه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾^(١) .

وأمره سبحانه أن يقبل من الناس ما عفا وتيسر من أخلاقهم، وأن
يحضّر على فعل ما هو حسن، وأن يتناسى جفاء الجاهلين ذوي القلوب
القاسية ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) .

بل إنه ﷺ كان يستغفر للمنافقين، وظلّ على هذا إلى أن نهاه ربه عن
ذلك، حين قال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) .

وأمره سبحانه وتعالى أن يتلطف في الدعوة إلى الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٠ .

سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ . فالإنسان عقل وكتلة مشاعر، يحسن بالداعية أن يراعيها ويدخل إلى أصحابها من الباب المفتوح والطريق السهلة.

- وحين شعر إخوة يوسف بضعف موقفهم، حين استُخْرِجَتِ السْقَايَةُ من رحل أخيه وأخذه - ظاهرياً - رقيقاً بشرع يعقوب، إذ السارق يستعبد، جاءوه بطرف منكسر، ولطف حزين، فقالوا يستعطفونه ويتزلفون إليه: ﴿... يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

وما عكموا حين رأوا أباهم عمي من شدة حزنه على يوسف من قبل، وبينامين من بعد، إلا أن أعادوا الكرة ودخلوا على يوسف مستعطفين بما وصلت إليه حال أبيهم وبفقرهم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْحَمَةٍ فَاقْرِبْ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْرِي الْمُنْتَضِينَ ﴾ (٣).

وحين سقط في أيديهم وانكشفوا أمام أبيهم، وكانوا قد انكشفوا أمام أخيهم، فسامحهم، قالوا لأبيهم معتردين: ﴿... يَتَأَبَّأْنَا بِكَ يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٤).

فنسي الأب أو تناسى إساءتهم والأب عطوف رحيم بأبنائه، سامحهم فوراً ف ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥).

- وهذا سيدنا موسى يقابل الرجل الصالح، الذي آتاه الله تعالى رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً. فيسأله أن يرافقه ليتعلم منه ما علمه الله،

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

فيشترط عليه الرجل الصالح أن لا يسأله عن شيء حتى يخبره هو به، فلما ركباً في السفينة وخرقها أنكر موسى فعلته، إذ كيف يبادي خيرهم بشر؟!!، فذكره الرجل الصالح بما اشترط فقال موسى معترداً: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَيْبْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (١)، فالاعتذار تعبير عما في النفس من شعور بالذنب، والكريم يغفر للكريم.

- ودخل رجل على الخليفة هارون الرشيد ينصحه، ويذكره بالآخرة، فكان في نصحه عنيماً، فقال له هارون: لقد أرسل الله تعالى موسى وهارون - وهما خير منك - إلى فرعون، وهو شرٌ مني، فقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٣) فخجل الرجل من هارون الرشيد وانقلب الواعظ موعوظاً، والموعوظ واعظاً. فالقول الهين اللين يفعل الكثير ويفتح مغاليق القلوب.

- وحين عاد موسى إلى قومه بعد أن كلم ربّه تعالى وجد بعضهم يعبدون العجل من دون الله، ولم يستطع هارون أن يشيهم، فلم يكن قوياً ذا بأس كموسى فالتفت إلى أخيه غاضباً ممسكاً بلحيته ورأسه و ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ (٤) ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٥) فناداه: «يا ابن أم» متلطفاً معترداً، فسكت عنه غضب موسى، ثم حرّق العجل ونسفه نسفاً.

- وهذه بلقيس زوجة سليمان عليه السلام يأتيها الهدهد برسالة منه يأمرها أن تسلم وتأتيه خاضعة، فاستشارت أهل الرأي وأصحاب الحلّ والعقد من أهل مملكتها، فقالوا لها: نحن أقوىاء، وأولو بأس شديد، ونحن رهن أمرك، فافعلي ما تشائين، فما كان منها - وهي الذكيرة الأريبة - إلا أن قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٣.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة طه، الآيات: ٩٢ - ٩٤.

يَقْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ (١) وما إرسال الهدية إلا نوع من اللطف وحسن التصرف.

- وأخيراً نقف على اعتذار أصحاب الجنة الذين بخلوا على الفقراء فدمرها الله تعالى جزاء وفاقاً فلما علم أصحابها أنهم أخطأوا لجأوا إلى الله سبحانه وتعالى يعتذرون وينيبون: ﴿قَالُوا يَا رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يُّدِيلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَيْكَ رَبَّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٢).

وهكذا نجد صدق رسول الله ﷺ حين يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه» (٣).

وفي قوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» (٤).

وفي قوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه» (٥).



(١) سورة النمل، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة القلم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

العتاب

عتب عليه وعاتبه: لومه وخاطبه مخاطبة الإدلال، طالباً حُسن مراجعته، ومذكراً إياه بما كرهه منه.

ويقال: يُعَاتَب مَنْ تَرَجَى عِنْدَهُ الْعُتْبَى: مَنْ يَرْجَى عِنْدَهُ الرَّجُوعَ عَنِ الذَّنْبِ وَالْإِسَاءَةِ. والعتاب الذي عوتب به رسولُ الله ﷺ في القرآن الكريم يدل دلالة قاطعة - من ضمن الدلائل الأخرى - على أن هذا الكتاب العظيم من عند الله سبحانه وتعالى - لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد - وإلا فكيف يعاتب رسولُ الله ﷺ إذا كان القرآن - كما يدعي السفهاء - من عند رسول الله؟!.

والعتاب أسلوب من أساليب التربية فيه:

- ١ - إظهار عدم الرضا من تصرف، كان غيره أولى أن يُتصرّف به.
 - ٢ - فيه مسحة كبيرة من حب واحترام صادرة ممن عاتب.
 - ٣ - فيه استمرار للعلاقة بين مَنْ عاتب ومن عوتب.
 - ٤ - فيه رغبة في تصحيح الخطأ دون جرح مشاعر المعاتب.
- وسأقدم إن شاء الله صوراً من عتاب الله تعالى نبيه الكريم ﷺ ثم صوراً من عتاب الله سبحانه المؤمنين الصالحين:

١ - فقد قال الله سبحانه وتعالى معاتباً نبيه متلطفاً في عتابه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ لَا

بَسْتَعِزُّنَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا بَسْتَعِزُّنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْكَابَتْ قُلُوبُهُمْ فُهِمَ فِي رَبِّهِمْ يَرْدِّدُونَ ﴿٤٥﴾ (١)

ففي غزوة تبوك استثقل المنافقون الخروج مع رسول الله ﷺ لسبب الشقة، فقال أناس منهم: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا. فقد كانوا مصرين على القعود عن الغزو، وإن لم يؤذن لهم... وقدم الله تعالى العفو على العتاب إكراماً لرسول الله ﷺ قائلاً: عفا الله عنك، ثم قال: هلا تركتهم حتى يظهر لك الصادق منهم في عذره من الكاذب المنافق، ولم أذنت لهؤلاء المنافقين في التخلف عن الخروج لمجرد الاعتذار؟ ثم أكد الله سبحانه وتعالى أن الذي يستأذن كراهية الجهاد في سبيل الله ليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، فالمؤمن يجود بالنفس والنفس في سبيل الله، مخلص في إيمانه متقٍ للرحمن.

- ويقول الله سبحانه وتعالى في قصة أسرى بدر حين اختلفت آراء المسلمين في مصيرهم، فقال بعضهم نقتلهم، وكان منهم الفاروق عمر - رضي الله عنه - حتى يعلم المشركون أن لا هودة مع الكافرين الذين يحادون الله ورسوله، وقال بعض المسلمين - ومنهم الصديق رضي الله عنه - بل نبقى عليهم فيفتدون أنفسهم، ولعل الله يهديهم إلى الدين القويم، ويخرج من أصلابهم من يجاهد في سبيل الله.

وكان الرسول الكريم الرحيم بالناس مع الفريق الثاني، ثم نزلت الآيات تعاتب الرسول ﷺ لإبقائه على الأسرى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَنْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ (٢)

فلا ينبغي للنبي أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أن يكسر القتل في المشركين، ويبلغ فيهم، فالفداء حطام الدنيا الزائل، والله يريد لنا العز

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٣ - ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨.

الباقى، ثواب الآخرة. ولولا أن الله تعالى كتب على نفسه أن لا يأخذ المجتهد فى خطئه لمسّ المسلمين عذاب أليم.

وروى أن هذه الآية لما نزلت قال الرسول ﷺ: «لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر».

ويقول الله تعالى مؤكداً ما سبق المعنى نفسه فى سورة القتال: ﴿وَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصْرَبَ الرَّقَابَ حَقًّا إِذَا أَغْتَمُّوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبُودٌ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَقًّا تَضَعُ الْحَرْبُ أَرْزَاقَهَا...﴾ (١).

- جاء عبد الله بن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، ورسول الله ﷺ مشغول مع جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام، فعبس رسول الله ﷺ وجهه وأعرض عنه فنزل القرآن الكريم بالعتاب: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكُؤُا ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُمُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُؤَ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْفَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾...﴾ (٢).

وجاء الحديث بلغة الغائب تليطاً برسول الله ﷺ لأن الأعمى - ابن أم مكتوم - حين جاءه وهو يحاور المشركين كره الرسول مجيئه حتى لا يقطع حديثاً كان يظن أن المشركين - من ورائه - يمكن أن يؤمنوا.

وابن أم مكتوم كان يريد أن يتعلم، ويتطهر من ذنوبه بما يتلقاه من موعظة الرسول الكريم. ولعله يريد أن يتعظ بما يسمع فكان الأولى أن يلتفت النبى ﷺ إليه ويهتم به، أما الكفار فهؤلاء لا يريدون الإيمان والتطهر من دنس الكفر والعصيان، وليس الرسول ﷺ مطالباً بهدايتهم إنما عليه البلاغ فقط.

٢ - وفى حديث الإفك يعاتب الله سبحانه وتعالى المؤمنين، حين سمعوا هذا الافتراء على الصديقة عائشة زوجة رسول الله ﷺ فلم ينفوا هذه

(١) سورة محمد (القتال)، الآية: ٤.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١ - ١١.

التهمة - وكان أولى بهم أن يظنوا الخير فيها - وهي المرأة الحصان الطاهرة زوجة نبيهم، وهلاً قاسوا الأمر عليهم؟ فهل يفعل الرجل المسلم ما ظنوه في أخيهام صفوان بن المعطل؟! وهل تفعل المرأة المسلمة ما ظنوه في أمهم عائشة؟!.

والله تعالى أمرهم أن لا ينشروا أمثال هذه الافتراءات، بل عليهم أن يسألوا المفترين الطاعنين عن أربعة شهداء، يشهدون أنهم رأوا رأي العين ما افتروه على السيدة عائشة، وإلا فهم كاذبون، والله تعالى يشهد على كذبهم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ (١).

وأترك للأخ القارئ أن يعود إلى الآيات التي تلي الآيتين السابقتين، ليرى ذلك العتاب الذي ساقه الله تعالى مرشداً وهداياً للمسلمين أن لا يتأثروا بالشائعات، وأن يتحكموا بعاطفتهم وأن يحكموا عقولهم قبل أن يُصدروا آرائهم وينغمسوا فيما أَرَادَهُ الْمُنَافِقُونَ لَهُمْ مِنْ سُوءٍ.

- كان الرسول ﷺ قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت غير من الشام بطعام قدم بها «دحية الكلبي» وكان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سبغ - وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سروراً بها - فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله قائماً على المنبر، لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية تدل على أن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، فليطلبوا الرزق من الله وليبتغوا مرضاته: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

١ - ﴿إِذَا تُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

(١) سورة النور، الآيتان: ١٢، ١٣.

٢ - فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

٣ - وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

٤ - قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ (١).

فكانت هذه الآيات عتاباً مرشداً، وتأنياً خفيفاً مناسباً، يعلم المسلمون ملازمة الخير الأبدي والفضل الدائم.

- نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى... لما تطاول عليهم الزمن بدلوا كتاب الله الذي بين أيديهم، ونبذوه وراء ظهورهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، فعاتبهم قائلاً: أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم وتلين لمواعظ الله، ولما نزل به الكتاب من الآيات الواضحة؟... ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُوا ﴿١٦﴾﴾ (٢).

فقال المؤمنون الصادقون: «لقد آن لنا يا رب لقد آن».

والعتاب من المحب للمحجوب يفتح القلوب للخير، والأفئدة للعصاوب والعقول للحق، دون استشارة أو حنق.



(١) سورة الجمعة، الآيات: ٩ - ١١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

عدم التدخل فيما لا يعني

ما أبلغ قول: «رحم الله امرأ عرف حدّه، فوقف عنده». هذا دعاء لإنسان حفظ نفسه، وجودّه وغيبته، وامتنع عن الخوض في أمر لا يخصه، فاستراح من تجريح الناس وانتقاداتهم، سلبية كانت أم إيجابية، ولم يترك لهم مجالاً ينفذون منه إليه. وقد قيل قديماً: (من تدخل فيما لا يعنيه وجد ما لا يرضيه).

- ولكننا هنا - أيضاً - نلفت النظر إلى آداب إسلامية، وقيم إيمانية هي:
- ١ - أن يفكر الإنسان في ما حوله، ويتدبّر ما يراه دون أن يقحم نفسه في أمور لم تطلب منه، ولا تعود بالنفع على مجتمعه.
 - ٢ - أن ينأى بنفسه عن المواقف المحرجة، فإن كان لا بد فاعلاً كأن يناط به مهمّة ما، فليتدخل بمقدار ما تسمح له الحاجة، على أن يتسلح بالأسباب، ويقدم الأعدار التي توضح موقفه.
 - ٣ - أن يوطن نفسه على ردود فعل قد تناله بما لا يسره، فيتحمّلها بصبر ويستوعبها بحكمة، ويمتصها بوعى، ثم يوجهها الوجهة المناسبة، أو يتغاضى عنها كأن لم تكن، فهو إذ ذاك يمتلك الموقف مبرئاً نفسه أو موضحاً موقفه.

وباب هذا الأسلوب القرآني التعليمي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) (١)،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلْ لَكُمْ﴾ (١) فكل شيء يأتي في الوقت المناسب للأمر المناسب.

ولا ينبغي أن نفرض رأينا فيما لا نعرفه فهؤلاء المشركون استنكروا أن يكون سيدنا محمد ﷺ رسولاً واقترحوا أحد هذين الرجلين «الوليد بن المغيرة» في مكة، أو «عروة بن مسعود الثقفي» في الطائف رسولاً إليهم من ربهم فهما من كبار عظماء مكة والطائف، ومحمد ﷺ فقير يتيم، ظناً منهم أن العظيم ذو الجاه والمال، وفاتهم أن العظيم عند الله له مقاييس العظمة التي تؤهله لرضى الله سبحانه وتعالى من سمو الروح، وعظمة النفس، وامتلاك نواصي الخير، وليس لأحد أن يقترح الرجل الذي يريده ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ

مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ (٢).

وليس لأحد حتى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزيد فيما كلف به أو يتقول ما لم يؤمر به ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِينٌ ﴿٤٧﴾ (٣).

ولم يدع الرسول ﷺ أنه يفعل ما يشاء، أو يعلم الغيب فله حدود لا يتخطاها ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (٤)، ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٦) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٥﴾ (٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٥) سورة ص، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

ولما كذبوا بما جاء به الرسول ﷺ أوعدهم العذاب، فتحذره قائلين
 قل لربك يرسل علينا عذابه، فكان جواب القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
 مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصِّلُ الْحَقَّ
 وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ (١).

فليس لرسول الله ﷺ أن يحاسبهم، أو يستعجل لهم العذاب، أو ينأى
 عنهم ويهجرهم، فهو مرسل يفعل ما يؤمر، وينفذ أوامر ربه، قال تعالى:
 ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿فَإِن أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ
 عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ
 الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْفُرُ إِن أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
 مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ (٤).

وما دور الرسول ﷺ إلا الإنذار فهو مرسل فقط لا يستطيع أن يفرض
 على الناس الإيمان، فهو هبة من الله سبحانه وتعالى للناس، قال تعالى:
 ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (٥)، وقال سبحانه:
 ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ
 مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ (٦)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُكَيْلٍ ﴿٧﴾﴾،
 وقال: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (٨).

وحين رأى المشركون أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به، من
 ضعفاء مكة وعبيدها قالوا له: اطردهم من مجلسك لأنتيك، فنحن لا نجلس

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٥) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٦) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٧) سورة الشورى، الآية: ٦.

(٨) سورة فاطر، الآية: ٢٣.

مع هؤلاء!! فما كان من القرآن الكريم إلا أن أعلن عكس ما يريدون فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

أ - مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

ب - وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ

ج - فَتَقْرَأُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾^(١)

بل إنه سبحانه عظم هؤلاء المؤمنين وأمر رسوله الكريم أن يتبسط لهم، ويكرمهم فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيَّكُمْ...﴾^(٢)

وأمر الله رسوله - وهو قدوتنا وعلينا أن نفعل مثلما يفعل لنكون قريبين منه - أن لا ينظر إلى متاع الدنيا وأن لا يتمناه فهو فتنة فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٣)

وهؤلاء الناس تجادلوا في عدد أهل الكهف، وما يجدي معرفة عددهم؟ وهل ترفع هذه المعرفة صاحبها؟ لا... ما هو إلا مرآة لا غنى فيه ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤)

ولعل من الإعظام لرسول الله ﷺ، أن ننوّه إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على إيمان الجميع، خوفاً عليهم من نار جهنم وراغباً أن يكونوا من أهل الجنة فهو رؤوف بالمسلمين، رحيم بهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥)

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

فتراه يهتم إن رآهم معرضين، حزناً كاسف البال، فينبهه الله سبحانه بلطف إلى أنه لن يؤمن إلا القليل، فلا يهلك نفسه حزناً عليهم، ولا يتحسر عليهم ﴿فَلَمَّا لَكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ مَا آتَاهُم إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْبَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (٢).



(١) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.

الكتمان والسرية

يقولون: إذا شاع السر بين اثنين فقد فشا.

ويقولون: إذا لم تستطع حفظ سرك في صدرك، فلا تلومنَّ على بثه أحداً.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان».

ولحفظ السر فوائد عديدة منها:

- ١ - أن عدوك لا يعرف ما نويته وخططت له، فهو منك دائماً على حذر.
 - ٢ - أن أمرك يظل في يديك ما دمت تحفظ سرك فإن ذاع انكشفت.
 - ٣ - أن أصدقاءك يأتنونك على أسرارهم فانت ثقة عندهم.
- وفي القرآن الكريم عدة مواضع فيها أمر بالكتمان ليظل الموقف سليماً مستوراً.

فقد رأى يوسف في المنام رؤيا قضها على أبيه يعقوب.. فما هي؟
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾﴾^(١)، فعلم الأب أن يوسف سيكون نبياً، يبلغه الله مبلغ الحكمة، ويجعله ممن اصطفاهم، ويعلمه تفسير الأحلام، وأن إخوته حين

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

يعلمون أنه سيكون نبياً من دونهم سيحتالون لإهلاكه حسداً وغيره منه ف
 ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ
 عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ (١).

وقد دعت امرأه العزيز وراودته عن نفسه فأبى، فحاولت أن تكيد له
 فأدعت أنه هو الذي راودها، فبرأه من كيدها أن قميصه قد من دبر، وأن
 واحداً من أهلها شهد ببراءته، وأن النساء قطعن أيديهن دهشة لجماله، وما
 عذبن يصبرن عن لقاءه، فقال العزيز: نسجنه كتماناً للقصة أن تشيع في العامة
 ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ (٢).

وتمر الأيام وتنقضي السنون، ويصير يوسف عليه السلام الوزير
 المؤتمن على خزائن الأرض، ويأتيه الناس من أصقاع الأرض للميرة، ومن
 بينهم إخوته أولاد أبيه الذين أرادوا إهلاكه، فأكرمهم، لكنه أخبرهم أنه لن
 يميرهم في المرة القادمة إلا ومعهم أخوهم بنيامين، وهو أخوه الشقيق،
 واستعجالاً لعودتهم جعل ثمن البضاعة داخلها، وكأنه نسيها معهم فاضطروا
 للعودة ومعهم بنيامين بعد أن أخذ منهم أبوهم العهد أن يحافظوا عليه فلا
 يغدروا به.. ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
 أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (٣) فاستكتمه، ذلك أنه أراد أن يعلم إخوته
 أنهم أخطأوا في حقه.

وقد أحسن يوسف إذ وصى أخاه أن يكتم سرهما، فما علموا أن
 أخاهم سرق حتى افتروا على يوسف قائلين: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ
 مِن قَبْلٍ﴾ (٤) فهل أظهر يوسف لهم حقيقة يوبخهم ويعريهم بكذبهم هذا؟
 لا فما تزال القصة في أولها ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (٥)

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٠.

(٤) مكرر سورة يوسف، الآية: ٧٧.

(٥) مكرر سورة يوسف، الآية: ٧٧.

وهذا يدل على فكر سديد وحكمة بالغة وصبر على المكاره.

- وهؤلاء أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم إلى الله ينامون فيه ثلاث مئة وتسع سنوات، وحين يأذن الله بيقظتهم يشعرون بالجوع ويقول بعضهم لبعض: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١).

إذا فللسرية والكتمان:

١ - يرسلون واحداً فقط لشراء الطعام.

٢ - ويتلطف في دخول المدينة.

٣ - ويتصرف بهدوء وحكمة حتى لا يتعرف عليه أحد.

وهكذا نجدهم حذرين، راغبين أن لا يعرفهم أحد فيوصل ذلك إلى الملك الكافر المتجبر.

- وحين وُلد موسى خافت عليه أمه أن يقتله فرعون فأوحى الله تعالى إليها أن ترضعه وتلقيه في اليم، وهو سبحانه المتكفل بإرجاعه إليها. فلما وقع بيد فرعون كاد يقتله لولا أن زوجة فرعون أحبته، ورجته أن يكون قرّة عين لها، وسمعت أم موسى بوصول الوليد إلى قصر فرعون، فجزعت خوفاً وشفقة على ابنها وكادت تبوح بأنها أمه، لكنّ الله تعالى ثبّتها وألهمها الصبر، وهذا نوع من أنواع الكتمان وحفظ السر ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا لَتَكُونَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وتتبعه أخته على الشاطيء الآخر، تقص أثره مستخفية، فرأته اتجه إلى قصر فرعون، وعرضت على موسى المراضع فأباهن فلما خرج الخدم يبحثون عن مريض له خارج القصر دلّتهم أخته على أمه، فجاءت، فلما وجد ريح أمه أقبل على ثديها فقال فرعون: مَنْ أَنْتِ فَقَدْ أَبَى كُلِّ ثَدِي إِلَّا

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

ثديك؟ فكتمت سرّها وقالت: إني امرأة طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا قبلني. فدفعه إليها، فرجعت إلى بيتها ومعها ابنها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهُ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

- أما المنافقون في المدينة فقد كان رسول الله ﷺ وحده يعرفهم بأعيانهم، أما بقية الصحابة والمسلمين فكانوا يشعرون بهم غير متأكدين منهم، يشعرون بهم من تصرفاتهم المريبة ونشرهم للأراجيف، والأكاذيب لبلبله الأفكار، وخلخلة الصفوف، ونشر أخبار السوء، وينضم إلى هؤلاء المنافقين ضعاف الإيمان، أصحاب الفجور.

فهل يترك هؤلاء يعيشون فساداً في مدينة الرسول الكريم ﷺ؟ لا... فقد هددهم الله بكشف خباياهم وفضحهم على الملأ ثم إخراجهم من المدينة، وقتالهم لأنهم يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر... لم يفضحهم الله عز وجل بل كتم حالتهم عساهم يؤمنون... والله بعباده رحيم ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

والكتمان يدل على الإرادة الحازمة لصاحبه، والقدرة على تحمل المسؤولية، ومن ثم التصرف السليم في الأحوال العادية والعصيبة.



(١) سورة القصص، الآية: ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

المعاملة بالمثل

لن تكون ظالماً إذا عاملت المسيء بمثل ما عاملك به من سوء، بل تكون عادلاً ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

فإذا ما كلت له الصاع صاعين دونما حاجة إلى ذلك كنت ظالماً، أما إذا نويت أن تردعه عن غيّه وفساده، وزجره عن إساءته فلا بأس في ذلك.

أما إذا أحسن إليك أحدهم فرددت عليه إحسانه دونما زيادة كنت عادلاً كذلك، فإن زدته في الخير وأكرمته كنت محسناً. . والإسلام يحثنا على ذلك ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَمِحُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٢)، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣).

والقرآن الكريم مليء بكثير من هذه الآيات التي تدعو الإنسان أن يتفكر ويتدبر، فلا يقدم على الإساءة إلى نفسه والآخرين كيلا يرى جزاءً وفاقاً لما قدمت يدها، وليقدم على الإيمان وفعل الخير والإحسان لينال الفضل والرضوان.

قال تعالى: ﴿وَمَا نُنْفِئُوا لِأَفْسَاكُم مِّنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾^(٥) ﴿٣٨﴾ فإن كسبت خيراً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

لَقِيتَ خَيْرًا وَإِن كَسَبْتَ شَرًّا لَقِيتَ شَرًّا، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّنَّا عَمَلًا وَّلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (١٩) (١).

وتأمل هاتين الآيتين الكريمتين، تصف الأولى المنافقين والمنافقات ونسيانهم الحق، وتصف الثانية المؤمنين والمؤمنات وعملهم الذي يثابون عليه:

١ - ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ

أ - يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ

ب - وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ

ج - وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ

د - نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ

هـ - إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢٧) (٢).

إذا نسي المنافقون الله فنسيهم...

ووعدهم النار ولعنهم فهم مقيمون فيها خالدين.

٢ - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

أ - يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

ب - وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

ج - وَيُسِيمُونَ الصَّلَاةَ

د - وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

هـ - وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٧٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

فِيهَا وَمَسَلَكْنَ طَلِيبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾ (١)

إذا فالمؤمنون أولياء الله سبحانه يطيعونه وهو سبحانه سيرحمهم...
ووعدهم الجنات الرائعة والمسكن الطيبة بالإضافة إلى ما هو أكبر من ذلك.. رضوان الله سبحانه. وهل هناك أعظم من هذا الفوز؟ لا والله، فلكل جزاؤه حسب عمله...

وهاتان الآيتان صريحتان في مبدأ المعاملة بالمثل. قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾ ﴿١٢٤﴾ (٢) فلماذا؟.. لأن الله تعالى العادل الذي لا يظلم أحداً قرّر، وأمره نافذ:

أ - ﴿أَلَا نُرِزُّ زُرَّةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿٣٨﴾

ب - وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

ج - وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

د - ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ (٣)

وإليك الأمثلة تنرى:

قال تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَّكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَّكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ ﴿٨٥﴾ (٤)

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَسْمَعْتَنِي بِرُسُلٍ مِّن قِبَلِك فَحَقَّقَ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ تُدْ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ (٥)

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة النجم، الآيات: ٣٨ - ٤١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠، ١١.

إنَّ الذين يَمكرون بالمؤمنين، ويكذبون دين الله ورسله يهددهم الله سبحانه أن يكون عقابهم شديداً، بل قد يكون متنوعاً على قدر سوء أعمالهم سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ

أ - أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ

ب - أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

ج - أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾

د - أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾^(١)

وهذا ذو القرنين حين خيره الله سبحانه وتعالى تعذيب من قاتله أو الإحسان إليهم سار على القاعدة نفسها:

﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾

وَأَمَا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٨٨﴾﴾^(٢)

فهناك إذا إكرامان: في الدنيا القول الحسن وما يناسب، وفي الآخرة الجنة والحسنى. وعذابان: في الدنيا عذاب بيد المؤمنين، وفي الآخرة عذاب الله تعالى.

- ماذا حلَّ بمن خالف نبيَّ الله صالحاً عليه السلام، فكفر به، وقتل الناقة، وتأمّر على قتل النبي نفسه وأهله.. إنه الجزاء من جنس العمل:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سِتْمَةٌ رَهَطٌ يُنْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

وَأِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةً بِمَا ظَلَمُوا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾

وَأَجْمَعْنَا آلَ الْيَتِيمِ ءَامَنُوا وَكَاثُرًا بِنَفْسِهِ ﴿٥٣﴾ (١)

فقد أصر هؤلاء المجرمون على:

أ - قتل النبي وآله .

ب - وإنكار فعلتهم الشنيعة .

فماذا كان من أمرهم؟ ... هم يدبرون والله تعالى يدبر وينفذ ويحمي رسوله الكريم صالحاً وأهله المؤمنين .

أرسل على ثمود صيحة قوية دمرتهم جميعاً، وما تزال بيوتهم خاوية تشهد على ظلمهم أنفسهم، وعلى قدرة الله فيما يريد... ولا راداً لقضائه .

ويقول سبحانه:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا

وَهُمْ مِنْ فِرْعَ بَوْمِيذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُتِبَتْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ (٢)

فصاحب الحسنة:

١ - يأخذ أفضل مما عمل .

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٨ - ٥٣ .

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٨٩، ٩٠ .

٢ - لا يخاف العذاب يوم الآخرة حين يخاف الناس .

وصاحب السيئة :

١ - يلقي في النار على وجهه خائباً خاسراً .

٢ - يوتخ على سيئته ويقرغ عليها .

وقال تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ (٢) فهو الغفور الرحيم .

- وحادثة الإفك مشهورة تولى كبرها المنافق عبد الله بن أبي بن سلول الأب، كبير المنافقين، حين قال كلمته الفاسقة عن زوجة رسول الله ﷺ، تلك الزوجة الطاهرة الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - وعن الصحابي الفاضل صفوان بن المعطل، وكل من خاض في هذه الحادثة له نصيب مما فعل . . وقد كانت درساً كبيراً تعلم فيه المسلمون أن يعتقدوا الخير في الرسول وآله، والخير في المسلمين عامة وأن يمحصوا كل ما يسمعون قبل إذاعته . . ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُم بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍِ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ (٣)

أما اليهود أخزاهم الله تعالى فقد أكرمهم الله عز وجل، فأرسل إليهم

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٥ .

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠ .

(٣) سورة النور، الآية: ١١ .

سيدنا موسى عليه السلام وأخرجهم من الذل الذي كانوا فيه عند الفراعنة في مصر، وهياً لهم دخول القدس، وبذل لهم من نعمائه الشيء الكثير فما كانوا ليؤمنوا، فعاقبهم بما يستحقون.

وعودة إلى سورة الأعراف الآيات [١٦٠ - ١٦٥] تجد هذه النعم الكريمة الوافرة التي وهبهم الله تعالى إياها، فما رعوها حق رعايتها فعاقبهم بما يستحقون ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

﴿...كَذَلِكَ تَبَلَّوْهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣)، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْحَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِمْ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤).

وأخيراً يأمرنا الله تعالى إذا عاقبنا أن يكون العقاب مساوياً للجريمة، وينبهننا إلى أن العفو خير وأجدى، ولأن الله سبحانه يجزي الصابرين الأجر الجزيل، ويعوض العافين الخير الوفير.

أ - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾

ب - ﴿وَلَنْ صَبْرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٥)

ج - ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

د - ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٦)

ه - ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة النحل، الآيات: ١٢٦ - ١٢٨.

فالعفو عند المقدرة شيء رائع فهو:

- ١ - استعلاء على تفاهات الحياة.
 - ٢ - تعظيم للمسلم في أعين الناس.
 - ٣ - دفع للآخرين أن يكونوا مثله ويتبعوه.
- ولكن لا تثريب عليك أن تعامل الآخرين بالمثل.



الترغيب والترهيب

القرآن الكريم كتاب ربنا سبحانه وتعالى إلينا، يهدينا بما فيه من حقٍ ووضوح إلى صراط الله المستقيم، ويفتح لنا بفضله وكرمه آفاق الحياة على نهج مضيء، وسبيل واضح.

في الإنسان بذرة خير إن تعهدتها بالعناية والرعاية زكت ونمت، فأضفت على صاحبها من حوله الأمن والأمان والسعادة والهناء.

وفيه بذرة شر إن أهملها، ولم يلق إليها بالاً، زاحمت بذرة الخير ودافعتها، فإذا ساعدتها نوازع فاسدة، كامنة في حنايا الإنسان اشتدت واستفحلت، وبدا خطرهما على صاحبها ومن حوله، فدبت الفوضى وضربت أطناها في المجتمع.

ومن طبع الإنسان أن يعمل الخير، لأن الله تعالى فطره على الهدى والصلاح، ودله على طريقه.

ومن طبعه أن يقع في الخطأ والتفلة والتهاون، لأن الله تعالى خلقه من عجل، وخلقه ضعيفاً يصيب الذنوب والآثام.

لذلك كانت الجنة للتائبين العائدين إلى ربهم، والنار للعاصيين المتكبين سبيل الهدى والرشاد.

ونرى القرآن العظيم يستعمل أسلوب الترغيب والترهيب بمقدار ما يقوم سلوك الإنسان، فيمضي به إلى ما يرضي الله تعالى، حتى إذا لقيه أجزل له الثواب، ونجاه من العقاب.

وليس في القرآن - على الأغلب الأعم - آية ترغيب إلا تبعها ما فيه ترهيب، وما من آية فيها ترهيب إلا تبعها ما فيه ترغيب.

فالترغيب والترهيب متلازمان، والحكمة في ذلك:

١ - التذكير الدائم بالثواب والعقاب ليظل الإنسان حريصاً على نيل المثوبة والبعد عن العقوبة.

٢ - أن مَنْ لا يؤثر فيه الترغيب وثوابه، يؤثر فيه الترهيب وعقابه.

واني لأعجب ممن يدعون الباع الطويل في التربية، والخبرة المديدة في مضمارها أنهم يرفضون الترهيب أسلوباً للتربية، ويكتفون بالترغيب زاعمين أن الخوف من العقاب يجعل صاحبه يلتزم ما يؤمر به، وينتهي عما نهى عنه بالإكراه، فإذا زال سبب الخوف تصلّف وعاد سيرته الأولى، فهم - لذلك - يدأبون على نوع واحد من التربية هو الترغيب، ويقولون إن الترهيب يخلق جيلاً جباناً معقداً... والردّ عليهم بسيط لأنه جواب الفطرة:

أولاً: إن الله تعالى أعلم بالإنسان وما يقومه، فهو الذي خلقه فقدره، يعلم ما يصلحه، والقرآن الكريم الذي أنزله مَنْ يعلم السرّ وأخفى مليءً بالترغيب والترهيب.

ثانياً: التربية غير محددة بزمان ولا مكان حتى نقول: إذا زال الخوف تفلّت وعاد سيرته الأولى!، ولا نقول كذلك: إذا زال الترغيب تفلّت وعاد سيرته الأولى، فهما مستمرّان إلى آخر يوم من حياة الإنسان.

كما أن الترغيب والترهيب لا ينبغي أن يكونا طارئین على حياة الإنسان، إنما يجب أن يكونا من مكونات نفسه يصحّبانه في حياته، ويكونان دافعاً ذاتياً إلى الخير، وكابحاً ضمئياً عن الشرّ.

ثالثاً: إن الواقع ليكذب ادعاءاتهم، فالحوافز ذات تأثير كبير في بذل الجهد للوصول إلى الهدف.

لكنّ الخوف من الوقوع في المحذور أكبر تأثيراً، فقد تجد أناساً يبذلون الجهد، ويسعون بخطا حثيثة للوصول إلى الأحسن، لكنك ترى عامّة

الناس يبذلون الجهد ويثابرون على أمرٍ ما خوف الانتكاسة والعودة إلى الورا، والسقوط فيما يحذرونه ويتجنبونه.

فالترهيب كالترغيب تأثيراً، والقرآن الكريم يتناولهما بمقدار يناسب المطلوب، لأنهما كجرعة الدواء، ينفع إن استعمل بحكمة، ويضر إن زاد عن الحد.

- فمن الأمثلة عليهما، قوله تعالى مخاطباً الكفار الزاعمين أن القرآن مفترى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

أ - فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ

ب - وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

ج - فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (١).

فهم لا يستطيعون إيجاد سورة واحدة تشابه سور القرآن الكريم، ولو استعانوا بكل المخلوقات إنسهم وجنهم. ولما كانوا - هكذا - عاجزين فليعلموا أن القرآن منزل من رب العالمين، أما جزاء الكافرين فنار الله التي تأكل الحجارة لقوتها وشدتها، فضلاً عن المجرمين الكافرين، الذين عصوا الله ورسوله. ونعوذ بالله من عصيانه، نشهد أنه الملك الجبار، الواحد الأحد، الفرد الصمد... إنها كلمات تهز أرباب النهي وأصحاب العقول.

فيذا ما أحسَّ الإنسان تلك الرعدة في قلبه جسمه، وعلم أنه عاجز ضعيف التجأ إلى القوي العزيز فسمعه يقول:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أ - أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

ب - كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ

ج - وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا

د - وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

هـ - وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (١)

فالآية فيها بشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات.

وهذه البشري جنات، وليست جنة واحدة، فيها الماء الكثير الزلال، ثمارها تشبه في الصورة ثمار الدنيا، ولكن طعامها ولذتها لا يعدلها شيء. لهم في هذه الجنات نساء طاهرات زاكيات، لسن كنساء الدنيا المرهقات بمطالبهن، الكثيرات في إيدائهن.

وليس في الجنة موت، بل نعيم خالد، وحياة رغيدة تدوم أبد الأبد، وتزداد خيراً وفضلاً... نسأل الله أن يجعلنا من أهلها:

فحين تعتور الإنسان هزة الخوف، ويرتعد من عذاب الله إن كفر وضل يجد السكينة والأمان، في الإيمان بالله، والعمل على مرضاته.

ترغيب وترهيب يصوغان فكر الإنسان، ويدفعانه للصواب والرشاد.

- وتأمل معي التمازج الرائع بين الترغيب والترهيب في هذه الآيات الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٥﴾

وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٦﴾

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٧﴾ (٢)

فالجملة الأولى تحذير، الثانية ترغيب والثالثة تحذير والرابعة ترغيب.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

تتابع الجمل محذرة ومرغبة، فتندمج الرغبة والرغبة في نفس المتلقي لتكون في ذبذباتها الصاعدة الهابطة انفعالاً في النفس المؤمنة، فيتولد الحذر من سوء العاقبة، والأمل في مآل طيب حميد.

- وقارن معي هاتين الآيتين في الوعد والجزاء: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ (١)

- أ - فالذين آمنوا يقابلهم الذين كفروا.
 ب - والذين عملوا الصالحات يقابلهم الذين كذبوا بآياتنا.
 ج - والذين نالوا المغفرة والأجر العظيم يقابلهم أصحاب الجحيم.
 فاختر لنفسك ما يناسبك أيها الإنسان.

- وانظر معي إلى هذا البيان الإلهي الدوي: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩٨) (٢).

هل جاءكم هذا البيان؟ وهل سمعتم الأذان؟
 إماعقاب ما حق ما بين نار ودخان
 أو رحمة لمن أطاع الله في روض الجنان (٣)
 - ومن الأمثلة في الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ

أ - فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ

ب - وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

ج - وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٤٤) (٤).

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٨.

(٣) الآيات للمؤلف.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

والبصيرة هنا القلب المستنير والعقل المدرك تأتيه الآيات البيّنات من ربه فَمَنْ آمَنَ بِهَا وَعَمِلَ بِتَعَالِيمِهَا أَفَادَ نَفْسَهُ وَنَجَا، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهَا وَأَنْكَرَهَا خَابَ وَخَسِرَ... وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ.

- ونجد في المعنى نفسه قول الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

أ - فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

ب - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (١)

وهل أشدّ خسارة من أن يخسر الإنسان نفسه في جهنم خالدًا فيها...!!؟

- وتعال معي أيها الإنسان - إن كنت لبيباً - إلى هذه الصورة ذات الشقين المختلفين:

الصورة الأولى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢)

هذه صورة النعيم للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله، فما صورة الكافرين!؟

الصورة الثانية: ﴿وَأَدَّى أَحْسَبُ الْجَنَّةِ أَحْسَبَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِي أَرْضِهَا وَعِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (٣)

فمن صدّ عن سبيل الله لعنه الله، ومن لعنه الله كان من الخاسرين...

- ومن الأمثلة الشديدة الوضوح قوله تعالى:

أ - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِيٍّ وَّزِيَادَةٌ

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٨، ٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٤٤، ٤٥.

ب - وَلَا يَرَهُنَّ وُجُوهُهُمْ فَتَرُّ وَلَا دَلَّةٌ

ج - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

أ - وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سِنْتَةٍ يَبْتَلِيهَا

ب - وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا

ج - أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ (١)

فمن أي الفريقين أنت أيها القارئ الذكي!!؟

- والأشقياء مأواهم النار لهم من شدة كربهم زفيرٌ لا يخرج من

نفوسهم إلا بشدة، وشهيق لا يدخل نفوسهم إلا بشدة، وقال بعض

المفسرين: إن صراخ الكافرين في جهنم وأصواتهم صوت الحمير أوله زفير

وأخره شهيق - والعياذ بالله - قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٦﴾﴾

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٢٧﴾ (٢)

والسعداء - جعلنا الله منهم - خالدون في جنة يأخذون ما آتاهم ربهم

من فضل وعطاء يتزايدان . . وعطاء الله لأوليائه يستمر أبد الأبدين .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴿٢٨﴾ (٣)

- وفي سورة الرعد مقدمة فيها ترهيب وترغيب ثم ذكر أسباب دخول

الجنة، ثم بيان لعذاب أهل النار مما يجعل أهل الأبواب يسارعون إلى

(١) سورة يونس، الآيات: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٨.

مرضاة الله . . ولكن إذا ضيع الناس عقولهم ما يصنعون؟ إنهم يقتدون بكل شيء دون فائدة.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ﴾

لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعَهُ لَأَفْتَدَوْا بِهِ ۗ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ ﴿١٨﴾

أَمَّن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَمِنَ ۗ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

أ - وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقَ ﴿٢٠﴾

ب - وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ

ج - وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

د - وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

ه - وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

و - وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

ز - وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

ح - وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

أُولَٰئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ، سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ ﴿٢٤﴾ (١)

أ - ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

ب - وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ

ج - وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ (٢)

(١) سورة الرعد، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

فليُنظر أحدنا أي الصفات تنطبق عليه؟ وليعمل لما ينجيه من عذاب الله .

- ونسمع هنا صوت المولى عز وجل - نسمعه بأسماع القلوب الحساسة والأفئدة الصافية - يطلب إلى رسوله الكريم ﷺ أن يخبر عباده بقدرته على العفو والمغفرة - لمن آمن واتقى - والعذاب والويل لمن كفر وطغى: ﴿تَبَوَّأَ عِبَادِي لِيَئْتِيَ أَنَا الْعَفُوُّ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩)

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ (١):

جملتان قصيرتان في اللفظ مليتان في المعنى..

يا رب فاغفر ذنبنا	أنت الكريم الغافر
وارحم إلهي ضعفنا	أنت الرحيم الساتر
واهد القلوب الحائرا	ت فأنت هاد قادر
واكتب لنا الجنات فض	لأ إن فضلك وافر
واغفر بحق المصطفى	ذنبى فضعفي ظاهر ^(٢)

- يا أيها الإنسان إن كنت تريد الدنيا فقط ربما أعطيناك وربما منعناك، وكنت من أهل النار تصلاها خاسئا خائبا، وإن كنت إنما تريد الآخرة وتعمل لها بقلب مؤمن شكرنا لك همتك، وأوصلناك إلى ما تريد ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا﴾ (١٨)

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ (٣):

- وهذه صورة أخرى توضح خاتمة كل من الفريقين.

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) الآيات للمؤلف.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨، ١٩.

(فاختر لنفسك يا إنسان ما نفع).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾

فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا

وَأَن يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي

بِنَسِ الْشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدِنٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ

يُحَلَوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ

نَعَمِ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ (١)

- وافتح أيها الأخ الكريم شاشة العرض، علك ترى فترعوي، فليس راء كمن سمعا، وتدبر فانت في دار الاختيار، فاختر ما ينفعك في آخرتك، وتعرف على أحوال الكافرين، وخذ العبرة منهم، والتصق بالمؤمنين الأتقياء عسى الله أن يلحقك بركبهم فتكون من المقبولين:

﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ

وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿٩٩﴾

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي

وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنجُدُوا عِبَادِي مِن دُونِ أَوْلِيَائِي

(١) سورة الكهف، الآيات: ٢٩ - ٣١.

إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١١٦﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٧﴾

الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٨﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعُ رَبَّهُمْ وَقَلَابِئِهِمْ

فَخِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٩﴾

ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرْتُمْ وَاتَّخَذْتُمْ آيَاتِي هُزُوًا ﴿١٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٢٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

- وعاین آیها الأخ الحبيب مال من كذب باليوم الآخر - والعياد

بالله .

أ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾

ب - وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

ج - إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفَظُّلاً وَمِنْ أَمَامِهَا ﴿١٢﴾

د - وَإِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مُقِرَّيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

ه - لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴿٣﴾ فهم حين أنكروا

يوم البعث والنشور لم يعملوا له وأهملوه فكانت النتيجة:

أ - أن جهنم صارت لهم مآلاً .

ب - يسمعون غضبها وغلبياتها من بعد بعيد وهي تراهم وتتشوق إليهم

وتنتظر الأمر بالتقاطهم .

ج - يدخلونها مصفدين، أيديهم إلى أعناقهم .

د - يلقون فيها في مكان ضيق يختقمهم .

(١) لا يبتغون عنها حولاً: ما يكون فيها أبداً لا يخافون خروجاً عنها ولا تحويلاً .

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩٩ - ١٠٨ .

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ١١ - ١٤ .

هـ - يدعون على أنفسهم بالموت والهلاك دون فائدة.

و - يسخر منهم الزبانية قائلين: ادعوا على أنفسكم كثيراً.

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُنْفِقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءُ
وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلاً ﴿١٦﴾﴾ (١)

فالمؤمنون نجوا من مصير الكفار المرعب، وربحوا الجنة وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فكانوا أهلها ينالون كل ما يتمنون، فالله تعالى وعد المؤمنين بها، وكان حقاً عليه ما وعدهم إياه سبحانه وتعالى.

اللهم اجعلنا من أهل خاصتك في الجنة يا رب العالمين.

- وفي سورة السجدة وصف للمؤمنين يؤهلهم لجنات الله ورضوانه

عسانا نكون منهم ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا

أ - خَرُّوا سُجَّدًا

ب - وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

ج - وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

د - تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

هـ - يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

و - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (٢)

وتعال إلى وصف أهل النار أعاذنا الله من مصيرهم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ

الْمُجْرِمُونَ

(١) سورة الفرقان، الآيات: ١٥، ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٥ - ١٧.

أ - نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ

ب - رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ (١) .

- ولفتة سريعة إلى صورة رائعة للمؤمنين في الجنة ﴿وَجُوهٌ يَأْبَسُهُ نَافِثَةٌ﴾
﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ (٢) .

- ولفتة سريعة أخرى إلى لوحة كثيبة مزرية للكافرين في النار ﴿وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ (٣) .

الأولى: صورة الأبرار من أهل السعادة، وجوههم مشرقة مضيئة من
أثر النعيم، تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله، وهذا أعظم نعيم لأهل
الجنة، رؤية المولى جلّ وعلا بلا حجاب.. اللهم اجعلنا منهم، فأنت ذو
الفضل والكرم والعتاء والمنن.

الثانية: صورة الكفرة ذوي الوجوه الكالحة العابسة، وجوه الأشقياء من
أهل الجحيم. يتوقعون أن تنزل بهم داهية عظمى، تكسر فقار ظهورهم..
نسأل المولى النجاة من هذا المصير المرعب.

وهكذا تتوالى آيات الترغيب والترهيب موضحةً نهاية كل من المؤمنين
الصادقين والكافرين الضالين. تنذر وتحذر، وتبشر وترغب.. أما أهل
البصائر ومن هداهم الله فالإلى رحمة الله، وأما الآخرون ممن حقت عليهم
كلمة العذاب ففي خسران:

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٢ - ١٤ .

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٢٤ ، ٢٥ .

يا رب إنني مؤمن أحب أن تعفو عن
أرجوك أن تغفر لي ما قد بدا من زللي
وحب طه واتبع الـ حق يحيي أملي
إنني إليه أنتمي فهبني حسن العمل^(١)



(١) صور من تأذي الرسول في القرآن الكريم ص ٨٧.

المديح

تقول: مدحتُ فلاناً، إذا أثبتت عليه بما له من الصفات الحميدة.

والمديح:

- أ - تعبير عن الرضا بما يصدر من أعمال أو أقوال تسرُّ وتُحمد.
- ب - صفات محمودة للعاقِلين الواعين ذوي الهمم العالية.
- ج - دفع يشجع الممدوح على التزام ما يرفعه في أعين الناس.
- د - يوحي للآخرين أن يكونوا مثل الممدوحين في هذه الصفات.

وقد مدح الله تعالى أنبياءه الكرام ذوي القدر العلي:

أ - مدح رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾ (٢).

ب - ومدح إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٥) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٦) وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٧)﴾ (٣).

ج - ومدح نوحاً عليه السلام: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٣ - ٥.

(٣) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ . وكذلك مدح إبراهيم وموسى وهارون وإلياس كمدحه نوحاً^(١) .

- القرآن الكريم يسجل للمؤمنين صفات منحتمهم رضاه سبحانه وتعالى، وجعلتهم أهلاً لجنته ورضوانه.
والمنزلة الرفيعة منها:

- الصبر والتوكل على الله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾^(٢) .

- التقوى والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾^(٣) .

- التقرب إلى الله تعالى وإخلاص الدعاء له، ورجاء رحمته، وخوف عذابه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٤) .

- العبودية لله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٥) .

- السجود لله تعالى والبكاء من خشيته والخشوع له: ﴿وَيَحْزَنُونَ لِلْآذِقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١١٩﴾^(٦) .

- الإيمان بالله، والهداية، توحيدهم لله: ﴿إِنَّهُمْ فَتِنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ ﴿١٤﴾^(٧) .

(١) سورة الصافات، الآيات: (٧٩ - ٨١)، (١٠٩ - ١١١)، (١٢٠ - ١٢٢)، (١٢٣) - (١٢٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٧) سورة الكهف، الآيات: ١٣، ١٤.

- عَمَلُ الصَّالِحَاتِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣١) ﴿١﴾.

- أئمة للهدى، يفعلون الخيرات يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة:
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ...﴾ (٢).

- الحكمة والعلم: ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٣).

- كلامهم طيب، أهل الصراط والمستقيم: ﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ (٤) ﴿٤﴾.

- معرضون عن اللغو، حافظون لفروجهم، راعون للأمانة والعهد: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥) ﴿٥﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللّٰغُو مُعْرِضُونَ﴾ (٦) ﴿٦﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٧) ﴿٧﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) ﴿٨﴾.

- ذاكرون لله دائماً، مسبحون، خائفون من عذاب يوم القيامة: ﴿... فِي
يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٨) ﴿٣٧﴾.

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ - ٨.

(٨) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

مشيهم هادىء ليس فيه تكبير فيهم حلم وسعة صدر، يقومون الليل، يتقون الله معتدلون في الإنفاق، يحفظون حرمان الله تعالى ولا يزنون:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾^(١)
يتوبون إلى الله، لا يشهدون الزور: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٦٨﴾﴾

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٦٩﴾^(٢)
تصديق كلام الله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾^(٣)

البراءة من الجاهلين: ﴿... وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَاهِلِينَ ﴿٤﴾﴾

الإيمان بيوم البعث: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾^(٥)

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ - ٦٧.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الروم، الآية: ٥٦.

- تسبيح الله، التواضع، قيام الليل، دفع الصدقات: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَسْجُدُونَ عَنْ جُوبِهِمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (١).

- باعوا أنفسهم لله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢).

- أشداء على الكفار، رحماء بينهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

واقراً معي هذه الصفات الرائعة من المديح: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ (٤).



-
- (١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.
 (٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.
 (٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
 (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

الذمُّ

ذمُّ الرجل: عابه ولامه وأظهر معايبه ومثالبه.

والذمُّ:

- أ - تعبير عن السخط وعدم الرضا.
 - ب - نوع من الهجاء لمن لا ترتضي منه تصرفات وأقوالاً مذمومة.
 - ج - إظهار المعايب المنبوذة التي تسقط مروءة فاعلها كي:
 - ١ - يتجنبه الناس.
 - ٢ - يتجنب الناس الوقوع في مثلها.
- والقرآن الكريم يسجل للكافرين والمشركين والمنافقين صفات سببت لهم غضب المولى سبحانه نعوذ بالله أن نفعلها أو نكون من أهلها.
- منها:

أنهم يزعمون لله سبحانه البنات، مع أنهم يكرهونهنَّ ويتدوهنَّ وأنهم أهل شهوات.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

يُنَوَّرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُمُ عَلَىٰ هُوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ

أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾ .

أنهم أولياء الشيطان: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾﴾ ﴿٢﴾ .

يفترون الكذب، لا يؤمنون بآيات الله، ينشرح صدورهم للكفر، فضلوا الدنيا على الآخرة، طبع على قلوبهم، غافلون: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٥٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ﴿٣﴾ .

ادعوا لله سبحانه الولد: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عِبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ﴿٤﴾ .

طاغون: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿٥﴾ .

مترددون، يعبدون الأوثان، يجادلون من غير علم ولا هدى، متكبرون، يضلون الناس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِمْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ

(١) سورة النحل، الآيات: ٥٧ - ٥٩ .

(٢) سورة الحجر، الآية: ٦٣ .

(٣) سورة الحجر، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨ .

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٨٨ - ٩٣ .

(٥) سورة طه، الآية: ٢٤ .

(٦) سورة الحج، الآيات: ٨ ، ٩ .

عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ
خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ (١)

يكذبون الرسول ﷺ ظالمون، يقولون الزور، يصفون القرآن
بالأساطير: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا
فَهِ تَمَلَّ عَلَىٰ بُكْرَةٍ وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾ (٢)

يدعون أن الرسول ﷺ مسحور: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٣)

يستهزئون بالنبي ﷺ، لا يهتدون كالأنعام، لا يؤمنون بالبعث والنشور:
﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿١١﴾ (٤)

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿١٢﴾ (٥)

أعداء الله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ
عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ (٦)

فاسقون، يجعلون القرآن سحراً، والرسول ساحراً، جاحدون،
ظالمون، مستكبرون، مفسدون، يشكون بالآخرة، عميان عن الحقيقة:
﴿... إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُدُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) سورة الحج، الآيتان: ١١، ١٢.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤١.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٥.

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ (١).

﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكِّ مَنَّا بَلِ هُمْ مِنهَا عَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (٢).

- يؤذون الله ورسوله، ويؤذون المسلمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (٣).

- يتبعون الشيطان: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيِّمٌ مِنْهُمُ ابْنُ مَرْيَمَ إِذِ ابْتُلِيَ بِالْحَقِّ وَقَالَ الْكَاذِبُ لِلْحَقِّ بِرِيبٍ كَذِبًا لِيُتَّبَعَ يُدْعَى بِتُرْبُسِ الشَّيْطَانِ وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا الْوَيْهَانَ ﴿٢٠﴾﴾ (٤).

- يعرضون عن الحق، بخلاء: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْفَعَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ (٥).

- يمارون في الساعة، ويستعجلونها: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ (٦).

- أفأكون آثمون، يصرون على الكفر والاستكبار، يصمون آذانهم عن الحق: ﴿وَقُلْ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجْرٌ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنزلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا يَسْمَعُهَا فَيَنصُرُوهُ بِعَذَابِ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (٧).

- في قلوبهم مرض، قاطعون للرحم: ﴿... فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا الْقِتَالَ رَأَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ

(١) سورة النمل، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٥٧، ٥٨.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

(٥) سورة يس، الآيات: ٤٦، ٤٧.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١٨.

(٧) سورة الجاثية، الآيات: ٧، ٨.

عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿١﴾، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

- لا يتدبرون القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٣﴾.

- فيهم حمية الجاهلية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ﴿٤﴾.

- هم خراصون، ساهون: ﴿قُلِ الْمَرْصُوفُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ
سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾.

- مترفون، يصرون على الذنب العظيم «الشرك»: ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
مُتْرِفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴿٦﴾.

- والمنافقون لا يعرفون الله، فهم يخافون المسلمين أكثر من خوفهم الله،
يؤاخون الكفار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ
قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٧﴾.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٨﴾.

- يمكرون بالمؤمنين: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٩﴾.

- لا يصلون، يدفعون المساكين، يخوضون في الباطل: ﴿قَالُوا لَوْ نَكَّرْنَا مِنْ

(١) سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ١٠، ١١.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٧) سورة الحشر، الآية: ١١.

(٨) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٩) سورة نوح، الآية: ٢٢.

الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكَ نَعْمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِبِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ (١).

- يأكلون حقوق الناس: ﴿وَتِلْ لِلْمُطْفِقِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ (٢).

- يضحكون من المؤمنين، ويتغامزون بهم، ويسعدون لاستخفافهم
بالمسلمين، ويصفونهم بالضلال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا
فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٣).

- قال تعالى في حق أبي لهب وزوجته: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ (٤).

وأخيراً اقرأ معي سورة القلم لترى عديداً من صفات الكفار، والعياذ بالله:
﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِبِينَ ﴿٨﴾﴾

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾

وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

هَٰؤُلَاءِ مَشَّاءٍ مَّنِيءٍ ﴿١١﴾

مَنَاجٍ لِلْحَيِّرِ مَعْتَدٍ ﴿١٢﴾

عُقُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيءٍ ﴿١٣﴾

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٣ - ٤٦.

(٢) سورة المطفقين، الآيات: ١ - ٣.

(٣) سورة المطفقين، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

(٤) سورة المسد.

أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾

إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ مَا آتَيْنَا قَالَ اسْتَطِيرُ الْأُولَى ﴿١٥﴾ (١)

نسأل الله تعالى النجاة من النار، اللهم آمين.



(١) سورة القلم، الآيات: ٨ - ١٥.

السخرية

تقول سخر منه وبه: هزىء. والسخرية: الهزاء. ويكون الهزاء من الإنسان، وقوله، وعمله.

وهو من أساليب التربية التي أكثر منها القرآن.

فقد هزىء القرآن وسخر من المنافقين، والكافرين، والمشركين على أنواعهم لما يصدر عنهم من أحكام تسيطر عليها الأهواء، وأقوال تدل على الغفلة والضلالة، وأفعال تدمغهم بمعاداة الله ورسله وأتباعهم.

والسخرية فيها فوائد عدة منها:

١ - دمع المستهزأ منهم بالفساد والضلال.

٢ - كبح جماحهم وتقريعهم وتوبيخهم.

٣ - فضحهم وبيان هوانهم وتعريتهم.

٤ - تحذير المؤمنين أن يتصفوا بصفاتهم الذميمة.

٥ - الرد على ادعاءاتهم وتخريصاتهم.

وستحدث إن شاء الله تعالى في هذا الأسلوب في:

١ - السخرية اللفظية.

٢ - السخرية المعنوية.

١ - السخرية اللفظية:

استعمل القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ في مجال السخرية، ليست أصلاً من ألفاظها ولعلها تكون ألفاظاً للمدح بدل الذم، منها:

أ - التذوق، والذوق: وهذه اللفظة تستعمل عادة للتلذذ بالأطياب من الطعام والشراب، والحياة الرغيدة المنعمة، وقد جاءت هنا للتبكيك، والتوبيخ، والهزاء، والسخرية، أمثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾^(١). فقد هُزِمَ بنو النضير «اليهود» بعد قليل من هزيمة مشركي مكة في غزوة بدر وأي طعام ذاقوه؟! فقد طردوا من ديارهم، وأخذت أموالهم وبساتينهم وديارهم غنيمة للمسلمين.

- وقوله تعالى في الكافرين الذين تشوى جلودهم، حتى تنضج كما ينضج اللحم المشوي، ففي الدنيا يتذوقون الطعام اللذيذ لهذا اللحم، وفي الآخرة يذوقون العذاب والعياذ بالله... قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى للمتعجرف في الدنيا حين يعذب في الآخرة: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٣)

- أما الذي يبخل في الدنيا فلا يتصدق أو يزكي أمواله، ويكنز الذهب والفضة والمال، ويتلذذ في تكديسه فيذوق العذاب كياً في جبهته، وجنبيه وظهره ويسمع التوبيخ من الملائكة هو وأمثاله من أهل الشح والبخل: ﴿ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾^(٤).

- وترى هؤلاء المجرمين يُسحبون كما تسحب الكلاب إلى جهنم وبئس المصير، لينالوا العذاب جزاء ما اقترفت أيديهم، والملائكة تسخر منهم

(١) سورة الحشر، الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

وتوبخهم: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨) ﴿١٢﴾ (١).

والأمثلة على هذا وافرة وكلها تصب في هذا الباب.

ب - والهدى: عادة ما يأتي لفظها في الوصول إلى الحق والإيمان وسبل السعادة كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدَّهُ﴾ (٢)، لكنها تأتي هنا بمعنى تدفعه وترديه، وأمثال ذلك:

- قوله تعالى في التحذير من الشيطان وموالاته، فهو يقود إلى عذاب النار:

﴿كَيْبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣).

- وقوله تعالى في المشركين الضالين حين تدفعهم الملائكة وتسوقهم إلى

الناس وبش القرار: ﴿فَأَعْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣) (٤).

ج - والبشرى: وتكون عادة لذف الخبر السعيد من ثواب جزيل

ومغفرة من الله ورضوان كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١) (٥).

لكنها قد تأتي في القرآن الكريم بمعنى الإنذار والتوبيخ والتحفير.

أمثال ذلك:

- قوله تعالى يهدد الكافرين والمنافقين بالعذاب الشديد: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ (٦).

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) (٧).

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ (٧) (٨).

(١) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

(٥) سورة يس، الآية: ١١.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٣٨.

(٨) سورة لقمان، الآية: ٧.

- أما الكافر الذي لا يحب سماع كلمة الحق، ويقتل من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر فله عذاب شديد أليم، قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) (١).
- ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) (٢).

والأمثلة في هذا الباب وافرة يمكن العودة إليها.

د - كيف: هذا اسم استفهام يحتاج إلى جواب كقولك: كيف أنت؟ والجواب: الحمد لله رب العالمين، ولكنه يستعمل للسخرية والتفريع في القرآن كثيراً.

كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ (٣)، وكقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبُ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٦).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧).

وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٢٤.

(٧) سورة يونس، الآية: ٧٣.

(٨) سورة الرعد، الآية: ٣٢.

وقوله سبحانه: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨) (١).

وقوله تعالى في قوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَّحْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ (٢٥) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٢٦) (٢).

والأمثلة على ذلك كثيرة.

٢ - السخرية المعنوية:

إن الكفار يسيئون لأنفسهم حين يكفرون، فحين يرسل المولى تعالى رسله إليهم فيكذبونهم يحق عليهم العذاب، فإذا أحسوا بالخطر وتيقنوا نزوله هربوا منهزمين، فتقول الملائكة لهم استهزاء لا تولوا هاربين من نزول العذاب، وعودوا إلى دياركم، وما كنتم فيه من النعمة والسرور، وهذا كله من باب السخرية والتوبيخ. قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْرٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١) ﴿فَلَمَّا أَحَسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢) ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا يَا بُولَلَاءَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٤) ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خُمَلِينَ﴾ (١٥) (٣).

- والمشركون كانوا يظنون أن الله ليس بناصر عبده محمداً عليه الصلاة والسلام، لكن الله يؤكد نصره له، وتأييده لحبيبه ورسوله الكريم، فإن كان هذا التأييد من الله لنبيه يغيظ المشرك والكافر فليغتظ، وليمدد بحبل إلى السقف، وليشوق نفسه، لعله يجد الشفاء لنفسه من غيظه - إنه تهكم شديد، وهزاء قوي من المشركين ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) (٤).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة القمر، الآيات: ١٩ - ٢١.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ١١ - ١٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٥.

- ويصف الله تعالى اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة ليعملوا بها، فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها بالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة النافعة ثم لا ينتفع بها. وهل هناك أشد سُخرية من هذا؟ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥) ﴿١﴾.

- وقال اليهود: إنهم أحباب الله، فقال لهم الرسول الكريم امتثالاً لأمر الله إن كنتم صادقين فادعوا على أنفسكم لتنتقلوا سريعاً من دار الدنيا الفانية، إلى دار الكرامة والنعيم. . ولكنهم كذابون لا يتمنون الموت، لأنهم يعتقدون أنهم أعداء الله، ومصيرهم النار وبئس القرار، ولو كانوا أحباب الله لما عذبهم الله بذنوبهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦)

وَلَا يَمْنُنَ اللَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ...﴾ (٣)

- أما المنافقون فقولهم يخالف ما في قلوبهم، يكذبون، ولا يقولون حقيقة ما في نفوسهم، ويحلفون على الكذب، مخازيهم كثيرة، ورائحتهم زكمت النفوس، فحين يأتون رسول الله ﷺ يشهدون - كاذبين في شهادتهم - أن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله.

والله سبحانه وتعالى يؤكد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ويشهد أن المنافقين كاذبون في قولهم.

هؤلاء المنافقون يجعلون من الحلفان ستاراً لكفرهم، فيغتر بهم المؤمنون ويصدقونهم، ويعتقدون أنهم صاروا من المسلمين، وهم في

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٨.

الحقيقة وبال على الإسلام والمسلمين، وهذه الازدواجية تضر المسلمين.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

أَتَّخَذُوا آيَاتِنَا جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ (١).

هيناتهم ومظاهرهم تعجب الناظر، فصاحتهم وذلاقة لسانهم تعجب السامع، لكنهم أشباح بلا أرواح، وهياكل دون مخابر، لا خير فيهم، فهم والخشب المسندة على الجدار سواء، جنباء خوارون تطيش عقولهم إن سمعوا صيحة الحرب، أو سمعوا نداء عادياً.. هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون فلا يجوز أن نغتر بهم، أخزاهم الله وأبعدهم عن رحمته.. قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسٌ يُؤْذِنُونَ ﴿١١٩﴾﴾ (٢).

- ومن السخرية الشديدة ما وصف الله به الكفار من أنهم:

١ - أهل الأهواء والضلالات.

٢ - هم مثل الأنعام السارحة بل أضلُّ منها، لأن الأنعام والبهائم تهتدي لمراعيتها وتنقاد لأربابها، وتعرف من يحسن إليها.

وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَرَهُمْ يُسْمَعُونَ أَوْ يُعْقَلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (٣).

- ولعل من السخرية الواضحة من المنافقين ذلك الضرب المهين،

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

فالقرآن يصور مهانة المنافقين حين تأتي الملائكة لتقبض أرواحهم، ومعهم مقامع من حديد، يضربون بها وجوههم وظهورهم، استهانة بهم واحتقاراً لشأنهم، لأنهم سلكوا طريق النفاق، وكرهوا ما يرضي الله تعالى فلم يقبل منهم ما عملوا من خير في حياتهم الدنيا، فالله تعالى لا يقبل من العمل الصالح إلا ما رافق الإيمان ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٧٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (٧٨) (١)

- ثم انظر معي إلى كلمة «نبذ» التي تفيد الطرح والإهمال في قوله تعالى يسخر من الغريق فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ وَجُودُهُ فَبَدَنَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) (٢). إنها نبذة لمن لا قيمة له ولا كرامة، نبذة الاحتقار والتهكم بمن قال أنا ربكم الأعلى، وتكبر على الناس وتجبر...
نسأل الله العافية وحسن الختام.



(١) سورة محمد (ﷺ)، الآيات: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٠.

التقريع والتوبيخ

فالتقريع: التعنيف. والتوبيخ: اللوم والتهديد والتعيير.

وهذا الأسلوب دواء لمن أخطأ فأصرَّ على الخطأ، يستوي فيه من أخطأ في موقف، وأصرَّ عليه غير عارف بخطئه، ومن عرف أنه مخطيء فأصرَّ عليه معانداً، وإن كان الثاني أشدَّ زلة، إذاً فالتوبيخ والتقريع نتيجة لتكرار الخطأ دون الرغبة في تركه إلى الصحيح من القول والفعل.

وقد يكون هذا الأسلوب:

- ١ - للمصرِّين على مواقفهم فكرةً وعملاً - وأنت تعلم أنهم لا يراعون - لإقامة الحجة عليهم، كي لا يتصلوا فيما بعد من مواقفهم هذه.
- ٢ - لتتخذ العقوبة المناسبة في حقهم معتمداً على القاعدة التي تقول: (قد أعذر من أنذر) فيكون موقفهم في تذرّعهم ضعيفاً.
- ٣ - لتنبه الآخرين أن لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الأخطاء والتصرفات الذميمة.

وهذا الأسلوب - عادة - يأتي بعد فضح المواقف التي اتسم بها من حاد عن الصواب، فاستحق العقاب. واستحق الوصف الذي لا يرضاه أولو الألباب.

ولا نقصد هنا بأسلوب التقريع والتوبيخ الأساليب البلاغية التي جاءت إنما نقصد إلى:

أ - التعجب مما صدر عنهم من تصرفات .

ب - إظهار التصرف الذي كان عليهم أن يلتزموه فخالفوه، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونُوا أَكْثَرُ أَفْلَاكُم تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾؟﴾ (١)

فالتعجب من أمرهم للناس بالبرِّ والنأي عنه، فحريٌّ بالعاقل أن يكون أول الناس في التزام ما يأمر به لأنه قدوة ولأنه يدلُّ على صدقه فيما يدعو إليه وصواب ما يفعله .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُؤْهَاتِهَا وَجُعْدَتِهَا وَيَصْلِحْهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكِنَةُ وَبَاءُوا بِعَهْدِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

أ - يَكْفُرُونَ يَا كَيْتَ اللَّهِ

ب - وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ (٢)

وقوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

١ - وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

٢ - وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ مِنْهُ الْأَمَاءُ

٣ - وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ (٣)

وحين يظهرون الإيمان أمام المؤمنين خداعاً، ويتواصون سراً أن يخفوا صفات رسول الله ﷺ في التوراة، فلا يظهرونها للمسلمين كي لا تكون حجة للمسلمين عليهم - معشر اليهود - في عدم اتباعه ﷺ، يقول الله تعالى

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٤ .

كاشفاً سترهم موبخاً إياهم موضحاً حقيقة الأمر: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُمْلُونَ﴾ (٧٧) ﴿١﴾.

ومما استحق عليه اليهود التوبيخ والتعنيف، ما أخبرنا به الله تعالى في كتابه قائلًا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ

أ - لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ

ب - وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) ﴿٢﴾.

أ - تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ

ب - وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَطْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْمَدُونِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا

أ - خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ب - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) ﴿٣﴾.

ومن صفات اليهود الفاضحة التي استحقوا عليها التوبيخ:

أ - ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧) ﴿٣﴾.

ب - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) ﴿٤﴾.

ج - ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ﴿٥﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

وحين دُعوا إلى الإيمان بالرسول الكريم ﷺ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فَقَطْ بِمَا
 أَنزَلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِرِسَالِهِمْ فَقَطْ، وَهَمَّ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَبِرِسَالَتِهِمْ مَا قَتَلُوهُمْ، فَيَقُولُ
 سُبْحَانَ مَوْبِخًا: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) ﴿١﴾

وانظر معي إلى هذا النداء التوبيخي الفاضح، وهذا الاستفهام الدامغ:
 ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٧) ﴿٢﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسِنُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٦) ﴿٣﴾

وتأمل معي تفجير الموقف التوبيخي، والأسباب التي سبقته فأدت
 إليه.

قال تعالى:

أ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرْسِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَرْحَمُونَ
 قَوْلًا﴾ (٤٩)

ب - انظُرْ كَيْفَ يَقْعُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبُ وَكَفَى بِهِمْ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

ج - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

١ - بِالْحَبِيبِ

٢ - وَالظَّالِمِينَ

٣ - وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ - لعنهم الله - وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴿٤﴾

والمنافقون قال الله تعالى فيهم: ﴿فَمَا لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

(٤) انظر: سورة النساء، الآيات: ٤٩ - ٥٢.

حَدِيثًا؟ ﴿١﴾ أتدري لماذا؟ إنهم ادعوا أن اتباعهم لرسول الله ﷺ أصابهم بالبلاء والجهد، مع أن الله سبحانه وتعالى جعل الحسنه والسيئه والنعمه والنقمه كلها من عند الله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ﴿١﴾ .

واقراً معي هذه الصفات الخسيه التي اتسم بها اليهود:

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ

لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَكَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَكَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ

لَمْ يَأْتُوكَ ^(٢) يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴿٣﴾

﴿سَكَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ^(٤)﴾ ﴿٥﴾ .

فهذه الصفات جعلتهم أهل فتنه، قلوبهم فاسده، لهم خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

أما المنافقون الذين يسرعون إلى مرضاة اليهود والنصارى - وما أكثرهم هذه الأيام - فقد جعلوا أنفسهم منهم إذ جعلوهم أولياء لهم، فهؤلاء إذا نفوسهم مريضة، ضالون، ظالمون، سيندمون حيث لا ينفع الندم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْخِذُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصْرِيِّ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨ مكررة.

(٢) يقبلون كلام من لا يحضر مجلسك تكبراً وعناداً وإفراطاً في العداوة والبغضاء - يهود خبير - إن أمركم محمد ﷺ بالجلد فاقبلوا.

(٣) إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٥) السحت: الحرام من الرشوة والربا، وما شابه ذلك.

تَخَشُّوْا أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُكُمْ عَلَى مَا أَسْرَأْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ تَذَرِينَهُ ﴿٥٢﴾ (١).

وهؤلاء الكفار من اليهود والنصارى يدعون أن الله ولد، فيهددهم سبحانه، ويصفهم بالكذب: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ ﴿٢﴾ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَلِكُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكُونَ ﴿٣﴾﴾ (٣).

والعبودية اتباع وتنفيذ ورضا، فالرهبان والأحبار يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأتباعهم ينفذون ما خططوه لهم ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَرْبَابًا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٤).

وهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾﴾ (٥).

والله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٦﴾﴾ (٦). فأشار الله سبحانه إلى الكفار من أهل الكتاب المناوئين لدينه موبخاً واصفاً إياهم بالشرك والكفر.

وتدبر معي هذا التوبيخ الشديد لمن نكث عهده فبخل وفسد وأعرض ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَحَلُوا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (٧).

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) يضاھون: يشابهون ويمثلون.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٧) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

ويسخر المنافقون من صدقة قليلة دفعها رجل مؤمن فقير فيسخر الله منهم ﴿الَّذِينَ بَلَّغُوا الْمَطُورِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩) (١).

وهؤلاء لا يغفر الله لهم أبداً أبداً ﴿اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٢) لماذا؟! ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ (١).

روعة في نفي المغفرة لهؤلاء مع بيان سبب شدة النفي، وتهديد لمن تحدثه نفسه أن يكون مثلهم.

ولما فرح المخلفون عن غزوة تبوك وقالوا لا تنفروا في الحر بين الله تعالى لهم أن نار جهنم أشد حراً لكنهم لا يفقهون ثم ويخهم وقرعهم بقوة قائلاً: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨١) (٣).

ونرى هنا توبيخاً لمن يذكر الله في الشدة وينساه في الرخاء بل ينكر فضله متناسياً ما كان، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّمُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢) (٤).

أما فرعون المتأله المستكبر الذي سام بني إسرائيل سوء العذاب فإنه حين يغرقه الله وتغرغر روحه يقول: إنه أسلم لله.. فكيف كان التوبيخ والتقريع؟ قال تعالى: ﴿وَجَؤْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٥) (٥).

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٠ مكررة.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٠.

اعترف بإله بني إسرائيل وأنكر ألوهية نفسه التي أضل بها قومه ورعيته، وأقر أنه واحد من المسلمين لا يزيد عنهم ولا ينقص... وليته قالها قبل هذه اللحظة، فلن ينفعه هذا الإيمان الذي جاء متأخراً:

أ - ﴿الْفَن ۙ ۱۱۴﴾^(١)

ب - وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ؟

ج - وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾

فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدَيَّكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَفْلُونَ ﴿٩٢﴾^(٢)

وكفار مكة لم يقدروا فضل الله عليهم إذ جعل حياتهم فيها آمنة رغداً تحترمهم القبائل، وتؤم بيتهم الحرام وتحرس قوافلهم وجعل لهم رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، فجعلوا له شركاء، وضلوا عن سبيله.. ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٧٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنْسُقُونَ الْفَرَارِ ﴿٧٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٨٠﴾﴾^(٣)

ولم أر توبيخاً أشد من توبيخ من جعل لله سبحانه ولداً، اقرأ معي هذه الجمل التي تعصف بالقلوب، وتزلزل البنيان من القواعد، غضباً ممن اعتدى على كمال الله وجلاله، ووحداية الله في ألوهيته:

﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾

أ - لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾^(٤)

ب - تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرَّتْ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾

(١) الآن: أتوب في وقت لا تقبل فيه التوبة.

(٢) سورة يونس، الآيات: ٩١، ٩٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٨ - ٣٠.

(٤) إذاً: منكراً فظيحاً.

- ج - أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
 د - وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
 هـ - إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾
 ز - لَقَدْ أَخَصَمْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
 ح - وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ (١).

وتدبر معي التصخر من الإشراك على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام،
 وممن يتخذون من دون الله آلهة: ﴿أَفِي لَكُمُّ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾!!؟ (٢).
 حقاً إنهم لا يعقلون.

لقد اعترفوا حين تحدثت الفطرة بأن هذه الآلهة المزعومة لا تعقل،
 ولا تنطق فهم حين عبدوها كانوا أقلّ منها عقلاً، فكيف يعبد الإنسان شيئاً
 صنعه بيده!!؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُم كِبْرُهُمْ هَذَا فَتَلَّوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ
 ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ (٣).

ويكون التوبيخ على أشده حين يفترى من يفترى دون برهان، ولا
 دليل ولا مزعة من ظنّ مقبول، فهم حين يجعلون ملائكة الرحمن إناثاً
 يسألهم الله موبخاً: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَتُسْأَلُونَ ﴿٦٩﴾ (٤).
 وحين ادّعوا أن الله تعالى أمرهم أن يعبدوا ملائكته - وحاشاه سبحانه -
 أن يأمرهم بذلك أقام عليهم الحجة ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ ﴿٧١﴾ (٥).

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٣ - ٦٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

وحين سموا أصنامهم بما يحلو لهم وقالوا هي بنات الله سخر - سبحانه - منهم ووبخهم قائلاً:

﴿الْكُفْرَ وَاللَّذْنَ وَالْعَنَاءَ﴾ (٢١)

تلك إذا قسمة ضيرك ﴿٢٢﴾ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان

إن يبيحون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴿٢٣﴾ (١)

وفي سورة الرحمن توبيخ يقرع أسماع أعداء الله، يستمر من أول السورة إلى آخرها قرعاً مدوياً بترتيب متلاحق يخلع الأفتدة إحدى وثلاثين مرة: ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ كَذِبَانِ﴾ (١٣)؟ .. إنه تعنيف شديد وتهديد زهيب ولوم ما بعده لوم.

ولاحظ التوبيخ التصوري في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِينَ﴾ (٢٤)

عَنِ الْيَسِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ (٣)

أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

فَلَا أُقِيمُ رَبِّي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾

عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ (٤)

فهؤلاء الكفار يتجمعون حول رسول الله ﷺ جماعات متفرقة، يصيخون إليه مائلين رؤوسهم متعجبين مما يقول، هؤلاء يجيبهم الله تعالى باستفهام إنكاري فيه تقريع وتوبيخ، فلا يطمع أحدهم أن يدخله الله جنات النعيم بعد أن كذب خاتم المرسلين، ثم يردعهم بقوله سبحانه ﴿كَلَّا﴾،

(١) سورة النجم، الآيات: ٢١ - ٢٣.

(٢) مهطعين: مسرعين مادي أعناقهم.

(٣) عيزين: جماعات متفرقين.

(٤) سورة المعارج، الآيات: ٣٦ - ٤١.

ليس الأمر كما يطمعون. لقد خلقهم الله من الأشياء المستقدرة، من نطفة ثم من علقه، ثم من مضغة، فمن أين يتشرفون بدخول جنات النعيم على شركهم وكفرهم؟!.

وفي أول سورة المطففين توبيخ لمن يأخذ أكثر مما يستحق، ويعطي أقل مما يجب أن يعطيه، وهذه دونية الفساد ما بعدها دونية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطْفِفِينَ﴾ (١)

الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَوُّهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

أَلَا يَبْظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ (١).

والقرآن بأسلوبه العجيب يعطي هؤلاء المعاندين المستكبرين ما يستحقونه من تحقير يناسب نفوسهم وجبيلتُهُمُ الفاسدة، نسأل الله العفو والعافية.



(١) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٧.

فضح المواقف

الأعداء نوعان:

الأول: صريح العداة كاليهود والكفار والنصارى.

والثاني: عدو باطني لكنّه أشد إيذاءً، وهم المنافقون.

وقد تجد من العدو الصريح قدراً من التزام الحدود لأنّه مكشوف تحذر منه، لكنه لا يفوّت فرصة تجعله ينال منك ويحاول جهده - إن كان ضعيفاً - إظهار اللباقة والموضوعية في صراعه معك، وإن أحسن من نفسه القوة لم يرع لك عهداً ولا ذمّة.. ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مَؤْمِنٍ إِلَّا وَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

أما العدو الباطني فإنه يظهر لك الودّ والحبّ ويختلط بك، ويشاركك كثيراً من عبادتك وأفكارك، ويتعرف على أسرارك ودخائلك ويختلق الأعذار في التخلي عنك، ويخذلك في الوقت المناسب، ويذيع أسرارك، ويوصلها للآخرين.

فهو جرائم تفتك بجسمك، والانتصار عليه أو التخلص منه يحتاج إلى أضعاف كثيرة من الجهد الذي تبذله للعدو الظاهر..

والقرآن الكريم علمنا كيف يكون الدفاع الحقيقي عن حيّاض المجتمع الإسلامي، إنّه الهجوم... فالهجوم أفضل وسيلة للدفاع.

ومن سبل الهجوم فضح مواقف الأعداء.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

وقد يكون كشف عوراتهم قبل أن يقوموا بعمل عدائي وذلك:

- ١ - لتحذير المسلمين منهم .
 - ٢ - لإخافة الأعداء حين يعرفون أن تصرفاتهم وأقوالهم مكشوفة .
- وقد يكون ذلك بعد قيامهم بعمل عدائي قولاً وتصرفاً وذلك:
- ١ - لعزلهم عن المجتمع الإسلامي فيمايزهم ويفاصلهم .
 - ٢ - حتى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقد عرَى القرآن الكريم مواقف «اليهود، والمنافقين والكفار، والنصارى» ونذكر أمثلة مناسبة لكل فئة منهم:

اليهود: فهم يحاولون تشكيك المسلمين بالرسول والرسالة بأسلوب خبيث، ويوصى بعضهم بعضاً بالحدز من المسلمين، وأكل أموالهم دون وازع من دين، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَن تَمِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾^(١).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنَقَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِيَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾^(٢).

كما أن اليهود يحرفون كتبهم عن قصد. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

واليهود إضافة إلى أنهم يحرفون كلام الله، فيحذفون، ويزيدون، يجهرون بالعصيان، ويدعون على النبي ﷺ ويشتمونه ويطعنون في الإسلام فهم ملعونون إلا من آمن منهم واتقى، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَدَعْنَا لَبًّا بِالْسِينَةِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرًا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمُ اللَّهُ يَكْفُرْهُمُ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ (١)

واليهود يهزأون بالإسلام وشعائره ويقلدون المسلمين في صلاتهم، عابثين ساخرين ولا غرو فهم أبناء القردة والخنازير. أهل غدر وعدوان يأكلون المال الخبيث، ولا يعرفون الحلال من الحرام كما أن أحبارهم ورهبانهم مثلهم لا يعرفون الله حقاً. قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَخَذُوا هُزُوعًا وَلَمَّا دَلَكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ (٢)

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦١﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسُدُّونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ (٤)

بل إن فجورهم وكفرهم وصل بهم إلى الاستكبار ومس الذات الإلهية، حين افتروا عليه - سبحانه - فعاقبهم أن عادى بعضهم بعضاً وأبغضهم الناس جميعاً لفسادهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ

عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُعْطِي كَيْفَ يَشَاءُ
 وَلْيُرِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
 وَالَّذِينَ آمَنُوا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
 وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ (١).

أما قصتهم مع نبي الله موسى عليه السلام، فسورة الأعراف تسجيل دقيق لخبثهم وفسادهم. فهم بعد أن نجاهم الله من فرعون ورأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم قالوا فوراً: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ﴾ (٢).

وصنعوا عجلاً من حليّ نسائهم يعبدونه ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣).

وحين أمروا بدخول القدس أباح الله تعالى لهم كل ثمارها، يأكلون ما شاءوا، ومتى شاءوا، وأمرهم نبيهم أن يقولوا: يا الله حُطِّ عَنَّا ذُنُوبَنَا. فبدلوا ذلك، ودخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله، والخشوع له وبدلوا من حطة إلى حنطة استهزاء وسخرية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّفِرًا لَّكُمْ خُطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السكّاء بما كانوا يظلمون ﴿١٦٢﴾ (٤). وكان الرجز الطاعون الذي أباد منهم عشرات الآلاف جزاءً وفاقاً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.

وقصتهم في اصطيادهم السمك يوم السبت، وقد نهاهم الله عن ذلك
 اختباراً لهم معروفة، فلما احتالوا ورموا شياكهم في ذلك اليوم عاقبهم الله،
 فجعلهم قردة خاسئين.. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
 قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١)

وحين رفض هؤلاء اليهود الامتثال لأمر الله وتطبيق شريعته، اقتلع
 الله جبل الطور ورفع فوق رؤوسهم يهددهم بإسقاطه عليهم فامتثلوا
 مكرهين لا قانعين، شأنهم في كل الأمكنة والعصور.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ
 نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
 مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢)

هذا غيظ من فيض يدل على قبح مواقف اليهود وعتوهم وكفرهم،
 ليكون المسلمون على دراية بهم وبفسادهم، فيظلوا منهم على حذر.

الكفار: هؤلاء الذين آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه البررة الكرام لم
 يألوا جهداً في تجييش الجيوش وبذل المال لمحاربة الرسول الكريم وإطفاء
 دين الله في الجزيرة، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد فأبطل مكرهم
 وجعل ما صرفوه حسرة في قلوبهم، ثم مصيرهم إلى النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْرَجُونَ﴾ (٣)

أما الأصنام التي يعبدونها من دون الله فلن تنفعهم، ضلّ سعيهم في الدنيا،
 ويوم القيامة لهم النار بسبب كفرهم، واستهزائهم بالمؤمنين، قال تعالى:
 ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُوَابِّ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (٤)

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٢﴾

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وِزْنَ ﴿١١٥﴾

ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١١٦﴾ ﴿١﴾

والكفار يجتمعون ظاهراً على الأصنام ويعظم بعضهم أصنام بعض
للحفاظ على المودة الظاهرة في الدنيا، أما في الآخرة فسيكفر بعضهم
ببعض، ويتلاعنون ومأواهم النار لا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا
اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (٢)

وبعض من يخلف الرسول الكريم ﷺ في مجلسه، يحدث الناس عن
رحلاته إلى بلاد فارس والروم، فيشغلهم بترهات الأمور عن الإيمان بالله
والاستجابة لرسوله، ويهزأ بآيات الله مستكبراً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي
أُذُنِهِ قِرْفًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ (٣)

﴿وَقَالُوا :

أ - قُلُوبُنَا فِي أَكْتَتٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ

ب - وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ

ج - وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٢ - ١٠٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

(٣) سورة لقمان، الآيات: ٦، ٧.

د - فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا ﴿٥﴾ (١)

إنه إصرار عجيب على الكفر والعناد.

وفي سورة نوح نلاحظ ما يلي: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ (٢)،
﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصْلِعُمْ فِي مَادَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا
وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ (٣)،

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مِمَّنْ

أ - عَصَوِي

ب - وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُمْ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا

ج - وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

د - وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَاقُوتَ وَيَعْقُوبَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

هـ - وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا... ﴿٤﴾

المنافقون: يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى رسول الله ﷺ، ولكنهم يتحاكمون إلى غير شرع الله، مما يدل على فسادهم وكفرهم.

قال تعالى يفضحهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ
إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ

أ - يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ

ب - وَقَدْ أُصِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ

ج - وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ ﴿٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

(١) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٢) سورة نوح، الآية: ٦.

(٣) سورة نوح، الآية: ٧.

(٤) سورة نوح، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٠.

يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ (١).

﴿فَكَيفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ . أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

أ - فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

ب - وَعَظْمُهُمْ

ج - وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ (٢).

والمنافقون حين ارتدوا إلى الكفر بعد إسلامهم ضلوا وتاهوا، وتمنوا لو عاد إلى الكفر كل المسلمين حتى يكونوا مثلهم، فهؤلاء لا حرمة لهم عند المسلمين ولا كرامة.

قال تعالى يوضح موقفهم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ، وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

أ - فَخُذُوهُمْ

ب - وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

ج - وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ (٣).

﴿سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْرَظُواكُمْ وَبَلَّغُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَكَفَرُوا أَيْدِيَهُمْ

أ - فَخُذُوهُمْ

ب - وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ

(١) سورة النساء، الآية: ٦١.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

ج - وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٤٧﴾

ويوضح الله مواقف المنافقين الذين يدعون الإيمان بالله وبالرسول ولا يتحاكمون إليه فيشتع عليهم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

أ - وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾

ب - وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿٤٩﴾

١ - أَلَمْ يَأْتُوا رَسُولَهُمْ مَرَضًا ۙ ۱۱٩

٢ - أَمْ أَرْبَابًا ۙ ۱۱٩

٣ - أَمْ يَحْتَفُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۙ ۱۱٩

٤ - بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ (١)

ومن صفات المنافقين الكذب والتعلل بغير الحقيقة هرباً من القتال، لأنهم يظنون أن المسلمين إن قاتلوا هربوا أو قُتلوا، هكذا ظنهم السبيء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنَ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ أَن لَّنَ نَسُوءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ (٢)

وقد وعد الله سبحانه المسلمين في صلح الحديبية أن غنائم خيبر لمن حضر هذا الصلح، فمنع رسول الله ﷺ المنافقين أن يذهبوا معهم إلى حرب خيبر، فأظهروا الغيرة والحسد، وألصقوهما بالمسلمين كذباً وافتراء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُوا بِذُرُوعِنَا نَبِّعْكُمْ بِرِيدِكُمْ أَن يُسَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ قُلْ لَن نَّبِّعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ

(١) سورة النور، الآيات: ٤٧ - ٥٠.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١١، ١٢.

بَلْ تَحْسُدُونَآ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥﴾ ﴿١﴾ .

ويعرّي الله سبحانه كذبهم حين يدعون أنهم يؤمنون بالإسلام،
ويشهدون للرسول بالنبوة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾

أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُتًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾ .

والسورة كلها تسلط الضوء على مخازيهم، قال تعالى:

١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ .

٢ - سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ .

٣ - هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ
خَرَّابٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ .

٤ - يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴿٣﴾ .

وفي سورة التوبة تحليل دقيق للمنافقين، وكشف لدخائلهم وسرائرهم
التي يحاولون إخفاءها، ولكثرة الآيات في ذلك أذكر بعض المواقف، وأحيل
إلى مكانها في سياق الآيات:

(١) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ٥ - ٨.

- يحلفون بالله كذبا أنهم لا يستطيعون الخروج، ولو استطاعوا ما قَصَرُوا،
والحقيقة أنهم رأوا تبوك بعيدة فاستنكفوا عن مصاحبة رسول الله ﷺ^(١).
- لا يكون التردد والبقاء في المدينة إلا عن كفر بالله واليوم الآخر،
والبخل بالمال والنفس^(٢).
- ولو خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ والمسلمين إلى تبوك لبذروا
الفتنة في الناس، وأسرعوا فيهم إلى الغيبة، والنميمة، وحاولوا إلقاء
العداوة بينهم، وفي المسلمين بعض ضعفاء الإيمان قد يستمعون
إليهم، فقد فعلوا ذلك في غزوة أحد وغزوة بني المصطلق^(٣).
- بعضهم ادعى أنه لا يصبر على الزنا إن رأى نساء بني الأصفر،
فاستأذن^(٤).
- يفرحون لمصاب المسلمين ويحزنون إن انتصروا، ويتربصون بهم
الدوائر^(٥).
- ينفقون كارهين للمراة فقط، لذلك لا يقبل الله تعالى نفقاتهم، لأنها
غير خالصة لله، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى^(٦).
- يتجنبون القتال جبناً وخوفاً، وألسنتهم سليطة، تقف حين يأخذون من
الصدقات، ويلمزون الرسول ﷺ إن منعهم^(٧).
- يعيبون الرسول ﷺ ويقولون ما لا يليق بجنابه^(٨).

(١) انظر: سورة التوبة، الآية: ٤٢.

(٢) انظر: سورة التوبة، الآية: ٤٥.

(٣) انظر: سورة التوبة، الآيات: ٤٧، ٤٨.

(٤) انظر: سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(٥) انظر: سورة التوبة، الآيات: ٥٠ - ٥٢.

(٦) انظر: سورة التوبة، الآيات: ٥٣، ٥٤.

(٧) انظر: سورة التوبة، الآيات: ٥٧، ٥٨.

(٨) انظر: سورة التوبة، الآية: ٦١.

- يخافون المسلمين، ولا يخافون الله، فهم لا يعرفون الله^(١).
 - يحذرون أن ينزل الله آيات تفضحهم، وتعريهم، ويتحدثون بما لا يليق في حق الإسلام العظيم، بحجة أنهم يلعبون ويلهون^(٢).
 - المنافقون والمنافقات يأمرن بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون فتقصر أيديهم عن فعل الخيرات. نسوا الله فلم يحسبوا حسابه، وهؤلاء هم الفاسقون أهل النار فيها مع الكفار في لعنة دائمة وعذاب مقيم^(٣).
- النصارى: هم الذين كان لهم في التاريخ دور مسيء، إلى المسلمين في عهد الإسلام الأول وحاربوه في مؤتة وتبوك وأجنادين واليرموك... وهم الذين جاءوا بقضهم وقضيضهم في العصور الوسطى، فاحتلوا البلاد الشامية، وقتلوا المسلمين وذبحوهم، وهم الآن يبتزون خيراتهم ويذيقونهم الهوان لماذا؟ تعال معي إلى بعض ما فعلوه.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَقْتُلًا حَقًّا وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٤).

واتخذوا عيسى عليه السلام ولدًا لله - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيراً - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ﴾^(٥).

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ﴾^(٦).

وبعضهم جعلوا عيسى عليه السلام هو الله - تعالى الله عن ذلك علوًا

(١) انظر: سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٢) انظر: سورة التوبة، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

(٣) انظر: سورة التوبة، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٤.

كبيراً :- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (١)

فلما جاء وفد نجران من النصارى يدعون أن الله سبحانه ابناً، وأصروا على ذلك أمام رسول الله ﷺ أمر الله تعالى رسوله أن يقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ (٢)

وأمره أن يباهل وفد النصارى هؤلاء، قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٣) ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَّالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤)

ولهذا أمرنا الله تعالى أن نتحاشى موالاتهم وموالة اليهود والكفار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)

فهل نرضى أن نكون من اليهود والنصارى!!؟

وهل نرضى أن نحشر إلى الله تعالى ظالمين!!؟

إن في هذا لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



(١) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨١.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

التحدي

يقولون تحدّاه: نازعه في أمر وباراه فيه وغالبه، ويقولون كذلك: تعمّد الشيء.

ففي التحدي ثقة بالنفس وعلو في الهمة، وإحساس بالاعتداد فوق ما يستطيعه الآخرون.

وفي القرآن الكريم كثير من التحدي للناس على اختلاف أنواعهم، وللكفار المعاندين بشكل عام، والمناوئين المعاندين بشكل خاص، والمتقولين الزاعمين ما لا يستطيعونه بشكل أخص.

وقد يكون التحدي للإعجاز، وقد يكون للسخرية، ولفضح الزاعمين. ولهذا الأسلوب إيجابيات كثيرة منها:

- ١ - أن يقف المتخردون عند حدودهم، فلا يدعوا ما ليس لهم.
 - ٢ - أن لا يغتروا بأنفسهم فيحسبوا لكل شيء حسابه.
 - ٣ - أن يتنبه المخدوعون بهم فينفضوا عنهم وينبذوهم.
 - ٤ - أن يفكر هؤلاء وغيرهم تفكيراً منطقياً ينأى بهم عما يسيء إليهم...
- ومن أمثلة ذلك: أن الكفار من الوثنيين وأهل الكتاب زعموا أن هذا القرآن لم ينزل من عند الله بل «تقول» الرسول الكريم ﷺ، وحاشاه فهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، فيتحداهم القرآن الكريم.
- ١ - أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (١).

٢ - فلما عجزوا وهذا دأب الأفاكين تحداهم بأقل من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَنَا فَآتَاؤُنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مِنَّا مَنْ أَسْتَطْعَمُهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ (٢).

٣ - فلما عجزوا - وسيعجزون لأنه كلام الله تعالى - تحداهم أن يأتوا بأقل من ذلك فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِن تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي هُوَ دُونَهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (٣).

وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَنَا بِسُوْرٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنَّا مَنْ أَسْتَطْعَمُهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ... ﴿٤﴾ (٤).

لن يستطيع الإنس والجن مجتمعين أن يفعلوا ذلك، وها قد مرت عشرون عاماً وأربع مئة وألف عام، وما زال التحدي قائماً فشتان ما بين القدير والضعيف.

وقد حاول الأقرام المتنبثون فكان ما قالوه سخافة، تدعو إلى السخرية والرتاء.

- وينكر الكفار أن يعودوا إلى الحياة بعدما أرموا، فينبههم في الآيات التالية إلى أمرين اثنين:

الأول: أن الله خلقهم ولم يكونوا شيئاً وسيعيدهم من شيء، فأى الأمرين أشد؟! أليس الخلق أصعب، وليس هناك مستحيل على الله سبحانه.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

الثاني: التنبيه إلى الخسارة المؤكدة لمن كفر.

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاغِرَةِ ﴿١٠﴾ أَوْنَا كُنَّا عِظْمًا تَحْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ بِسَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَإِنَّ تَوْفِكَونَ ﴿٣٤﴾﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَوْنَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعِيدُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُعِيدُنَّ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (٥).

- ويتحدى اليهود أن يتمنوا الموت حين زعموا أنهم أولياء الله ولا يعذبهم فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾

وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾
قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَيْهِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (٦).

(١) سورة النازعات، الآيات: ١٠ - ١٤.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآيات: ٤٩ - ٥١.

(٥) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٦) سورة الجمعة، الآيات: ٦ - ٨.

- لن يترك الله تعالى الإنسان يفعل ما يشاء، ولا بد من الحساب والعقاب، أو الثواب، والله قادر على كل شيء، يعيد الإنسان كما كان حتى بصمات أصابعه، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿لِي قَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ سُويَ بِأَنفُسِكُمْ﴾ ﴿٤١﴾ (١).

وقال: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿٣٦﴾ (٢).

- ومما نجد فيه تحدياً ساخراً إنفاق الكفار أموالهم ضد المسلمين، وخسارتهم في مكرهم هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

أ - يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

ب - فَسَيَفْزُقُونَهَا

ج - ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً

د - ثُمَّ يُغْلَبُونَ

هـ - وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣).

أرأيت إلى هذا التعقيب الرائع الذي يصور المكر السيء الذي يحيق بأصحابه؟

- وانظر معي إلى الهيمنة الإلهية القادرة الجبارة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (٤).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٥).

وقوله سبحانه: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٦٢﴾ (٦).

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٢٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢١، ٢٢.

فإلى أين يهربون وما لهم لا يحكمون، وكيف يتجرأون على الله سبحانه من عظيم قدير.

- أما الإشراك بالله فهي مظاهر عدة يظهر فيها التحدي والغضب بأن واحد فهم يجعلون لله ولداً - سبحانه أن يكون له ولد - فيأمر الله تعالى نبيه أن يباهل نصارى نجران في ذلك فيأبون ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ (١).

ونرى الغضب يسح على النصارى الكاذبين سخاً، ويسيل سيلاً، فما ينبغي لله - سبحانه - الكامل، المطلق الكمال - أن يحتاج إلى ولد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِزِرٌ لِحُبَالِ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَبْغَىٰ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ (٢).

والعجيب أنهم يزعمون أن إشراكهم بالله برضى منه - سبحانه - ومشينته!! ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ﴾ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ (٣).

إنه بين الحق لكم وسبيله، والباطل وطرقه الملتوية وودعكم تختارون فتتألون ما تستحقون إما ثواباً، وإما عقاباً.

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٥٩ - ٦١.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٤٨، ١٤٩.

ويدعي الكفار أن الجنة - والعياذ بالله - أنسباء الله سبحانه، وقد نكح منهم، فولدت له الملائكة فيخزيهم مبكتاً: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدَّ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾^(١) وسيحاسب الله تعالى الجن يوم القيامة كما يحاسب البشر. وهل يحاسب أحد أنسبائه؟ نعوذ بالله من الظلم والظلمات. وإذا كان الله شركاء وعندكم بيّنة على ذلك فهاتوها، ووضحوا ما صنعته هذه الآلهة المزعومة؟

أ - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ

ب - أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَلْوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْزَلْنَا مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

ج - وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

د - وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾^(٢)

ويطلب الله تعالى الدليل مرات ومرات من المشركين كي يثبت الحجة عليهم ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾^(٣) وليس أظلم من المفترى الكذاب . . .

- ومن التحدي الذي يسرُّ المسلمين ويذهب حزنهم بشرى الله تعالى بنصرهم ونصر دينهم رغم الكافرين المعاندين والمشركين الضالين، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشْعَرَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾^(٤)

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٨، ١٥٩.

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ٤ - ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٥.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِجِئَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾

وَلَوْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْقَلِيلُونَ ﴿١٧٣﴾

فَنَوَّلْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمُ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

وَنَوَّلْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (١).

نقف ملياً في تحدّ عجيب غير التحدي الذي سقناه آنفاً، فما مرّ كان تحدياً من الله سبحانه للكافرين المشركين، أما السحرة الذين أعدّهم فرعون تحدياً لموسى عليه السلام فقد سارعوا إلى الحق والإيمان حين علموا أن ما يدعوهم إليه نبي الله عين الصواب، وزبدة الحياة، فتحذوا فرعون وثبتوا على إيمانهم على الرغم من ضعفهم أمام جبروته وطغيانه، فمن ذاق الإيمان عرف، ولم يرض بغيره، وبذل روحه في سبيله.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾

قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٨٠﴾؟

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٨١﴾

قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٨٢﴾

قَالَ أَلْقُوا

فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَاهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٨٣﴾

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٩.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
 فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾
 فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
 فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ ﴿١١٩﴾
 وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِينَ ﴿١٢٠﴾
 فَأَلَا أَمَامَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾
 قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَمَنَّمُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكَ
 إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا
 فَسَوْفَ نَعْمُونَ ﴿١٢٣﴾
 لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَأَضْمِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
 فَأَلَا إِنَّا إِنَّا إِنْ رَأَيْنَا تَمَنُّونَ ﴿١٢٥﴾
 وَمَا نَنْقُمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ أَمَامَنَا يَا بَنِي رَأْنَا لَمَّا جَاءَتْنَا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾^(١)

- وهذا سيدنا موسى يقف أمام فرعون، معه سلاح الإيمان غير هيب ولا وجل، يعلن كلمة التوحيد تصك أذن الجبار المتكبر، فنرى فرعون الظالم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٢٧﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَانَا
 الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٨﴾
 قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٢٩﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
 حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٠﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ أَنَّ عَبْدَتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣١﴾
 قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١١٣ - ١٢٦.

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٨﴾

قَالَ لَئِن أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

قَالَ أَوْلَوْ جِسْمَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾^(١)

﴿فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٨﴾﴾^(٢)

تحدّ كالجبال الراسيات يلقم فرعون الحجة تلو الأخرى.. ولا يكون التحدي إلا:

- ١ - بالحجة الدامغة والدليل الواضح.
 - ٢ - بالإيمان الصحيح الحقيق بما تحمله.
 - ٣ - بالثقة في الله، والقوة النفسية.
- وأخيراً، فالتحدي قوة يجب أن يتسلح بها الداعية عن وعي وإدراك. إن الإخلاص لله سبحانه أقوى حجة وأبلغ دليل.



(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٨ - ٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٠٧، ١٠٨.

الاستعلاء

هو الشعور بالانتماء إلى الله العزيز العلي، مما يوَلدُ:

- أ - الإحساس بالترفع عن سفاسف الحياة الدنيا.
 - ب - وتحمل الأذى والصبر عليه ابتغاء رضوان الله تعالى.
 - ج - والعزوف عن بهارج الحياة والرغبة في الآخرة.
 - د - والثبات على المبدأ الصحيح، والبذل في سبيله كل غال ورخيص.
 - هـ - والنظر إلى طلاب الدنيا برحمة، ومحاولة انتشالهم من شباكها.
 - و - والتعامل معهم دون الخوض فيما هم فيه، دون نبذهم والتكبر عليهم.
- وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل هذه المفاهيم وتدعو إليها.
- فهؤلاء أصحاب الكهف فتية طاهرون، آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ولجأوا إليه، فقبلهم، وزادهم منه هدى وتقوى، وثبتهم على دين الحق، فأعلنوا بإصرار وعزم عقيدتهم وتوحيدهم بربهم، مستعلين على ظلام الشرك والوثنية ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا﴾^(١)
- وهذا يوسف عليه السلام راودته التي هو في بيتها، فاستعصم، واستعان بالله عليها. فلما انتشر خبرهما بين نساء المدينة استزارتهن لتلقمهن حجرها، وتضع بين أيديهن سبب رغبتها فيه فلما رأين جماله - عليه السلام -

(١) سورة الكهف، الآية: ١٤.

وقعن فيما وقعت فيه - فدعونه إلى مسايرتها، فأبى، واستعلى، فهددته بالسجن - فكان السجن - أحب إليه من الوقوع في الزنا ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْخٰٓئِلِينَ﴾ (٣٣) فاستجاب لِمِ رَبِّهِ فَصَرََفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ (١).

- وهؤلاء المنافقون يعودون إلى المدينة بعد غزوة بني المصطلق، ويتشاجر على الماء ساقيان، أحدهما لأنصاري، والآخر لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المهاجرين - ويرى رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الفرصة مناسبة لخلخلة الصف المسلم، فيقول: لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد، ونسي أن خزائن السموات والأرض لله وحده. ثم ادعى أنه العزيز وأن المسلمين أذلاء، ولئن وصلوا إلى المدينة ليمنعنَّ العزيزُ الدليلَ من دخول المدينة، فسمع ابنه - وكان مؤمناً - ما قال أبوه، فوقف على باب المدينة يمنع أباه من دخولها قائلاً: وراءك، والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: إن رسول الله هو الأعزُّ وأنا الأذل، فقالها، وسجلها الله تعالى آية في العالمين ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِنَّ الْمُنٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (٢).

- وقد ذكرنا أن انتماء المسلم لله سبحانه الذي مجد نفسه فقال: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾ (٣)، وقال أيضاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٤)، وقال كذلك مؤكداً ومحققاً: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (٥) فهذا سيدنا سليمان يرسل إلى ملكة سبأ، يدعوها وقومها إلى

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة المنافقون، الآيات: ٧، ٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

عبادة الله وحده، فكانت عاقلة لبيبة، ردت عليه بالحكمة، فبدأت بإرسال هدية مالية ضخمة، عله يسكت عنها إن كان من أهل الدنيا، فماذا كان رده عليه السلام؟ إنه أعلن لمن جاءه وللحاضرين جميعاً أن المال ليس هدفاً وغاية يرمي إليه الإنسان ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتَكُم بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) (١).

- وتأمل معي الجواب الواحد للبين عظيمين، استعليا على الدنيا وما فيها..

أما الأول فخليل الرحمان سيدنا إبراهيم، الذي ألقاه قومه في النار، فأنقذه الله منها، فانطلق معرضاً عن الدنيا، راغباً في الله سبحانه فقال: ﴿... إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٢).

وأما الثاني، فكليم الله موسى الذي خرج بقومه من مصر إلى بلاد الشام هارباً، فلحق به فرعون وجنوده ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (٦٦) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِينَ (٦٧) (٣).

أرأيت إلى المشكاة الواحدة التي قبس منها هذان النبيان العظيمان، وإخوانهما من الأنبياء الكرام!!!

- وهذا سيدنا شعيب يفعل فعلهما، فقومه يضيقون عليه وعلى المؤمنين ويقولون له:

أ - ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِنَّا

ب - قَالَ أُولُو كُنُوفٍ كَرِهِينَ﴾ (٨٨)

- قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنهَا

ج - وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ رَبِّنَا

(١) سورة النمل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

- وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

د - عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

ه - رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

- وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ (١).

- ويجمع فرعون سحرته، ويستعين بهم على إرهاب موسى والناس، ليضلهم ويفرض سلطانه عليهم دون حقٍ إلا سبيل القوة والخداع، فألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم، فخاف موسى مما رأى... ولكن الله تعالى كان معه، ومن كان مع الله أفلح وانتصر. وصار أعداء الأمس أتباع اليوم.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾﴾

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾﴾

وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ لَتَفَتَّ مَا صَعَوْا إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ﴿٦٩﴾﴾

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧١﴾﴾ (٢).

- وكما قال الله تعالى لموسى عليه السلام - إنك أنت الأعلى - قالها للمؤمنين بقيادة النبي ﷺ في غزوة أحد، حيث أصابهم من المعركة ما أصابهم من قتلى، وجرحى، وواساهم ورفع من معنوياتهم، وأنه سبحانه معهم ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (٣).

وقالها أيضاً لهم حين أمرهم أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول، ولا يبطلوا أعمالهم ﴿فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلٰى وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكُنْ يَرْكُزُ

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة طه، الآيات: ٦٧ - ٧٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

- وهذا سيدنا إبراهيم، - وسيدنا إبراهيم أمة وحده والخير أصل فيه،
ومنه نتعلم بما وهبه المولى سبحانه من كمال وسداد - يهدده أبوه المشرك
إن لم يترك دينه ويعد إلى الضلال أن يرحمه فماذا يقول له؟ وبم يحييه؟ إنه
عليه السلام دعاه إلى الإيمان فأبى، ونصحه فرفض، ووضح له فأصم أذنيه،
وأغلق عينيه عن رؤية الحق ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِرْهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ
لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ ﴿٤٦﴾

قَالَ سَلَّمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ آلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي
شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ (٢) إنه عليه السلام نأى بنفسه عن والده، وسأل الله السلامة له
وسار في ركب الهداية لا يعيد عنه.

- وعاد رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من حرب المشركين في
غزوة أحد، فسمعوا من المرجفين أنصار المشركين أن أهل مكة عادوا
ليستأصلوهم - وخوفهم هؤلاء المنافقون من المشركين - فقالوا لهم عددهم
كبير، وأسلحتهم ماضية، وهم عازمون على إنهاء وجودكم، فلم يكن من
المسلمين الذين علمهم قائدهم الشجاع ﷺ الاستعلاء بالله والاستعانة به على
كل مكروه إلا إن احتسبوا ذلك عند الله سبحانه، وجعلوه ملجأهم ونصيرهم
وتوكلوا عليه فرجعوا بنعمة السلامة، وفضل الأجر والثواب ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَأَدْتَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾﴾ (٣)

(١) سورة محمد (ﷺ)، الآية: ٣٥.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤٦ - ٤٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٤.

- وأخيراً نقف ملياً أمام صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٧٣) ﴿١﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾ (٧٢) ﴿٢﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) ﴿٣﴾، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٣) ﴿٤﴾ فهم:

- ١ - لا يتكبرون.
- ٢ - يتلطفون مع الناس ولا يردون الإساءة بالإساءة.
- ٣ - يوحدون الله قولاً وعملاً.
- ٤ - وقافون عند حدود الله:
 - أ - لا يقتلون لمجرد القتل.
 - ب - لا يزنون ولا يرتكبون الفواحش.
 - ج - يقولون الحق فقط.
 - د - يعرضون عن اللغو وفارغ الكلام.
 - هـ - يسمعون آيات ربهم بوعي وفهم.



(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
 (٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
 (٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

الجزاء

هو أن ينال الإنسان حقه لفعل فعله، أو قولٍ قاله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأن تقضيه المثل المناسب.

وكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أكد على الجزاء:

- ١ - لأن فيه العدل، ينصف المظلوم، ويردع الظالم.
- ٢ - لأن الإنسان خلق يتنازعه الخير والشر، فكان الجزاء مساعداً على كبح الشر وإطلاق الخير.
- ٣ - لأنه عنوان القوة، والحق بغير قوة يضع فلا بد من الجزاء لنصرة الحق.

- قال الله سبحانه وتعالى مؤكداً على الحساب المؤدي إلى الجزاء بشقيه الثواب والعقاب ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾^(١).

ونبه إلى أن العمل يعود على صاحبه بالنفع والضرر، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا...﴾^(٢).

وحين قال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٣)، قال أيضاً: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤).

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

- والذي أقصده من الجزاء في هذا الباب الثواب والعقاب في الحياة الدنيا، أما الآخرة وحسابها ثواباً وعقاباً، فقد تناولته ضمن أبواب أخرى، وسوف أتناول هنا:

- ١ - جزاء الأقسام الذين كذبوا أنبياءهم أو آمنوا بهم.
 - ٢ - جزاء الأقسام الذين كفروا نعمة الله.
 - ٣ - الجزاء الذي نال بعض الأفراد نعمة ونقمة، من الله تعالى أو من البشر.
- ١ - قصص علينا القرآن الكريم جزاء عديد من الأمم الذين كذبوا أنبياءهم.

- فهذا سيدنا نوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله وحده، فيأبون ذلك، ويتواصون بتكذيبه، فماذا كانت العقوبة؟ قال تعالى يحددها:

أ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾

ب - ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾

ج - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾

د - ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

هـ - ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٣) ﴿١﴾.

- وهذا سيدنا هود أرسل إلى قوم عاد، يأمرهم بعبادة الله وحده، واستغفاره والالتكال عليه وحده، فردوا عليه رداً قبيحاً، واتهموه بالسفاهة، فتبرأ منهم، ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فعاقبهم الله تعالى عقاباً شديداً ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنُذُرِي﴾ (٧٨) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (٧٩) ﴿تَرَجَّ النَّاسُ كَانُهُمْ أَصْحَابُ نُحُلٍ مُتَفَعِّرٍ﴾ (٨٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنُذُرِي﴾ (٨١) ﴿٢﴾.

(١) سورة يونس، الآية: ٧٣.

(٢) سورة القمر، الآيات: ١٨ - ٢١.

- أما ثمود قوم صالح عليه السلام فلم يكونوا خيراً من أسلافهم، فإنهم لما كذبوه وقتلوا الناقة هددهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، ثم بدأ عذاب الخزي العظيم.. قال تعالى:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾
 فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ
 يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٦٧﴾
 كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴿١﴾

- وقوم لوط كانوا يعملون الفواحش، وحين جاءته الملائكة أسرع إليه هؤلاء المجرمون ليفعلوا فيهم ما اعتادوا من الفاحشة، فكانت قاصمة الظهر إذ نجى الله تعالى لوطاً وأهله إلا امرأته، وكان موعد العذاب الصبح ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَائِغًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٧﴾﴾
 سُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴿٢﴾

- وهذا سيدنا شعيب يدعو قومه إلى دعوة الأنبياء كلهم - التوحيد - وإيفاء المكيال والميزان حقهما، وعدم أكل حقوق الناس والبغي والفساد، فاستهزؤوا به، وسفهاوا رأيه وهددوه بالرجم، فكيف نزل عليهم العذاب؟ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴿٣﴾

- وفرعون ذلك المتأله الجبار المتكبر سام بني إسرائيل سوء العذاب، ذبح أبناءهم، واستحيا نساءهم، وكفر بالله عز وجل، ونادى متحدياً: ﴿أَنَا

(١) سورة هود، الآيات: ٦٥ - ٦٨.

(٢) سورة هود، الآيات: ٨٢، ٨٣.

(٣) سورة هود، الآيات: ٩٤، ٩٥.

رَبِّكُمْ الْأَعْلَى ﴿١﴾ فكيف أباده الله تعالى؟! أمر الله سبحانه موسى أن ينطلق ليلاً إلى جهة الشرق، حيث سيناء، ثم بلاد الشام لينجو بقومه من شر فرعون، فتبعهم هذا الشيطان ليستأصلهم

﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾﴾

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَّدِينَ ﴿٦٢﴾

فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

وَأَرْسَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾

وَأَخْبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ ﴿٦٥﴾

ثُمَّ أَضْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿٢﴾.

- إن الجزاء قد يكون ماحقاً للمدن وأهلها، وقد تبقى هذه المدن شاهدة على استئصال أهلها، فتبقى خالية منهم ليعتبر المازون عليها ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَابُورٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿٣﴾.

أما الذين آمنوا برسالات أنبيائهم، وعرفوا الله فأسلموا له - سبحانه - قيادهم فقد عاشوا في الدنيا حياة رغيدة - مثالهم قوم يونس عليه السلام إذ قال الله تعالى يحدثنا عنه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بِلْقَاسِ آلِ ثَمُودَ لِيُنذِرَهُمْ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ ﴿٤﴾.

٢ - إن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرب الله ملكهم، وشتت شملهم، ومزقهم شرّ ممزق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

فقد كانت قراهم متقاربة، والأمان بينها وافرأ والبساتين تظلل

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٦١ - ٦٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧، ١٤٨.

الطرقات، فيسافر الإنسان من اليمن إلى بلاد الشام لا يحتاج للزاد، فكفروا بأنعم الله، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبْلِهِمْ جَبَلِينَ ذُوقُوا أَكْلَ خَمَلٍ وَاقْتُلُوا شَوْءًا مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ كَفْرِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾﴾ (١).

إن الذي يُعرض عن ذكر الله يعاقبه، فهؤلاء كما رأينا أرسل الله عليهم الطوفان فغرقت دورهم، وخربت بساتينهم، وانقلبت ثمارهم أشواكاً مرة وسدراً، ولم يكتفوا بذلك بل سألوا الله أن تكون الأرض مفاوز وصحارى في سفرهم، حتى يشعروا بمشاق السفر. وهذا تفكير سفيه عجيب... فعاقبهم الله على كفرهم النعمة بأن:

- ١ - باعد بين مدنهم.
- ٢ - جعلهم أخباراً تروى دالة على جحودهم.
- ٣ - فرقهم في البلاد شذر مذر، ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَلِيمَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبْطَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مِرْقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

- ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَمْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣) هكذا كان ذو القرنين، يمشي على هدى من الله ونور، جعله هادياً للناس في مشارق الأرض ومغاربها، ومكن له فيها، وسهل له ما يساعده على نشر الدين في المعمورة، فكان إذا مرَّ على قوم دعاهم إلى الله، فإن كفروا عذبهم بالقتل، وبعد القتل نار الله الحامية،

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

وإن آمنوا أحسن إليهم، فعاشوا في خير الدنيا وبركتها، ثم يلقون عند الله سبحانه الجنة، ونعيمها.. ثوابان.. وعقابان ﴿قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (٨٧) ﴿وَأَمَا مِنْ ءَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٨) (١).

٢ - كان لرجل مسلم من أهل صنعاء بستان فيه أنواع النخيل والزروع والثمار، فإذا حان وقت جني الثمر أو الحصاد، دعا الفقراء، فأعطاهم نصيباً وافراً منه، وأكرمهم غاية الإكرام، فلما مات ورثه أبناؤه الثلاثة، فلم يكونوا مثله، فعزموا على منع الفقراء، وجني الثمر خفية في الصباح، وحلفوا على ذلك، فماذا كانت العقوبة؟ أرسل الله عليها ناراً في الليل أحرقت الأشجار، وأتلفت الثمار فذهبوا إلى حديقتهم صباحاً فلم يروا فيها شجراً ولا ثمرأ، فظنوا أول الأمر أنهم ضلوا الطريق، ثم تبين لهم أن الله سبحانه عاقبهم ببيئتهم السيئة، فندموا وتابوا بعد فوات الأوان.

وكان الله تعالى اختبر أهل مكة، بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ حين كلفهم أن يشكروا ربهم فكفروا نعمته، فكان مثلهم كمثل أصحاب البستان

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧)

وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ (١٨)

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩)

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٢٠)

فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ (٢١)

أَنْ أَعِدُوا عَلَيْنَا حَزَازِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٢)

فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ (٢٣)

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيدٍ ﴿٢٥﴾

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾

قَالُوا يَا بُولُوكَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يَتُوبَ إِلَيْنَا إِنَّ إِلَىٰ رَبِّنَا رُجُوعٌ ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾

- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ

١ - فَاجْلِدُوهُنَّ نَجْدِينَ جَلْدَةً

٢ - وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا

٣ - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾

- حين دعت امرأة العزيز سيدنا يوسف إلى الزنا وارتكاب الفاحشة عصمه الله تعالى، وبدل أن يكافئه المجتمع لطهره وعفاهه فتكون هذه المكافأة دفعا لشباب الأمة إلى سلوك مسلكه عوقب بالسجن!!! ليضيع في متاهات أقيسته، ويضيع الشباب في حماة الرذيلة!! ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتكم عن أنفسه، فأستعصم ولكن لم يفعل ما أمرؤ ليسجنن وليكونا من الصغرين ﴿٣٢﴾ ﴿٣﴾

(١) سورة القلم، الآيات: ١٧ - ٣٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٤، والعقوبة في هذه الآية ثلاثة أنواع:

الأولى: عقوبة جسدية «الجلد».

الثانية: عقوبة معنوية لا تقبل لهم شهادة فحقوقهم المدنية ساقطة.

الثالثة: عقوبة في الآخرة. النار لأنهم فاسقون.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَكْبَدَ لَيْسَ جُثَّةٌ حَتَّىٰ جِيءَ ﴾ (٣٥) ﴿ (١) .

والدلائل كلها تشير إلى براءته، ولكن سهل على كبار القوم أن يلقفوا التهم إلى الشرفاء، لينجوا بأنفسهم بصرف الأنظار إلى غيرهم...!! .
هذا عن العقوبة، أما أمثلة الجزاء ثواباً.

فإن يوسف عليه السلام حين أزل منام الملك، ورفض الخروج من السجن إلا أن تظهر براءته، فاعترفت امرأة العزيز بالحقيقة، سُرَّ الحاضرون لنزاهته ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنُوبِي يَوْمَ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (٥٤) ﴿ (٢) فانتقل من السجن إلى الصدارة والوزارة.

وهذا موسى عليه السلام يصل إلى مدين ويسقي للفتاتين ويأوي إلى ظل شجرة، فيدعو الله التيسير، فتأتيه إحداهما قائلة: ﴿ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (٣) . فيزوجه أبوها إياها، ويعيش آمناً.

والثواب على عمل الخير يدفع إلى الاستمرار فيه.

وليتنا نقف ملياً عند هذه الآيات التي تكررت في سورة الصافات في حق الأنبياء الكرام: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وآل ياسين ﴿ سَلَّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٩) ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨١) ﴿ (٤) .

﴿ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٠٩) ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٠) ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١١) ﴿ (٥) .

﴿ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (١٢٥) ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٦) ﴿ إِنَّهُمَا

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ (١)

﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِلَى يَأْسِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (٢)

فَذِكْرُهُمْ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ تَقْدِيرًا، وَتَجْزِيلًا، وَتَعْظِيمًا... أَهْنَاكَ أَحْسَنَ
مِنْ هَذَا الثَّوَابِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبْدَانِ؟ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْمَكَانُ
الْعَالِيَّ وَالْمَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ.



(١) سورة الصافات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

الحذر والحيلة

تعلمنا من آباءنا وأجدادنا أن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وسد الثغرات أسهل بكثير من إعادة بناء أهملناه، فانهدم.

كما أن الحذر مطلوب في أيام السلم والحرب، ومن الصديق والعدو، ومن الأقارب والأباعد. والحذر مطلوب كذلك من عذاب الله، وفتنة الشيطان، والتصرف مع الآخرين بما لا يليق. وبشكل عام يجب الحذر وأخذ الحيلة دائماً ومن كل شيء، دون الوصول إلى التوهم والتوجس الذي يزيد عن حده، والله درّ القائل:

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديق ق فكان أعلم بالمضرة

١ - فهناك الحذر من العدو المتربص في كل زمان ومكان، ينتظر حالة الغفلة والاسترخاء في الصف الإسلامي، وهي حالة تتعارض مع حالة اليقظة. . إن العدو بارع بانتهاز الفرص التي تصنعها له حالة الغفلة، فماذا يفعل العدو، إنه يميل علينا ميلاً لا تبقي ولا تذر، تهلك الحرث والنسل، وتهتك العرض، وتغتصب الأرض، وتستولي على الديار، وتتحكم بعباد الله بطغيان لا مثيل له.

قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَقْفَلُونَ عَنْ أَسْلِحِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (١).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

ويقول الله تعالى آمراً بالاحتراز من العدو والاستعداد له: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٧١) (١).

وقد أمر الله تعالى أن لا نتخذ الكافرين أولياء، وأن لا نجالسهم إذا استهزؤوا بديننا، ومن استمرأ الجلوس معهم، وموانستهم كان منهم، وانتهى إلى مصيرهم، فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذًا يَنْتَهَبُوا مِنْهُ وَإِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٤) (٢).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (١٤٤) (٣).

ويؤكد الله سبحانه وتعالى المعنى حين يقول ناهياً عن مجالسة اليهود والنصارى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) (٤).

وسورة «المنافقون» كلها تحذير منهم. وإليك مثالا واحداً، فهم:

- ١ - يدعون أنهم آمنوا بمحمد نبياً ويشهدون بذلك.
- ٢ - الله سبحانه يؤكد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويشهد أن المنافقين يكذبون في شهادتهم.
- ٣ - والمنافقون يتخذون الأيمان سبيلاً إلى الإيهام بصدقهم.
- ٤ - يجب الحذر منهم لأنهم لا يقرّون على قرار، يؤمنون مرة ويكفرون أخرى.
- ٥ - لا يغرّن منظرهم وفخامة مظهرهم، فهم خشب مستدة ظاهرها متين، وجوفها فارغ.

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

٦ - يجب الحذر منهم فهم أشدّ كرهاً للمسلمين وهم كذّابون.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَمَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَأَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْفًا يُوَفَّقُونَ ﴿٤﴾﴾ (١).

٢ - وهناك الحذر من الشيطان، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (٢).

فالشيطان يأمر بالمفاسد، والحذر من اتباعه واجب، والاحتراس مطلوب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٣).

وبما أن الشيطان عدو لنا، فمن الواجب أن تتخذه عدواً، فهو يورد من اتبعه النار ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرِضُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَقُكُمْ بِاللَّهِ الْقَرُوبُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ (٤).

وعلى هذا الأساس كانت الاستعاذة بالله من الشيطان، ومكره، ووسواسه، وتشكيكه بالحق! قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (٥).

(١) سورة المنافقون، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٢١.

(٤) سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١.

٣ - وهناك الحذر من عذاب الله، والفتنة، وعدم الاستجابة للرسول الكريم.

فالرسول الكريم يدعو إلى الله ودينه القويم، فمن نأى وصدَّ صرف الله قلبه عن الإيمان، وأصابته فتنة تودي به إلى قعر جهنم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (١)

كما أنه لا يجوز خطبة امرأة في عدتها، فمن فعل فقد أثم، قال تعالى: ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ...﴾ (٢)

وينهانا الله تعالى عن مخالفة رسول الله ﷺ، حين يأمر بأمر، فينسلُّ بعضهم إلى الورا خارجاً دون استئذان، وهو الآن من أدب اللقاء، فلاستئذان مشروع لمغادرة مكان الاجتماع، ويحذرنا الله تعالى أن تعلقوا أصواتنا في حضرة النبي ﷺ وأمام حجرته الشريفة، فهذا من الأدب معه ﷺ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِيُحَذِّرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (٣)

أما خيانة الله، فبترك فرائضه، وخيانة الرسول بترك سنته، وخيانة الأمانة عدم تحمل مسؤولية العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وترك الدعوة إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (٤)

٤ - وهناك الحذر من الفتنة بأنواعها.

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

فتنة الأموال، والأولاد والزوج، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ آمَنُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿١﴾.

وقال أيضاً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) ﴿١٤﴾
 ﴿إِنَّمَا آمَنَ آمَنُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿٢﴾.

والله سبحانه وتعالى، حذر الرسول الكريم من الركون إلى الذين كفروا. هؤلاء الذين يريدون منه عليه الصلاة والسلام أن ينصرف عن وحي الله تعالى، أو أن يزيد على هذا الوحي ما يخالف الدين، وحاشا رسول الله أن يفعل هذا، فهو الأمين المؤمن، ولكنه درس لنا معشر المسلمين في الثبات على دين الله، والدفاع عنه دون أن نهتمّ بوعيد الكفار وتهديدهم، أو إغرائهم للدعاة، فالمؤمن وقاف على حدود الله ﴿وَلَا كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلاً﴾ (٧٣) ﴿٧٣﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن بُرِّسْنَا لَقَدْ كُنَّا كِذَّابًا كَثِيرًا وَتَرَكُنَّا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ (٧٤) ﴿٧٤﴾ ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (٧٥) ﴿٧٥﴾ ﴿٣﴾.

وانظر إلى حذر الوالد يعقوب، ففي أكثر من مكان في سورة يوسف يظهر الحذر في حديثه مع أولاده، فلما سأله أن يرسل أخا يوسف «بنيامين» معهم لأن يوسف منع عنهم الكيل إلا بحضوره، قال يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٤) ﴿٤﴾.

ثم طلب منكم موثقاً على إعادته إن استطاعوا ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِيَٰ بِهٖ إِلَّا أَن يَحَاطَ بِكُمْ﴾ (٥) ﴿٥﴾.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) سورة التغابن، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٧٣ - ٧٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٦.

ثم أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة خوف العين الحاسدة، وهو موقف أن الله يفعل ما يشاء..

وهذا موسى يستصرخه رجل من بني قومه على رجل من آل فرعون فيجيبه، ويضرب ذلك الرجل فيقتله، وهو لا يريد قتله، فاستغفر ربه، ووعده ألا يكون عوناً للمجرمين... وبعد أن قتله ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾^(١) والترقب: انتظار الطلب أن يدركه.

حتى إن الفتاتين اللتين كانتا مع الأنعام ابتعدتا عن الرجال لا تختلطان بهم وتنتظران حتى يفرغوا فتتقدمان لسقي ماشيتهما ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبْرِكَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾...﴾^(٢)

وحين أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون قال حاذراً طالباً مساعدة أخيه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾﴾^(٣)

فالحذر في كل الأمور مطلوب، حتى ولو كان كل شيء معك.. فقد قيل: (من مأمنه يؤتى الحذر).

ويجب الحذر من تناقل الإشاعات أياً كانت، فهي مغرصة مؤذية إذا تناقلها الناس دون تمحيصها ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ قَائِلٌ بِئْسَ تَبَشِيرًا لِّمَنْ آمَنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَتِهِمْ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾^(٤)

والحذر يأمرنا كذلك أن نرد كل ما نسمعه إلى المختصين كي لا نقع

(١) سورة القصص، الآية: ١٨.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٦.

في المحذور الذي يحفره لنا الأعداء ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ
أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ﴾... (١).

وتأمل معي حَذَرَ النملة التي رأت جيش سليمان عليه السلام قادماً إلى
الوادي، فحذرت النمل أن تبتعد عن الطريق كي لا ينالها الأذى ﴿وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُرْعَوْنَ﴾ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّعْلِ
قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا سَنَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) (٢).

أفلا يكون المسلم العاقل أشدَّ حذراً منها كي لا يقع في
المحذور؟!.



(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ١٧، ١٨.

أساليب القتال

خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى معركة أحد بجيش قوامه ألف مقاتل. ولما تراءى الجمعان عاد عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث مئة من المنافقين إلى المدينة غير راغبين في القتال. أما حجتهم فلأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصغ إلى قولهم أن يتحصنوا في المدينة إنما استمع لقول الشباب، فخرج بهم إلى ظاهرها، أما الحقيقة فهي أن المنافقين جناء كما ذكرنا ذلك في أسلوب «تطهير الصف». ولماذا يقاتلون، وهم يرون أن المشركين أقرب إليهم من المسلمين، ويتمنون من كل قلوبهم أن ينتصر المشركون على المسلمين!

١ - انتظام الصفوف:

إذا عاد ثلاث مئة، وبقي المسلمون سبع مئة، والمشركون ثلاثة آلاف مقاتل، فهم إذاً أكثر من المسلمين بما ينوف على أربعة أضعاف. كان الرسول ﷺ يحدد مكان المقاتلين، ويصفهم لقتال عدوهم وحين ساور الخوف قبيلتين مسلمتين هما: بنو سلمة وبنو الحارث - فقد هموا أن يعودوا لاعتقادهم أن العدد غير المكافئ لا يبشر بنصر - جاءهم النبي ﷺ يشجعهم، ويشبهم، ويرفع من عزائمهم، وهكذا كان.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾ إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾﴾^(١). فالقتال إذاً كان صفوفاً تثبت في مكانها تصدُّ الهجوم، ثم تنتقل إلى الهجوم.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧.

وهناك أيضاً ترتيب الأصناف، كل مع جنسه ﴿وَحِشْرَ لِشَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ
الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) (١).

فلم تكن هناك فرجات بين الأنواع، وإن كانت منفصلة يتبع بعضها
بعضاً، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنه يجب أن يكون المقاتلون لُحمة
واحدة، وصفاً منضبطاً، وحركة متتابعة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوصَةٌ﴾ (٢) (٢).

والانتظام صفوفاً يورث الهيبة والجلال في نفس الناظر، ففي يوم
القيامة تنزل الملائكة من السماء صفوفاً متتابعة، تبعث على الخوف،
والإجلال، والرهبه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣) (٣).

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٤) (٤).

والصف المتراص دلالة على الوحدة والقوة، فهذا فرعون يأمر السحرة
أن يأتوا صفّاً واحداً ليرهبوا بمنظرهم وحركتهم موسى عليه السلام،
وليزرعوا الإعجاب والإكبار في نفوس عامة الشعب، بل إن السحرة أنفسهم
كانوا أصحاب هذا الأسلوب ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ
أَسْتَعَلَى﴾ (٥) (٥).

٢ - القتال من وراء الحصون:

ويكشف الله سبحانه وتعالى جبين اليهود، وهلعهم من لقاء المسلمين،
فهم لا يقاتلون وجهاً لوجه، إنما يتترسون بالحصون العالية القوية، والجُدُرِ
السميكة المتينة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى

(١) سورة النمل، الآية: ١٧.

يوزعون: يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة النبا، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٥) سورة طه، الآية: ٦٤.

مُحَصَّنَاتٍ أَرْبَعِينَ وَرَبَّاهُنَّ فِي الْحَرْبِ حَدِيدٌ ۚ يَأْتِيَهُنَّ فِي الْبُيُوتِ مُجَسِّمَاتٌ يَخْسِفُهُنَّ وَجُوهَهُنَّ مِثْلَ الْجِبَالِ وَيَعْبُرُهُنَّ وَجُوهَهُنَّ كَمَا يُعْبُرُ الْمَضَاجِقَ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُنَّ كَذَّبَتْ بِآيَاتِنَا فَلْنَبَأَهُنَّ بِمَا كُنَّ فِي الْحَرْبِ حَعِيدَاتٍ ﴿١٤﴾

وهم الآن على قوتهم، وكثرة سلاحهم لا يقاتلون مشاة هاجمة، أو محمولة، وإنما يقاتلون وهم داخل الدبابات، ومن وراء الخنادق، وداخل الملاجئ السمكية، والصواريخ العابرة والطائرات... صحيح أن هذا النوع من القتال الآن هو الأكثر فائدة ونجاة إلا أنهم لا يستطيعون مواجهة الجيش المعادي سفاحاً، وأفضل سلاح لديهم، وأفضل طريقة في القتال بث الفرقة بين المسلمين، وجعلهم أعداء بعضهم لبعض.

وحين يعرف المسلمون أنفسهم حق المعرفة، ويتوحدون، ويحكمون شرع الله فيما بينهم تسقط أسطورة اليهود، ويذوبون كما يذوب الجليد في الظهيرة الحارة...

٣ - الحرب الصاعقة السريعة تشل الحركة:

وقد أكدت الآيات في القرآن الكريم على:

قطع الرقاب وأصابع الأيدي كي لا تستطيع حمل السلاح.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

١ - فَتُوتُوا الَّذِينَ سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ

٢ - فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٧﴾

وهي، الحرب النفسية الإيجابية للمسلمين، والسلبية للأعداء، وتكون

الضربة القاضية بقطع الأعناق، وشل الحركة بقطع الأصابع ﴿فَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فَضْرِبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَمْتُمُوهُمُ فَشَدُّوا الوُتَاكَ فَمَا مَتَّأَ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا ﴿٣﴾

٤ - الإثخان في القتل والاستتصال:

وهنا ينبهنا الله تعالى أن نشد في قتل الأعداء، حتى يعلموا أننا لا

(١) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٣) سورة محمد (القتال)، الآية: ٤.

نرحمهم إن فكروا في الاعتداء علينا، فإذا كثر فيهم القتل، وبلغت قلوبهم الحناجر، واستسلموا جاز لنا أن نأخذ منهم أسرى، أما في بداية المعركة ووسطها فليس لنا إلا القتل والاستئصال لأعداء الله كي تخنس نفوسهم وتذل، فلا يفكروا مستقبلاً في إيذاء المسلمين والتصدي لهم ﴿فَمَا نَتَقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٥٧) (١).

ونجد الأمر بالإثخان، وكثرة الإصابة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) (٢).

وذكر الله سبحانه وتعالى قُوَّةَ موسى حين دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (٣). والوكز: ضربة في الصدر بجمع الكف.

وفي السنَّة النبوية طرقٌ عديدة في القتال، وليس في القرآن الكريم الكثير منها، لأنه - كما نعلم - كتاب تشريع وكتاب حياة - التفصيل فيه في الحياة المعيشية غير وارد.



-
- (١) سورة الأنفال، الآية: ٥٧.
 (٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.
 (٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

تطهير الصف

المجتمع الإسلامي لا يمنع أن يعيش غير المسلمين فيه، وليس فيه ما يسمى التطهير العرقي الذي تمارسه كثير من الدول ضد المسلمين في أصقاع العالم كله، لكنّه يمنع أن يمارسوا ما يخالف الإسلام، ويفسد المسلمين.

للآخرين أن يمارسوا طقوسهم وعاداتهم دون أن ينتج أثر سلبي على المسلمين فإذا حدث هذا منعوا من إقامتها، لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وقد لا ينفع قناطر في تطهير هذا الأثر السلبي.

كما أن المجتمع الإسلامي في مناسك العبادة، والأجهزة المهمة التابعة له لا يقبل وجود عنصر غريب عنه ليبقى نقياً صافياً من الشوائب التي قد تعطل مسيرته وتقلل من إيجابياته.

وقد علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن عامله على العراق أبا موسى الأشعري استعمل يهودياً على ديوان المحاسبة، فأرسل إليه أن يصرفه عن العمل، لكن أبا موسى أرسل إليه أننا لا نجد من يقوم مقامه، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن أرسل إليه يقول: «مات اليهودي» إنهما كلمتان واضحتان لا لبس فيهما. فاضطر أبو موسى لصرفه.

وفي القرآن الكريم ما يعضد فعل عمر رضي الله عنه، فالصف المسلم ينفي عنه ما يعوق تقدّمه ويثقل كاهله.

- فهذا طالوت ملك اليهود ينطلق بجيشه لقتال العماليق، وقد علم أن في جيشه كثيراً من الجبناء، وضعفاء الإيمان، وغير الملتزمين بالطاعة

والولاء، وجيش فيه أمثال هؤلاء يهرب من أول لقاء، فأراد أن يتخلص منهم، فمر بهم على نهر ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُكَلَّفُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾

تخلص طالوت من القسم الأكبر من جيشه، فلا حاجة للعدد الكثير الضعيف، ولا للمختلفين في آرائهم ومشاربهم، هؤلاء عبء متعب، وضغت على إitale، والعدد القليل المؤمن المتجانس في الطاعة، والولاء، والإيمان خير وأقوى، وهكذا كان. فقد انتصرت القلة المؤمنة بإذن الله على العدد الكبير الكافر.

- وهذا سيدنا موسى يعود من لقاء ربه في جبل الطور، فيرى قومه قد ضلوا على الرغم من وجود هارون عليه السلام بينهم، وكان السامري قد رأى جبريل جاء على فرس الحياة، فألقى الشيطان في نفسه أن يقبض قبضة من أثر فرس جبريل، فطرحها على طين صنعها فكان له خوار، فعبده لأن أصول الوثنية فيهم كانت راسخة فماذا فعل موسى:

١ - عاقب السامري بأن طرده من المجتمع المسلم، فلا مكان فيه لفساد.

٢ - حرق إلهه الذي صنعه بنفسه وذر رماده في البحر.

٣ - بين لليهود أن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة لا غيره.

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٤٩ - ٢٥١.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ﴾ ٩٥ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ لِي نَفْسِي﴾ ٩٦ ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْتَحَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ٩٧ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨ ﴿(١)﴾

- وفي حج العام التاسع للهجرة كان أمير الحج سيدنا أبو بكر الصديق، ونزلت سورة براءة على الرسول ﷺ، فأمر علياً رضي الله عنه أن يلتحق بالصديق ليقرا هذه السورة على المسلمين، ومنها هذه الآية الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِمِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٨ ﴿(٢)﴾

فُمِنَعِ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَحْجُوا عِتْبَارًا مِنْ الْعَامِ الْقَادِمِ، فَالْإِسْلَامُ دِينُ الطَّهْرِ، وَالْمُسْلِمُونَ طَاهِرُونَ، وَالشَّرْكَ رَجَسٌ نَجَسٌ، وَالْمُشْرِكُونَ نَجَسُونَ، فَلَا يُسْمَحُ لَهُمْ أَنْ يَخْتَلِطُوا بِالْمُسْلِمِينَ حِينَ يُؤَدُّونَ الْمَنَاسِكَ، وَهَكَذَا طَهَرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ.

وَلَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِبُونَ الْأَطْعِمَةَ وَالتَّجَارَاتِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ لَقَدْ أَبَدَ اللَّهُ مَكَّةَ رِزْقًا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ لَقَدْ رَزَقَهَا الْغَنَائِمَ وَالْحِزْبِيَّةَ، وَأَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ الطَّاهِرَةَ.

- لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ يَعلَنُ عَن وَجْهِهِ إِذَا غَزَا إِلَّا مَا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، لِأَنَّ الْمَسَافَةَ بَعِيدَةً، وَالْمَشَاقَ كَثِيرَةً، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَعْرِفَ الْمُسْلِمُونَ وَجْهَتَهُمْ لِيَجْهَزُوا أَنْفُسَهُمْ، فَاعْلَمَهُمْ بِهَا، فَجَاءَهُ الْمَنَافِقُونَ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي الْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ بِأَعْدَارِ وَاهِيَةٍ، فَقبلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَهُوَ لَا يَرِيدُ فِي الْمَقَاتِلِينَ ذَوِي أَهْوَاءٍ، مُفْسِدِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، بِخِلَافِ. وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) سورة طه، الآيات: ٩٥ - ٩٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

فيهم هذه المفساد فنبطهم وحبب إليهم القعود لأثرهم السلبي، وحبهم للفتنة، بينما يجب أن يكون الصف الإسلامي طاهراً من كل هذه الخباثات ليكون لحمة واحدة وصفاً متماسكاً قوياً، فالسفر طويل، والعدو كثير العدد والعدة، ولا يستطيع تحمل الأمرين إلا المؤمن التقيُّ النقيُّ ذو النية الخالصة لله سبحانه وتعالى المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْزَأَتْ قُلُوبَهُمْ فَمَهْمٌ فِي رَيْبِهِمْ بَرَزَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُمْ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ ابْتِغَاءَهُمْ فِتْنَتَهُمْ وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ فَلَئِنْ يَعْنُوكُمْ فَالْفِتْنَةُ فِيكُمْ سَمِعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ (١).

ويؤكد القرآن الكريم على طهارة الصف المسلم، فهذا الصف نظيف لا يعمل أفرادُه الفاحشة ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِيمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) (٢).

أما الذي يرمي المحصنات، فله عقوبات ثلاث: الأولى عقوبة بدنية، والثانية سحب الحق المدني، فليس له ما للمسلمين، والثالثة النار في الآخرة لنفسه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

١ - فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا جَلْدَةً

٢ - وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةٌ أَبَدًا

٣ - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ (٣).

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

والملاحظ إذاً في الآية الأخيرة أن الذي أساء للمسلمات لا يعود إلى صف المسلمين إلا إذا تطهر بالتوبة، وأصلح ما أفسده.

وحادثة الإفك تبدأ بآية توضح أن الذين خططوا لها كانوا يحسبون على المسلمين، فلما تولّوا إفكها، وتحملوا وزرها، انكشفوا، فبان الصالح من الطالح، وتطهر الصف المسلم منهم حين عرفوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (١).

فأما الذين أذاعوه دون تفكير، فقد عوقبوا وتابوا إلى الله.

أما المنافق الكبير ابن سلول، فهذا مع الكفار في جهنم، والعياذ بالله.

وتعال معي نقرأ الآيتين اللتين تفضح المنافقين وتخرجهم من بوتقة المسلمين: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشئ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة جداداً أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴿١٩﴾﴾ (٢).

- ١ - أمرُ المنافقين المشبطين للعزائم معروف.
- ٢ - هؤلاء يعوقون الناس عن الجهاد، ويصدونهم عن القتال.
- ٣ - يقولون لإخوانهم في الكفر والنفاق تعالوا إلينا، واتركوا محمداً، وأصحابه يهلكوا، ولا تقاتلوا معهم.
- ٤ - يحضرون القتال قليلاً سمعة ورياء، وهذا عَرَضٌ خبيث يريدون به إيهام المسلمين أنهم معهم.
- ٥ - بخلاء بالموّدة، والشفقة، والنصح، فهم لا يريدون للمسلمين النصح.
- ٦ - إذا حضر القتال رأيتهم في رعب شديد لا مثيل له، فهم شديدو الجبن.

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٨، ١٩.

٧ - وإذا جاء وقت قسمة الغنائم، فهم سليطو اللسان لا يرحمون المسلمين من ألسنتهم.

٨ - عملهم باطل لنفاقهم، فهم حقيقة لم يؤمنوا.

- وهذا سيدنا نوح حين غرق ابنه فيمن غرق، وكان الله تعالى وعده أن ينجي أهله اتجه بقلبه إلى ربه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) (١).

فبسم أجابه الله عز وجل؟: ﴿يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

وهنا البراءة من الكافر، ولو كان أقرب الناس إليك، فما يجمعك معه إلا العمل الصالح والإيمان بالله تعالى.

ونجد امرأة لوط كانت ممن أصابهم الموت، والدمار مع أنها زوجة نبي الله ولكن لا بد من تطهير الصف لبقى نقياً صافياً ليس فيه معوقات ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحَرَّبْنَا عَلَيْهِمْ فَلَمَّا تَخَرَّبْنَا عَلَيْهِمْ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَوْمِهِمْ فَصَافَكْ بِهِمْ دَرَكًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ (٣).

وهكذا لا يكون الصف سليماً، ولا يستطيع أن ينهض بدعوته، إلا إذا كان طاهراً من الأمراض سليماً من المعوقات، قوياً ليس فيه طفيليات تمتص نشاطه، وسوس ينخر فيه.



(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآيات: ٣١ - ٣٣.

التمايز والمفاصلة

عرفنا من تطهير الصف أنه لا يجوز أن يكون في الجسم الإسلامي طفيليات تعوق مسيرته، وتضعف قوته، بل يجب أن يتخلص منها ليبقى نظيفاً سليماً معافى.

لكن لا بد من معايشة بعض المجتمعات غير الإسلامية، قد يكونون معنا، وقد يكون جيراناً لنا، نباعهم، ونشتري منهم، وتبادل معهم المنافع الدنيوية... هذا أمر لا مفر منه، أما الذي لا ينبغي أن يكون، فهو الود لهم والولاء، فهنا التمايز والمفاصلة والبراء... وهذا الذي نريده في هذا الباب.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾^(١).

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يتبع إبراهيم عليه السلام في عقيدته السليمة، فماذا فعل إبراهيم؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٧﴾ وَمَا يَنْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٨﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٩﴾﴾^(٢).

وسيدنا إبراهيم هو الذي ﴿... قَالَ يَتَقَوَّمُ إِيَّيَّ بِرِيءٌ وَمِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِيَّيَّ وَجْهَتْ

(١) سورة الكافرون.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ - ١٢٣.

وَجِهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَئِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾^(١).

وهو الذي قال لقومه: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ ﴿٤٨﴾^(٢).

وهو الذي صرح بعداوة الآلهة المزعومة التي يعبدها قومه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَمَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِي ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لِي حُطَّتِي بِرَبِّهِ الْيَوْمِ الَّذِينَ ﴿٨٢﴾﴾^(٣).

وهو عليه السلام الذي توجه إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾^(٤) فالهداية من الله فقط.

وهو عليه السلام الذي أعلن براءته من عبادة غير الله وأمر أبناءه بذلك، ﴿وَإِذْ قَالَ لِأَبْنَائِهِمْ لِأَيِّهِمْ قَوْمِي وَأَنَا قَوْمِي بِرَبِّهِمْ إِنِّي أَتَىٰ بِرَبِّهِمْ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾^(٥).

ولذلك أعلنها النبي عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾^(٦).

وحين شهد الكافرون أن مع الله آلهة أخرى زوراً وبهتاناً كان القول الفصل من النبي ﷺ البراءة منهم ﴿... أَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلهةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٥) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
 الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (١).

ويعلن الله سبحانه وتعالى أن رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام
 بريء من اليهود والنصارى، الذين بدّلوا دينهم، وانقسموا شيعاً، وأحزاباً ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا نِهَاةً لِبَنِيهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾

لَا شَرِيكَ لِي وَلِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ (٢).

إنها براءة من المشركين، ومفاصلة تامة لمعتقداتهم، وتمايز عنهم،
 فهم في وإد الكفر السحيق، ونحن - معشر المسلمين - في ذرا النور
 والضياء.

وكما أننا نمايزهم في الدنيا فالله سبحانه يأمرهم بالابتعاد عنا يوم
 القيامة ﴿وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ لَكُمْ بِبَيْتِي عَادَمَ أَنْ لَا
 تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ (٣).

والأنبياء الكرام كلهم أعلنوا براءتهم من المشركين، فالدين واحد.
 هذا هود عليه السلام يعلن براءته من المشركين ﴿... قَالَ إِنِّي أَنبِئُكُمْ

(١) سورة غافر، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥٩ - ١٦٣.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

اللَّهُ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكْفُرُوا بِجَمَاعٍ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ
 ﴿٥٥﴾ إِلَيَّ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِيَاصِيصِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ (١).

وهؤلاء أصحاب الكهف يعلنون توحيدهم لله سبحانه، ويستنكرون شرك
 قومهم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِنْ
 دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سُطِّئْنَا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءَ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا
 يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ (٢).

والله سبحانه وتعالى يأمرنا أن لا نعاصر من يتخذ ديننا لهواً ولعباً،
 ويستهزئ بآيات الله خشية أن نأنس إليهم فنكون - والعياذ بالله - مثلهم
 منافقين، أو كفاراً وأن لا نتخذهم أولياء، فأولياؤنا يجب أن يكونوا منا -
 معشر المسلمين - ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
 الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِئْتُؤُتْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
 وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا
 تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ يَنْتَهَبُوا مِنْكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ (٣).

ومن سمات المسلمين أنهم يناون بأنفسهم عن اللغو واللهو ﴿وَإِذَا
 سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي
 الْجَنَاحِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (٤) فليسوا منا، ولسنا منهم.

وعلينا معشر الدعوة أن نتمايز عنهم، فلا يكون الود إلا للمؤمنين،
 والحب، والأمان إلا لهم ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
 مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

(١) سورة هود، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ١٤، ١٥.

(٣) سورة النساء، الآيات: ١٣٨ - ١٤٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٥.

عَشِيرَتُهُمْ أَوْلِيَاكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيَاكَ
حِزْبَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (١)

ويحذرنا الله سبحانه وتعالى من موالاة اليهود والنصارى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُمْ مِنْهُمْ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (٢)

ويحذرنا مرة أخرى من الأهل إن كانوا كفاراً، فلا نواليهم ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُمْ مِنْكُمْ فَأَوْلِيَاكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِغَارَةٌ فَخْشُونَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (٣)

لكن الله سبحانه لا يمنعا أن نحسن إلى الكفار الذين لم يقاتلونا، ولم
يؤذونا، فالبر من سمات المسلمين، والعدل من صفاتهم، أما الذين قاتلونا
وأذونا فهؤلاء لا ينبغي الإحسان إليهم ولا موالاتهم وإلا كنا ظالمين لأنفسنا
- والعياذ بالله - ﴿لَا يَهْتَكِرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ
دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

إِنَّمَا يَهْتَكِرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمْتُمْ عَلَيْهِمْ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَقُولَهُمْ وَمَنْ يَنْوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾^(١).

ويؤكد ذلك في السورة نفسها «المتحنة» ناهياً عن موالاته الكافرين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾^(٢).

فلا تلاقى مع الكفار أبداً فطريقنا غير طريقهم، ومآلنا غير مآلهم، ولا يجوز الركون إليهم، واتخاذهم أولياء، فليع المسلمون حقيقة أمرهم، وليحذروا منهم..

(١) سورة المتحنة، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة المتحنة، الآية: ١٣.

الاعتراف بالخطأ

فضيلة يفتقر إليها كثير من الناس، بل إنه شجاعة يقدم عليها المنصف الجدير بالاحترام. فمن اعترف بخطئه أقرّ بإنسانيته. فالإنسان خلق من عَجَل، وفيه عنصر الخطأ، ومن أقرّ بخطئه قمين أن يصلح ما أفسده. أما الذي يخطيء، ويدعي العصمة، ولا يقرّ بما اقترف فيه لؤم ولا أمان له.

- فهذا أبونا آدم وأما حواء، حين انجرا وراء إبليس بعد أن أقسم لهما أنه صادق، فأكلا من الشجرة، وبدت لهما سوءاتهما اعترفا بالخطأ، فأقرّا بذنبيهما ف: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرَ لَنَا وَرَحْمَةً لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٢) (١)، وقد عفا الله تعالى عنه وزوجته حين أقرّا بالخطأ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فِدَتْ لهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (٢١) ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى (٢٢)﴾ (٢).

- وهذه امرأة العزيز حين أبى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن إلا إذا بُرئت ساحته، يستدعيها، وصاحباتها الملك ويسألهن: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) (٣) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغييب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥١) (٣).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٥١، ٥٢.

- وهذا سيدنا موسى عليه السلام يستنجده اليهودي في خصامه مع القبطي: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنْجَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾^(١).

- ١ - علم موسى أنه أخطأ، ولم يكن يقصد قتل القبطي.
- ٢ - نسب هذا الفعل إلى الشيطان، ووسوسته.
- ٣ - استغفر ربه وأتاب إليه، فتاب الله عليه.
- ٤ - عاهد ربه أن لا يعود إلى مثل هذه الأمور.

وعلى هذا فإن موسى عليه السلام حين أتى فرعون يدعوه إلى عبادة الله وحده استنكر فرعون أن يكون القاتل نبياً، وذكره بقتله القبطي ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبُغْيَ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾^(٢) فما كان من موسى عليه السلام أن اعترف بذلك ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا أَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾^(٣).

ونسي فرعون، أو تناسى أن موسى عليه السلام قتل المصري خطأ أما هو فطاغية مجرم قتل عشرات الآلاف من المصريين، واستعبد بني إسرائيل، وكان يقتل المواليد من الذكور ليحلم رآه - قتلهم عن قصد - لكن الإنسان لا يرى ذنبه مهما كبر، ويرى ذنب غيره مهما صغر.

- وذهب موسى مع الرجل الصالح ليتعلم منه (في قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف) فلما استعجل العلم مرتين، مرّة في خرق السفينة،

(١) سورة القصص، الآيات: ١٥ - ١٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ومرة في قتل الغلام رأى في المرة الثالثة أنه أخطأ فـ: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ
شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) (١).

- والله سبحانه وتعالى وعد المخطئين الذين فعلوا ما فعلوه عن جهل،
وسوء تقدير، ثم استدركوا، فتابوا، بالمغفرة والرحمة ﴿ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ
لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩) (٢).

- وهؤلاء أصحاب الجنة لم يكونوا كأبيهم كرماً، وفضلاً، وإحساناً
فبخلوا على الفقراء أن يعطوهم نصيبهم، فاتفقوا على قطف ثمارها وبيعها
قبل مجيئهم، فأحرق الله زرعها نكايه بهم، وجزاء لهم على شحهم،
وبخلهم، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْنا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾
(٢٩) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنْنا كُنَّا طٰغِينَ﴾ (٣١) ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ
يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنْنا إِلَّا رَبِّنَا رٰعِبُونَ﴾ (٣٢) (٣) فاعترفوا بخطئهم، وأتابوا إلى ربهم
واستغفروه، وأقروا بظلمهم المساكين، وظلمهم أنفسهم.

- هؤلاء أقروا بما فعلوا في الدنيا، وما زال في الوقت متسع وإن
أتابوا واستغفروا رضي الله عنهم، ولكن في الآخرة لا ينفع الندم، ولا
يفيد الاستغفار، ففي الدنيا عمل، وفي الآخرة حساب: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صٰلِحًا
إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) (٤).

فماذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَذُوقُوا يٰمَنْ نَسِيَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا
إِنَّا نَسِينَكُمُ وَّذُوقُوا عَذَابَ الْخٰلِدِ يٰمَنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) (٥).

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٩.

(٣) سورة القلم، الآيات: ٢٨ - ٣٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٤.

وهؤلاء المجرمون، وهم في العذاب الشديد يدعون على أنفسهم،
 فهم الذين أوقعوها في جهنم، فيخبرهم الله تعالى أنه يكرههم، ويمقتهم
 أكثر مما يكرهون أنفسهم ويمقتونها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقْتُ اللَّهِ
 أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا
 آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلِ ﴿١١﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
 الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ (١).

- وتعال معي من قريب نلاحظ هذه الصورة، وهذا النقاش بين
 ملائكة العذاب، والكفار الذين اعترفوا بما اقترفوا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾
 تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ

كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾؟

قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَّا فِي سَلْجِلٍ

كَبِيرٍ ﴿٩﴾

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾
 فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (٢).

فالاقرار إذاً بالخطأ وفي الوقت المناسب ينجي من اقترفه في الدنيا
 حين يسامحه من أساء إليهم أما الاعتراف في الآخرة، فهو على نوعين:

الأول: الخطأ في العقيدة كالكفر بالله والشرك به، فهذا لا غفران له.

الثاني: الخطأ في التصرف، فالله غفور رحيم نسأله أن يغفر لنا
 خطايانا أن كنا من المؤمنين.

(١) سورة غافر، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة الملك، الآيات: ٦ - ١١.

التعريض والتلميح

عَرَضَ في حديثه: لم يبيته ولم يصرخ به.
وعَرَضَ له وبه: قال قولاً وهو يعنيه، ويريده، ولم يصرح به.
ولمَّحَ إلى الشيء تلميحاً: أشار إليه، وقديماً قالوا: (رب تلميح أوقع
من تصريح)، وقالوا كذلك: (إياك أعني واسمعي يا جارة).

وللتعريض فوائد عديدة، منها:

- ١ - التنبية دون الاتهام والتجريح.
- ٢ - التراجع عن الشيء دون حرج «حفظ خط الرجعة».
- ٣ - تقبل النصيحة دون فضيحة.
- ٤ - إيصال الأمر مغلفاً باللطف والأدب.
- ٥ - التعميم في الحديث دون لفت النظر إلى المعنى به.
- ٦ - المديح والتعظيم للعمل الطيب وأصحابه.
- ٧ - الجهل بالفاعلين، أو القائلين، وإظهار الرضا، أو الامتناع.
- ٨ - الذم والتحقير.

وقد حرص القرآن الكريم - وهو يعلمنا - على هذا الأسلوب، لما فيه
من تلك الفوائد وغيرها.

- فهو على سبيل الجهل بالقائلين، وذم مقالهم، يحدثنا عن الكثير من

الناس الذين لا يصل تفكيرهم أبعدَ من أرنبه أنوفهم، فيطلبون الخير الزائل، والمكسب القليل النافذ فقط، وهم بذلك يقطعون على أنفسهم الفضل العميم الزائد المستمر، وعلى نفسها جنت براقش ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَنَا فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (١).

ويمدح مباشرة أصحاب العقول الراجحة، والنظرة الثاقبة الذين تتحرك قلوبهم، وأفتدتهم نحو النعيم المقيم، والخير الأبدي، إلى رضى الله وجنته ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

لم يحدد الطرفين، ولكنهم كثير «والناس» كم هائل، ولفظ عام ينضوي فيه أبناء آدم إلى يوم القيامة.

- ومن الأمثلة على التعريض والتلميح في التوبيخ والذم قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٤) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

فقد أصاب المسلمين يوم أحد جراحات.. فما إن عادوا إلى المدينة حتى أرجف المنافقون فيها - وهم لفظ الناس الأول - أن المشركين - وهم لفظ الناس الثاني - قد عادوا إلى المدينة ليستأصلوهم.. فماذا فعلوا؟:

- ١ - ازداد إيمانهم بالله لأنهم واثقون بنصره إياهم.
- ٢ - لجأوا إليه، واعتمدوا عليه، وتوكلوا عليه، وهو سبحانه لا يخيبهم.
- ٣ - ألقى الله تعالى الرعب في قلوب المشركين، فانكفأوا عن المدينة إلى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٥.

مكة وعاد المسلمون راضين مطمئنين. فالشيطان يخوف أوليائه، وليس له سلطان على أولياء الله تعالى.

لكنَّ المسلمين جميعاً عرفوا المقصود من كلمة الناس الأولى، وكلمة الناس الثانية، وكذلك عرف المنافقون أنهم قد عُرض بهم، فخنسوا وذلوا....

- ومن الأمثلة على التعريض دون التصريح في التحقير، والذم قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴿٢٤٦﴾﴾ (١).

فبعض المنافقين يروق للناس كلامهم، ويشير إعجابهم بخلافة ألسنتهم، وبلاغة بيانهم لكنَّ الله تعالى لا تجوز عليه سبحانه مثل هذه الأمور لأنه علام الغيوب، المطلع على السرائر، هؤلاء المنافقون يُشهدون الله - زوراً - على صلاحهم المزعوم وكلامهم المعسول، فإذا انصرفوا عن المسلمين عاثوا في الأرض فساداً، فأحرقوا الزرع، وأهلكوا النسل.

وإذا وُعظ هؤلاء الفجرة الأفاكون، وقيل لهم: اتقوا الله، وانزعوا عن أقوالكم وأفعالكم القبيحة حَمَلَتْهُمُ الْأَنْفُ، وحمية الجاهلية على الإغراق في الفساد، والإمعان في العناد، فعقوبتهم النار، أعادنا الله من عذابها.

- أما المؤمنون الأنقياء، فهم بريئون ممَّا يفعل أولئك، بل إنهم يبيعون نفوسهم لله سبحانه، يرجون ثوابه، ويبتغون مرضاته، وهؤلاء هم الذين سيرحمهم الله، ويغفر لهم، فهو الرؤوف الرحيم بحالهم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا منهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾﴾ (٢).

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

- ومن الأمثلة على التعريض بالمفسدين علماً بما يفعلون، وتحذيراً منهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَمَسْ مِنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ يُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَبْغِي عَلَيْهِ وَيَخَذَهَا حُزْواً أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ تُسْتَكْبِرْ كَانَتْ لَمْ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ (١).

فكل من يشتري ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير فيه، ولا فائدة نحو السمر بالأساطير، والتحدث بما يضحك، وما لا ينبغي، ليضل الناس عن طريق الهدى، ويبعدهم عن دينه القويم، بغير حجة، ولا برهان، ويستهزئ بكتاب الله له عذاب شديد مع الذلة والهوان.

فإذا أهتمته ما يجب أن يفعل ليكون من عباد الله المتقين، ونهيته عن مبالذله ومفاسده صك أذنيه، وأدبر متكبراً كأنه لم يسمعها، ويتغافل عنها راعياً عنها، فلماذا ولأمثاله عذاب أليم.

والآيات التي استشهدنا بها بدأت كلها بقوله: ﴿وَمَنْ أَلْتَمَسْ﴾ دون أن يحدد لهم للأسباب التي ذكرناها. وأصحابها يعرفون أنفسهم، فيغتاطون، والمسلمون يعرفونهم، فيحذرونهم، ويتجنبون الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء.

- ومن الأمثلة على التعريض توبيخاً، وذمماً، وتقريعاً قوله تعالى في المنافقين: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَلَعْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (٢).

فهؤلاء المنافقون يعتقدون أن الله تعالى لن يكشف للمؤمنين شكهم ونفاقهم، وأنه لن يظهر بغضهم، وحقدهم على المسلمين. بل إنه - سبحانه - فاضحهم، وكاشف أمرهم، ولو أراد الله سبحانه لعرف رسوله عليهم بأشخاصهم، وعلاماتهم. كما أنهم يكشفون أنفسهم في طريقة كلامهم وأسلوب عرضه، وتعريضهم بما يسيء للإسلام والمسلمين.

(١) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) سورة محمد (ﷺ)، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوب عباده كلهم، شاكرهم،
وعاصيهم، مؤمنهم وفاجرهم، وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ هو
التعريض والتلميح نفسه، فلحن القول عدم التصريح به.



القصد والاعتدال

قالوا قديماً: (خير الأمور أوسطها) والوسط: الاعتدال، فهو يأخذ من الطرفين المختلفين أحسن ما فيهما، ويترك سيئهما، فيجمع الخير منهما ويُسقط ما عدا ذلك.

وقال رسول الله حاثاً على التآني: «إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى».

وحين كلفنا الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا سوى ما نستطيعه، فقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١)، فلم يرهقنا، ولم يأمرنا بما يقصم الظهر، ويهد الكاهل، بل ما تقدر عليه لنقوم بفروض الطاعة وقد قيل: (إذا أردت أن تطاع فأطلب المستطاع).

وحين نزلت الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) جثا المسلمون على ركبهم، وأكل الخوف قلوبهم، فما من أحد إلا والأفكار تساوره من كل مكان، ويخطر على بال أحدهم ما يُسلم عنقه للقطع، ولا يبوح بما خطر على باله، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تقولوا كما قالت يهود سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم أنزل الله

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

تعالى قوله: ﴿إِٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ
وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا فُرْقَۃَ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا
غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾ (١)

فارتاحت قلوب المسلمين، وهدأت نفوسهم، ورجوا من ربهم
التيسير، فنزلت الآية الأخيرة من سورة البقرة:

﴿لَا يَكْلِفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اَخْطَاْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهٖ

وَاَعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَاَرْحَمْنَا

اَنْتَ مَوْلَانَا فَاَنْصُرْنَا عَلَيَّ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴿٢٨٦﴾ (٢)

- والقصد في كل شيء عنوان المسلم، فلا يذهب يميناً، ولا يذهب
شمالاً بل يكون معتدلاً في كل تصرف من تصرفاته.. قال تعالى على لسان
لقمان يعظ ابنه:

﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرْحًا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴿٢٨٧﴾

وَأَقْصِدْ فِي مَشِيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ ﴿٢٨٨﴾ (٣)

- وقال الله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا مَّحْسُوْرًا ﴿٢٩﴾ اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّهٗ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة لقمان، الآيتان: ١٨، ١٩.

كَانَ بِعَادُوهُ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾ .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْهُورًا ﴿٣٤﴾ ﴿٢﴾ .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾
كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴿٣﴾ .

فإذا أمعنا النظر في الآيات السابقة وجدنا أنه:

١ - لا ينبغي للمسلم أن يكون بخيلاً شحيحاً، ولا مبذراً مسرفاً: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾﴾ ﴿٤﴾ ،
والتبذير في معصية الله والباطل يجعل صاحبه مثل الشيطان.

٢ - فمن بخل، أو أسرف صار مذموماً من الخالق والخلق، منقطعاً من المال.

٣ - وأن القتل إجرام حرّمه الله، وعاقب عليه أشدّ العقاب، ولا يكون القتل إلا في ثلاثة مواضع معروفة، أوجبها الله.

٤ - وأن من قُتل ظلماً بغير حق يوجب قتله، فقد جعل الله لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية، أو العفو، فلا يتجاوز الحد المشروع بأن يقتل غير القاتل، أو يمثل به، أو يقتل اثنين بواحد فعلاً أهل الجاهلية، وحسبه أن الله نصره على خصمه، فلا يتجاوز حدّ القصد، والاعتدال.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

٥ - وأن التصرف الحسن بمال اليتيم تسميره، وحفظه أما أكله، فهو ظلم كبير ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (١).

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا

وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَوْفَّ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (٢) فجاز الأكل من مال اليتيم بالقدر القليل، فلا يفنيه أو يأكل منه كثيراً.

٦ - وأن السير الذي يرضيه الله تعالى ما ليس فيه فخر، ولا كبرياء، ولا تعاضم، ولا مباهاة.

- كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول يبلغ رسالة ربه، ويدعو إلى الإيمان به والعمل بما يرضيه، وهناك من يؤمن به، فيفرح وترتاح نفسه، وهناك من يكفر، ويأبى الإيمان، فيحزن الرسول الكريم، ويتألم لإعراضهم، ويشتد حزنه، فينبهه الله تعالى أن لا يشغل باله فيهم كثيراً، ويهلك نفسه لإعراضهم: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا﴾ (٣).

﴿لَعَلَّكَ بِنِجْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (٥).

فالحزن إذاً من شيمة المسلم الحساس، وهذا أمر إيجابي ولكن حين يزيد عن حده يصبح سلباً. فالاعتدال مطلوب.

- وكل أمر يفعله الله تعالى حكمة واعتدال ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (٦).

(١) سورة النساء، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٣.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٦) سورة القمر، الآية: ٤٩.

حتى الرزق ينزله بقدر حتى لا يطغى الناس ويفسدوا، وهو الذي يعرفهم لآته الذي خلقهم، فلا يفتح عليهم ما يزيدهم طغياناً ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٧) (١).

- وهذا قارون ازداد ماله فبغى، وطمعى، وهو مثال للإنسان الذي يكثر ماله، فيرى نفسه فوق الجميع ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُوزِ مَّا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَتَتَوَّأْنَ بِالْمُنْصِبِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦)

وَأَتَّبِعْ فِي مَآءِ اتِّلَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ﴾ (٧٧)

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٢).

فقارون:

١ - بغى على قومه، وكان حرياً به أن يكون عوناً لهم.

٢ - ونصحه قومه خمس نصائح:

أ - أن يتخلى عن الكبر، والبطر، وينقلب إلى شكر النعمة، والاعتراف بفضل الله.

ب - أن يوظف أمواله في خدمة دين الله، وابتغاء الآخرة.

ج - والإسلام كما علمنا دين الاعتدال، فلا ينسى نصيبه من الدنيا.

د - أن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ (٣).

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) سورة القصص، الآيات: ٧٦ - ٧٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

هـ - أن لا يتناول على الناس بهذا المال، ويفسد ضعفاءهم، فيشتري ذممهم بالمال.

٣ - ادعى قارون - وهو كاذب مدع - أنه كسب المال بذكائه، ونبوغه، وعبقريته.

ويرى من تدبر هذه الآية أن فيها دعوة إلى الحق، والقصد في التصرف.

- وقد تكون النعمة نقمة حين يفرح الإنسان بها، والفرح كما مر معنا في الآية السابقة، البطر والأشر، والتعالي على الناس والتناول، والنعم قد تكون صحة، وغنى، وأمنًا.

- وحين يقترف الناس الآثام يصيبهم جزاء ما اقترفوه جذب ونقمة وبلاء وشدة فيبالغون في الجحود والنكران والكفران. أما المؤمن فإنه إن أعطي شكر، وإن منع صبر، فكان له الخير في الأمرين ﴿... وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (١).

- ولماذا يقول الله سبحانه وتعالى مهدداً المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ (٢). التهديد سببه أنهم لا وسطية عندهم، والوسطية إعطاء كل ذي حق حقه والتصرف مع الناس بما يرتضونه لأنفسهم، ولا يلتزمون الحد الشرعي، ولا الحد المنطقي فقدوا العدل والاعتدال، والقصد وتاهوا في الضلال.

- وعاتب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم في منع نفسه ما أحل الله له من النساء لأن زوجته غاضبتاه ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾.

ولاحظ الخطاب المشعر بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الشريف حين خاطبه بلفظ النبوة لا باسمه كما خاطب بقية الأنبياء بأسمائهم... فقال له متلطفاً لماذا تمنع نفسك ما أحلَّ الله لك، وتضيق على نفسك في مرضاة أزواجك، وهنَّ أخرى أن يتعبن أنفسهن في مرضاتك، فأرح نفسك من هذا العناء.

فقد امتنع رسول الله ﷺ عن مارية - ولقاء المرأة أنس ومتمعة - ليرضي خاطر بعض أزواجه، وكان له أن لا يمتنع عنها...

وهذه اللفتة تدعو إلى الوسطية في التصرف، والابتعاد عن الإغنيات.

- وأخيراً، يقول الله تعالى: ﴿أَتَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ...﴾ (٢)، فالله تعالى يأمر المسلمين الذين يطلقون زوجاتهم أن يسكنوهن في بعض مساكنهم التي يسكنونها، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة.. فلا يكلفهم الله سبحانه وتعالى إلا ما يستطيعون...

فالقصد القصد في المعاملة، والاعتدال الاعتدال.



(١) سورة التحريم، الآية: ١.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٦.

أسلوب الحكيم

قد يسأل أحدهم سؤالاً، فتجيبه بغير ما يترقبه إما بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصده إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

- من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (١).

هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله ﷺ عن الأهلة، لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك، يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة، فصرفهم إلى بيان الحكمة من الأهلة، وكأنه يقول: كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة، لا عن سبب تزايدها في أول الشهر وتناقصها في آخره، فهي وسائل للتوقيت في المعاملات، والعبادات.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢).

سأل الصحابة عن بيان ما ينفقون - ما الذي ينفقونه - فأجابهم ببيان المصارف، تنبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها، لأن النفقة لا يُعتدُّ بها إلا أن تقع موقعها. وكل ما فيه خير فهو صالح للنفقة. فالمال ينفق منه،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

والطعام كذلك ينفق منه، ومساعدتك الآخرين في أمورهم وتفريج كربهم نفقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.. إذا ليس المهم ماذا تنفق فهو كثير، ومتنوع، وشامل إنما الأهم معرفة المواطن التي يجب أن يكون الإنفاق فيها.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (١).

فقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم رسولهم الكريم: أيجوز القتال في الشهر الحرام؟ وهل يحل ذلك؟ إننا نحسب ذلك حراماً، ومن فعله أخطأ خطأ ذريعاً. فنبه القرآن إلى أن القتال فيه، وإن كان خطأ جسيماً، ووزراً عظيماً، إلا أن هناك ما هو أعظم وأخطر، إنه الصدُّ عن سبيل الله، وكفرٌ بالله، ومنع المؤمنين عن دين الله، وإخراجهم من مكة.. كلُّ هذا أعظم وزراً، وذنباً عند الله من قتل من قتلتم من المشركين في هذا الشهر الحرام، فإن استعظم المشركون قتالكم لهم في الشهر الحرام، فليعلموا أن ما ارتكبه في حق النبي ﷺ والمؤمنين أعظم وأشنع.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (٢).

فالصحابة يسألونه ﷺ عن سبب حيضة المرأة، فبينهم الله تعالى إلى أمور عدة غير ما سأله ﷺ عنه فأخبرهم أن الحيض:
أولاً: أذى يصيب الزوجين لأنه شيء مستقذر، فاجتنبوا النساء فيه مدة حيضهن.

ثانياً: فإن طهر المكان، وصار نظيفاً حقاً للرجال معاشره أزواجهن،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

والتمتع بهنّ، وقد كانت العادة عند اليهود أن المرأة إذا حاضت عندهم نبذوها، فلم يجالسوها ولم يؤاكلوها فنبههم القرآن أن الغرض عدم المعاشرة الزوجية فقط، فالنساء شقائق الرجال.

ثالثاً: فإذا طهّرت المرأة، فأتوهنّ في المكان الذي أحله الله لكم، وهو مكان النسل والوليد، القبل لا الذبّر، فالله يحب التوابين من الذنوب المنزهين عن الفواحش والأقذار.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١) (١).

فالمنافقون يبسطون ألسنتهم في أذية الرسول ﷺ، ويقولون: إن عاتبنا حلفنا له أننا ما قلنا في حقّه ما يسيء، فيقبله منا، فإنه أذن سامعة يصدق كل ما يقال له!! وهذا سوء أدب منهم في حقّه ﷺ! ولكن الرسول الذكي الأديب الأريب الذي رباه ربه، فأحسن تربيته، ووصفه بالخلق العظيم يستمع للصادق في صدقه، حتى إذا فرغ شيعته بالدعاء، وبشّ في وجهه، ويستمع للكاذب في كذبه حتى إذا فرغ لم يجبهه، بل شيعه بكلمات تعلمه الأدب دون أن يجرح نفسه لأنه المربي.. القدوة.. وأصحاب الأدب يحمدون له هذه الصفة، فلا يجلّ الكريم إلا الكريم.. أما اللئام فيحسبون - لخناسة نفوسهم وسوء طبعتهم - أن الرسول الكريم سماع لكل قول.. يصدق كل إنسان، يجوز عليه الكذب والخداع، لا يفتن إلى زور القول وغشه، من حلف له صدقه، ومن دسّ عليه قولاً قبله.

فيردّ القرآن معلماً، ومنبهاً، فيقول: إن رسول الله ﷺ أذن.. نعم.. ولكنه أذن خير للمسلمين يبلغهم رسالة ربهم، التي فيها الخير والفلاح، وأذن خير للمنافقين، يستمع إليهم، ويعلم أنهم كاذبون، فلا يجبههم بخداعهم ونفاقهم، ولا يصدقهم فيما يقولون فالله أرسله رحمةً للعالمين، أما

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

الذين يؤذون رسول الله ﷺ، فحسبهم الذلة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٦﴾﴾^(١).

فهؤلاء الكفرة المعاندون يقولون معاجزين - وكان الأمر بيد رسول الله ﷺ يفعل ما يشاء - هلاً أنزل على محمد ﷺ معجزة من ربه كما كان للأنبياء من قبل من الناقة، والعصا، واليد، وما إلى ذلك من المعجزات... فينبه القرآن هؤلاء المجرمين إلى أن أمر الغيب لله وحده، ولا يأتي بالآيات إلا الله سبحانه. أما الرسول ﷺ، فيبلغ ما أمره الله تعالى به، وينتظر قضاء الله فيما يريد، وما على الرسول إلا البلاغ المبين أفلا ترونه بشراً مثلكم يأكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون!!؟.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾^(٢).

جاء الكفار يسألون رسول الله ﷺ عن ماهية الروح، وكيف تدخل الأجسام، ولماذا تخرج منها... فنبههم القرآن الكريم، أنه كان عليهم أن يعرفوا حدود علمهم، وأن يسألوا عما يهمهم ويفيدهم في أمر أخراهم، لا أن يسألوا عن أمور لن يصلوا إلى فهمها بعلمهم القليل الضحل، فالروح من أمر الله تعالى، وأسراره، وما أوتي الإنسان من العلم إلا قليلاً..

- ومن أسلوب الحكيم في القرآن الحكيم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٥٧﴾﴾^(٣).

هؤلاء الكفار يمتعون القضية، فيسألون عن خلق الجبال، وارتفاعها،

(١) سورة يونس، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة طه، الآيات: ١٠٥ - ١٠٧.

وعظمتها، فينبه القرآن في جوابه إلى أنّ عليهم أن يعلموا أمرين، حدوثهما
خطير:

الأول: أن هذه الجبال الشاهقة المتسامقة علوّاً، التي تناطح السحاب
بكلّكلها الضاربة في أعماق الأرض أوتادها.. إذا جاء يوم القيامة ينسفها الله
تعالى نسفاً، فيفتتها كالرمل، فيتركها ملساء مستوية لا نبات فيها، ولا بناء،
ولا انخفاض، ولا ارتفاع.. إنه ليوم عظيم هائل لا بدّ قادم.

الثاني: أن الناس في هذا اليوم ينطلقون سراعاً إلى أرض المحشر لا
يزيغون، ولا ينحرفون، ذليلاً لهيبة الله تعالى ساكنة أصواتهم، لا يتكلمون
إلا من أذن له الله تعالى في القول.. إنه ليوم رهيب على العاقل أن يسأل
عنه ويؤمن به، ويعمل له، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم، ونية خالصة...

إن أسلوب الحكيم أخذ بيد السائل إلى الاهتمام بما ينفع ليصل به إلى
بر الأمان وشاطئ السلامة.. وقد كان رسول الله ﷺ المعلم الرائع في
أحاديثه الشريفة، يسير على هدي القرآن وينير بهذا الأسلوب العظيم درب
الإنسان... فهلاً كنا تلاميذ له نُجاء..!!؟



الحكمة

تعريفها:

- ١ - الوصول إلى أفضل الأهداف، بأفضل الطرق، وأنسبها.
- ٢ - وهي - أيضاً - العلم والحلم، وصواب الأمر وسداده، والكلام الموافق للحق.

وبما أن السنة النبوية المطهرة توافق التعريف الثاني، فقد وردت الحكمة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

ووردت كذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَالِّينَ مُبِينِينَ﴾ (٢).

وتأتي الحكمة في القرآن الكريم في معاني كثيرة منها:

- ١ - العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٢ - السداد في القول، والعمل كما في قوله تعالى يمدح عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) (١).

٣ - اللين والرفق، والأسلوب الحكيم المؤثر كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) وليس هناك أحسن من التلطف والهدوء، والحجة، والبرهان الواضح المقنع دون تشنج، وعصبيّة.

- ومن الأمثلة الموافقة للتعريف الأوّل في الدعوة إلى الله تعالى قوله سبحانه:

١ - ﴿لَا يَتَّبِعِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ اُولِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ اِلَّا اَنْ تَكْتُمُوْا مِنْهُمْ فَعَنْهُمْ وَيَعِزُّكُمْ اللّٰهُ تَنْفُسُ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ﴾ (٢٨) (٣).

أ - فالقاعدة أنه لا ينبغي موالاته الكافرين.

ب - ومن الأهم تعرّض للطرد من جماعة المسلمين، فلا يلتقي كفر وإيمان.

ج - وقد يكون هناك حكمة من ملاينة الكافرين، ومتابعتهم أحياناً لسبب ما تقاة منهم ودرءاً للمخاطر، وجلباً للمنافع، فلا بأس إذ ذلك من إظهار غير ما نبطن، والحذر مطلوب، لكن دون المساس بالقواعد الإيمانية والأصول الإسلامية.

٢ - وقوله سبحانه على لسان أهل الكهف: ﴿فَاتَّبَعُوا اٰحَدَكُمْ يُوْرِقُكُمْ هٰذِهِ اِلَى الْمَدِيْنَةِ فَلْيَنْظُرْ اَيُّكُمْ اَزْكٰى طَعَامًا فَلْيَاْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ اٰحَدًا﴾ (١٩) إنهم إن يظهروا عليكم يرحمواكم أو

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٥﴾ (١).

١ - فقد شعروا بالجوع بعد أن استيقظوا من سباتهم الطويل، وهم يحسبون أنهم ناموا يوماً، أو بعض يوم.

٢ - أرسلوا أحدهم ليأتيهم بطعام طيب، وأمره بالتستر والملاطفة كي لا يظنوا به الظنون، فينكشف أمره، ويدل على أصحابه، فتكون العاقبة أليمة.

٣ - وقوله سبحانه في التزام مَنْ كان سباقاً إلى الإسلام: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالشَّيْرِ يُرِيدُونَ وَجَهَةً وَلَا تَعَدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٨﴾﴾ (٢).

فالكفار حين دعاهم الرسل صلوات الله عليهم إلى الإيمان تذرّعوا بأعذار كثيرة واهية منها: أنهم لن يؤمنوا بهم، فلا يكونون وضعفاء المسلمين سواء بسواء فقالوا: ﴿أَنْزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (٣).

فكان جواب القرآن الكريم: ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (٤).

وهؤلاء الكفار غير صادقين، والمؤمنون الضعفاء سباقون إلى الإسلام، باعوا أنفسهم لله، واستبعادهم ولو قليلاً يؤدي إلى:

أ - إيذاء مشاعرهم، وصدمة صدمة عنيفة تفسد عليهم دينهم.

ب - طمس فضلهم في خدمة الإسلام، وسبقهم إلى الإيمان، وهذا إجحاف بهم، وظلم نَفَرَ الإسلام منه فكيف يؤصله؟!.

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١١٣، ١١٤.

ج - خسارة مزدوجة - لا سمح الله - فهؤلاء الكفار لن يؤمنوا، أما الذي آمن ورأى الظلم ما زال واقعاً عليه، فسيرتد، أو يضعف إيمانه.

ولذلك أردف الله سبحانه تلك الآية بقوله مهدداً الكفار واعداء إياهم بالعذاب الشديد: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَزَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَعِينُوا يَأْتُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ (١)

وأتبعها بما يثلج صدور المؤمنين السابقين إلى الإيمان فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٢﴾﴾ (٢)

وأكد هذا بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ... ﴿٣٣﴾﴾ (٣)

فالحكمة من هذا التلطف الاعتراف بالسبق إلى الإسلام، وتثبيت الإيمان في نفوس السابقين إليه، ورفع درجاتهم.

٤ - ومن الأمثلة على الوصول إلى أفضل الأهداف بأفضل الوسائل قوله

تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه يدعوهُ إلى الإيمان: ﴿يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾

يَتَّابِتْ لِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾

يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٠، ٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٥٤.

يَتَأْتِي إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَليًا ﴿٤٥﴾ (١)
 فهو يحب أباه ويريد له الخير . فكيف خاطبه؟ :

أ - تلتطف إليه بقوله: (يا أبت) ليدخل إلى قلبه المتحجر .

ب - نبهه إلى خطئه في عبادة الأصنام، وهون من شأنها .

ج - أعلمه أن الله وهبه علماً نافعاً، وهو يريد لوالده الهداية .

د - حذره من إتباع الشيطان المؤدي إلى المهالك .

هـ - خوفه من عذاب الله .

و - كزّر كلمة يا أبت ليخفف عليه وطأة التغيير، وليمتص غضبه .

فالحديث مع الأب والأم وذوي المكانة في نفس المتكلم يستدعي التلطف، واللين، والرفق، وهذا من الأسلوب الحكيم الذي يدخل فيه الإنسان إلى قلوب الناس، أو يحنّدهم على الأقل ويستل الضغينة من نفوسهم .

٥ - ومن الأمثلة أيضاً: التعريض والتلميح في العتاب خاصة لمن تحب، مع إظهار الحب والودّ .

وألطف ما رأيت ذلك العتاب الرفيق، والتحبب الرقيق من سيد الكائنات وخالقها لحبيبه سيد المخلوقات .. سبحانه الله .. والصلاة على رسول الله ...

وذلك في قوله سبحانه: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرًا لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ (٢) . وذلك حين قام رسول الله ﷺ الليالي مع أصحابه في مكة صلاةً وقراءةً، وتدبراً، فقال الكافرون: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى!!! وكان لقاء الله، ومناجاته عذاب وشقاء!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم!! .

وفي قوله: ﴿عبسَ وَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ (٣) فلم يقل الله تعالى

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ - ٤٥ .

(٢) سورة طه، الآيات: ١ - ٣ .

(٣) سورة عبس، الآيتان: ١، ٢ .

لنبيه عبست، وتوليت أن جاءك الأعمى.. بل جعله في صيغة الغائب، وهذه حكمة الله في تعليم نبيه ﷺ.

ففي الآيات الأولى من سورة طه كان الحديث مباشرة لأن فيها دفعاً للأقويل، وتشجيعاً على المثابرة في قيام الليل.

وفي الآيتين الأوليين من سورة عبس عتاب رفيق استوجب التعريض، والتلميح، فرسول الله ﷺ اجتهد حين جاء ابن أم مكتوم يسأله، وعنده رجالات من قريش يأمل أن يؤمنوا به وبرسالته، فاستأخره حتى ينتهي من لقائهم.

- ومن الأمثلة أيضاً في الحكمة المشاكلة والمشاكلة:

فقوم فرعون كانوا ماهرين في أعمال السحر، فكان من الحكمة - والله أعلم - أن تكون معجزات سيدنا موسى، العصا التي صارت حية، وإخراج اليد من الجيب، فتلمع بيضاء من غير سوء، وضمها إلى جنبه، فيذهب عنه الخوف إن شاء الله، ويثبت جنانه.. قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسَلَكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُنُوبُكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (١)

والأمثلة على التصرف المناسب لكل موقف أياً كان، والحكمة في معالجة الأمور كثيرة، تدل على حكمة العليم القدير الذي علمنا ما لم نكن نعلم.

وأخيراً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (٢).

(١) سورة القصص، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

- ١ - فقد يسيء إليك أحدهم، وينتظر منك أن ترد على إساءته بإساءة مثلها، أو أشد منها، فهو متوثب حذر.
- ٢ - فإذا بك تتغاضى عن إساءته، أو تسامحه، أو تتقدم إليه متحياً ناصحاً متودداً.
- ٣ - يشعر أنه أخطأ نحوك، فتقلب عداوته لك شعوراً بالذنب، ورغبةً في تصحيح موقفه.
- ٤ - يتقرب إليك، ويحبك بإخلاص وود.
فهل هناك أعظم انتصاراً مما فعلت.
أ - انتصرت على نفسك الأمانة بالسوء.
ب - انتصرت على الخلاف بينكما فمحوته.
ج - انتصرت على كيد الشيطان.
د - اكتسبت أخاً محباً مخلصاً.
- ٥ - وكل ذلك بالصبر والمصابرة، وما يستطيع كل إنسان ذلك، إنما يفعل ذلك من كان ذا حظ عظيم، وأخلاق رائعة.



التفكير المنطقي (المحاكمة العقلية)

يدعونا القرآن الكريم دائماً إلى التفكير وإعمال الذهن للوصول إلى الحقيقة، والآيات في هذا الصدد كثيرة تملأ الصفحات منبهة إلى أن «أولي الألباب» والذين يتفكرون، والذين يعقلون، ومن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد... هم المؤمنون حقاً.

والإيمان التقليدي لا يجدي فتيلاً. أما ما قام على تفكير صحيح، ومحاكمة عقلية سليمة فهو الإيمان الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى.

فهلّمّ نقتطف من رياض القرآن العظيم بعض هذه الأنوار التي تدفع المسلم أن يلاحظ ويفكر، ليصل إلى القرار الصحيح.

- فاليهود يدعون أن أخطأهم قليلة، يدخلون لأجلها النار أياماً معدودة، ثم يخرجون منها إلى الجنة، ونرى القرآن الكريم يردّ إفكهم: أهذا ما عاهدكم الله عليه؟! - والله لا يخلف الميعاد - أم إنكم تفترون على الله ما لا تعلمون؟ ثم يقرر بعد هذا التوبيخ أن من أصاب سيئة، وأحدقت به هذه الخطيئة فهو خالد في النار جزاء كفره وعناده ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَكُونُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ (١).

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨٠، ٨١.

- أما النصارى فيقولون زاعمين: إن عيسى ابن الله، وإلا فأين أبوه؟!
 ويعجبون أن يولد هذا النبي دون والد، ونسوا أن أعجب منه آدم عليه السلام
 إذ خلقه الله تعالى دون أم وأب، فهو قادر على كل شيء سبحانه ﴿لَئِنْ مَثَلٌ
 عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥٩) (١).

- واليهود والنصارى كلٌ يدعي أن إبراهيم منهم، وهذا زعم عجيب
 فالمعروف أن التابع يأتي بعد المتبوع، وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، من
 نسله جاء اليهود والنصارى فأحرى أن يتبعوه في توحيد الله تعالى. . ويلفت
 القرآن الانتباه إلى أن رسول الله محمداً ﷺ ومن آمن به جاءوا على دين
 التوحيد، فهم أولى بإبراهيم عليه السلام ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لِّمَن تَحَاجُّونَ فِي
 إِلَهَيْهِمْ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِيهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) (٢).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ
 وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨) (٣).

- ولمن تكون التوبة؟ ومتى يقبلها الله تعالى؟. . تكون لمن أخطأ عن
 جهالة ثم استغفر الله تعالى، واستقام على الحق سريعاً، أما من سدر في غيّه،
 وأصرَّ عليه إلى الغرغرة فهذا لا توبة له، وكذلك لا يقبل الله التوبة من الكافر.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ
 فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٦٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
 لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ
 وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٦٨) (٤).

- والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، فهو يرسل رسله إلى الناس
 يبشرون بالجنة من أطاعه، وينذرون بالنار من عصاه، فالمؤمن المصلح لا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٧، ١٨.

يخاف ولا يحزن، والكافر المكذب يعاقب جزاءً وفاقاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بئسَ لَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (١). وبهذا نقول: (قد أعذر من أنذر).

- ونرى التفكير المنطقي عند مرافق زوج المرأة التي راودت سيدنا يوسف عن نفسه فلما فوجئت - وهي تشد النبي يوسف عليه السلام إليها - بزوجها ادعت أنه تحرّش بها، فنفى يوسف عن نفسه التهمة وألصقها بها وهذا حق فقال المرافق:

﴿إِنْ كَانَتْ فَمِيسُهُ قَدْ مِنْ قُبَلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾
وَإِنْ كَانَتْ فَمِيسُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (٢).

لأنه لو شدّها فسوف تدافع عن نفسها وتشق قميصه من أمام ولو هرب منها، فشده، فسوف تشق قميصه من الخلف ﴿فَلَمَّا رَأَى فَمِيسُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣) وهكذا ثبتت براءة يوسف عليه السلام.

- ونرى المنطقية في ردّ القرآن على الكفار الذين تعجبوا من إرسال بشرٍ نبيّ، واحتجوا بأن النبي إذا كان ملكاً كان ذلك أدعى إلى التصديق، فكان جواب القرآن أن الله يرسل إلى كل جنس نبياً من جنسه كي لا يكون هناك انبهار وقهر ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْسُوكَ مُظْمِئِينَ لَنُزِّلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ (٤).

- وترى القرآن يسأل في محاكمة عقلية سليمة، من خالق السموات، والأرض، وله التصرف، والقوة؟، فيجيبون: الله، فيقول معقباً: ما دام هو

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

الخالق فهل تستطيع الآلهة المزعومة أن تمنع نفعه إن أراد نفعي، أو تدفع ضرره إن أراد ضرري؟ .. والجواب لا تستطيع .. فلمن نلتجىء إذا؟! لا شك أن الالتجاء إلى الله، ... فهو حسبنا، وعليه توكلنا.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾^(١).

- ويؤكد هذا حين يستنكر أن يتخذ الناس من هذه الآلهة المزعومة شفعاء يوم القيامة وهي من صنعهم، لا تضر ولا تنفع، بينما الشفاعة الحقة لله تعالى الذي يملك السموات والأرض، وإليه نعود، ونعرض عليه ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾^(٢).

- أما مؤمن آل فرعون فإننا نرى في تحليله الأمور محاكمة عقلية راجحة ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟

أ - وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ

ب - وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴿٣٩﴾﴾^(٣).

ثم يقرر قاعدة رائعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٧٨﴾﴾^(٤).

وينبه هذا الرجل المؤمن إلى أننا اليوم نملك القوة فماذا نفعل حين يأتي عذاب الله؟! ﴿يَقُولُوا لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا؟﴾^(٥).

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٩.

- وتكرر المحاجة والمجادلة بين ملائكة العذاب والكفار:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ

العَذَابِ ﴿٤٩﴾

قَالُوا أَوْلَمَ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

قَالُوا بَلَىٰ

قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ (١)

إنها محاكمة عقلية فقد جاءتهم الرسل بالبينات، فكفروا، فكان عقابهم حتماً لازماً.

- وتعال معي إلى الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان - مراحل الخلق والحياة - وبما أن الخالق هو الله، فبيده كل شيء وهذا أمر - أيضاً - لا يختلف فيه اثنان من أهل العقول ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن رُّبَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُجُوخًا وَمِنكُم مَّن يُنْفِقُ مِن قَبْلِ وَابْتُلُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ (٢)

- والكفار من المشركين وأهل الكتاب يجعلون الملائكة إناثاً فيؤيخهم القرآن: هل شهدتم خلق الملائكة حتى حكمتهم بأنوثتهم.

والمشركون وهم مخلوقون يكرهون الإناث، فكيف يرضون للخالق ما يكرهون؟! أمر عجيب. مع أن الذكور والإناث سواء: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ (٣)

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ (٤)

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

- ويدعي النصارى واليهود أن الله ولدأ وهذا أمر عجيب، وبهتان كبير.. لماذا؟! إن الولد يأتي عن شهوة الجماع، والرغبة في دوام النسل، فتقبلات الدهر حياة وموت واستبدال قوم بقوم.. والله سبحانه حي لا يموت منزّه عن النقائص كامل كملاً مطلقاً فهو سبحانه لا يحتاج لولد فكل شيء عبيد له خاضعون لسلطانه.. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۙ﴾ ٨٩ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ تَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ وَخَيْرُ الْجِبَالِ هَذَا ۙ﴾ ٩٠ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ ٩١ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ﴾ ٩٢ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ﴾ ٩٣ (١).

- وترى القرآن يفتح عقول الناس بهذه الأسئلة الأربعة التي لا تحتاج جواباً باللسان إنما بالقلب والجنان، والتدبير والتفكير والحسبان.

١ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۗ﴾ ٥٨ ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۗ﴾ ٥٩ ﴿نَحْنُ فَذَرْنَا يُنتَضِلُوا فِي السَّمَاءِ ۖ وَإِنَّا لَمُتَّبِعُونَ ۗ﴾ ٦٠ ﴿عَلَىٰ أَنْ يَدُلَّكُمْ بِسُورَةٍ مِّنْ سَمَوَاتٍ ۖ وَإِن كُنْتُمْ لَمَوْتُونَ مُنْقَلِبِينَ ۗ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۗ﴾ ٦٢ (٢).

٢ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۗ﴾ ٦٣ ﴿أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاعُونَ ۗ﴾ ٦٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۗ﴾ ٦٥ ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ۗ﴾ ٦٦ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ۗ﴾ ٦٧ (٣).

٣ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۗ﴾ ٦٨ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۗ﴾ ٦٩ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ آجَاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۗ﴾ ٧٠ (٤).

٤ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۗ﴾ ٧١ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۗ﴾ ٧٢ ﴿نَحْنُ

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٥٨ - ٦٢.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣ - ٦٧.

(٤) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨ - ٧٠.

جَعَلْنَاهَا تَذْكُرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ (١) ، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ (٢)
 ولا نملك إلا أن نسبح باسم الله العظيم...

- وتابع معي هذه الاحتمالات التي تراود المشركين في الصّد عن سبيل الله ومغالطة الحقيقة الساطعة التي لا تحتمل جدالاً إلا في أوهام المشركين، وليس لها من الصّدق شروى نقير إلا في خزعبلاتهم، احتمالات يطرحها القرآن، يلجم بها تخرصات المتخرصين وإفك الآفكين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ سَاعِرٌ زَرْبٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾؟﴾

﴿قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾؟﴾ !!

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾!﴾

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾!﴾

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾؟﴾ !!

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾.﴾

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُضْتَبِرُونَ ﴿٣٧﴾؟﴾

﴿أَمْ لَهُمْ سُلُّوا يُسْتَمْعِنُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾؟﴾ !!

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾؟﴾

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٤.

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾ .

- وأخيراً، نجد في سورة القلم، استفهاماً استنكارياً واحتمالات تدحض - حين يتمعن فيها القارئ - أكاذيب المشركين .

﴿أَفَنَجِلُّ السَّيِّئِينَ كَالَّذِينَ كَفَرُوا؟﴾ ﴿٣٥﴾ !!

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ ﴿٣٦﴾

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ ﴿٣٨﴾ ؟

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عِنْدَنَا بِلَمَعَةٍ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتُونَكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ !

سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴿٢﴾ .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ يَنْفَرُونَ مَثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿٣﴾ .

إنك ترى الدفع إلى التفكير المنطقي، والمحاکمة العقلية، يوصل - إن كنت منصفاً - إلى الجواب الصحيح . نسأل الله تعالى أن نكون من المنصفين .



(١) انظر: سورة الطور، الآيات: ٣٠ - ٤٣ .

(٢) انظر: سورة القلم، الآيات: ٣٥ - ٤١ .

(٣) سورة القلم، الآيات: ٤٦ ، ٤٧ .

التسلسل المنطقي

سرد الأحداث أو الأفكار مسلسلة مرتبة يقيّد المتلقي في أمور عدة منها:

- ١ - استيعاب الأفكار أو الأحداث دون انقطاع.
 - ٢ - حسن المتابعة لما يلقى عليه وحسن التفاعل.
 - ٣ - قدرة المتلقي على الحكم السليم على ما يسمع.
 - ٤ - الاستجابة لعدد أكبر من الأفكار والمعلومات.
- والقرآن الكريم يخاطب أولي الألباب، والقوم الذين يعقلون، ويتفكرون وأولي الأبصار... ويسعى إلى إقناعهم بما يلقى عليهم واكتسابهم وإنقاذهم من الضلال.. فلا غرو أن يخاطبهم بهذا الأسلوب المتميز الذي يسارع في الوصول إلى الهدف.

- فمن الأمثلة على التسلسل المنطقي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾^(١)

فمن التسلسل المنطقي في هذه الآية:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

- ١ - تقديم الذكر على الأنثى.
- ٢ - يشعر المسلم بالضيق فيهاجر.
- ٣ - ينصبُ العذاب على من بقي فيضطر للخروج مكرهاً.
- ٤ - يُطاردون ويؤذون في سبيل الله.
- ٥ - يقاتلون الأعداء الذين أساءوا إليهم.
- ٦ - يُقتلون في المعركة.
- ٧ - تكفر عنهم سيئاتهم فيكونون أهلاً لدخول الجنة.
- ٨ - فيدخلونها...

- ومن الأمثلة عليه كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾^(١).

فكان التسلسل المنطقي كما يلي:

- ١ - شراء النفس وهي أعلى.
- ٢ - شراء الأموال.. . والبَدَلُ «الجنة».
- ٣ - بدء القتال في سبيل الله.
- ٤ - يُقتلون ويُقتلون.
- ٥ - الوعدُ في التوراة أولاً والإنجيل ثانياً والقرآن ثالثاً حسب التسلسل الزمني.
- ٦ - الذي وعد بذلك هو الله سبحانه وتعالى، ووعدُهُ الصدق.
- ٧ - البيع - إذأ - صحيح وافر الربح كبير الفوز...

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

- ومن أمثلة التسلسل المنطقي كذلك قوله سبحانه جل شأته: ﴿الرَّ كُنْتُ أَحْكَمَ مَا بَيْنَهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (١) ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْمَةٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢) ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ نُؤْتُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥) ﴿(١)﴾

يظهر التسلسل المنطقي فيما يلي:

- ١ - نُظِمَ الْقُرْآنَ تَنْظِيمًا مُحْكَمًا لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا خِلَلٌ .
- ٢ - ثُمَّ فَضِّلَ تَفْصِيلًا دَقِيقًا كَامِلًا مُوَضَّحًا مَرَامِيهِ .
- ٣ - جَاءَتْ صِفَةُ حَكِيمٍ تَنَاسِبُ الْإِحْكَامَ، وَصِفَةُ خَيْرٍ تَنَاسِبُ التَّفْصِيلَ وَالشَّرْحَ .
- ٤ - لِمَ أَحْكَمَ وَفُضِّلَ؟ لِيَعْبُدَ النَّاسُ رَبَّهُمُ الْعِبَادَةَ الصَّحِيحَةَ .
- ٥ - مَا دَوَّرَ الرَّسُولَ ﷺ:
- أ - إِنْذَارَ النَّاسِ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ إِنْ خَالَفُوهُ .
- ب - بِشَارْتِهِمْ بِفَضْلِهِ وَعَفْوِهِ إِنْ آمَنُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ .
- ٦ - مِنْ عِلَالَتِ الْعِبَادَةِ عِنْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْاسْتِغْفَارَ أَوَّلًا، وَالتَّوْبَةَ إِلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ ثَانِيًا .
- ٧ - فَإِنْ حَصَلَ هَذَا نَالَ كُلُّ مُحْسِنٍ جِزَاءَهُ .
- ٨ - وَإِلَّا كَانَ هُنَاكَ عَذَابٌ كَبِيرٌ فِي يَوْمٍ مُخِيفٍ .
- ٩ - مَتَى هَذَا؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
- ١٠ - وَهَلْ يَسْتَطِيعُ رَبِّنَا إِحْيَاءَنَا بَعْدَ إِمَاتَتِنَا؟ نَعَمْ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) سورة هود، الآيات: ١ - ٥ .

- ١١ - يظهر بعض من يخالف الرسول ﷺ حبه إياه ويضمر كرهه وعداوته .
- ١٢ - الله سبحانه يعلم ما يسرون وبدأ بالسر ليناسب الاختباء والتغطية بالثياب خوف الفضيحة، ثم جاءت كلمة يعلنون .
- ١٣ - هل يعلم الله السر؟ نعم.. إنه عليم بذات الصدور .
- إنها متابعة دقيقة وتعليل متسلسل، ينتقل من فكرة إلى فكرة انتقالاً واقعياً منطقياً ليس فيه انقطاع .

- ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جِرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾^(١).

ويبدو التسلسل المنطقي في عرض الأفكار هنا فيما يلي:

- ١ - يوم القيامة يعرض المكذبون على ربهم سبحانه .
- ٢ - يفضحهم الله تعالى حين يأمر الأشهاد من الخلائق أن يشيروا إليهم بالكفر، والفساد، والكذب .
- ٣ - تنصب عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لكفرهم، وظلمهم .
- ٤ - هؤلاء كانوا يمنعون الناس عن إتباع الحق، ويريدون أن تكون السبيل معوجة، وجحدوا بالآخرة وكفروا بها .
- ٥ - فهل أفلتوا من عذاب الله؟ هل هناك من نصير يدفع عنهم العذاب؟
لا . . .

(١) سورة هود، الآيات: ١٨ - ٢٢ .

٦ - بل يضاعف لهم العذاب لأن الله تعالى جعل لهم سمعاً وبصراً، لكنهم كانوا صماً عن سماع الحق، عمياً عن اتباعه فلم ينتفعوا بما حباهم الله من حواس.

٧ - قد يخسر الإنسان شيئاً مهماً كان مهماً فيعوضه. لكن حين يخسر نفسه فهذه هي الخسارة التي لا تعوض.

تسلسل رائع في عرض الأفكار وتحليلها، والوصول إلى الهدف المنشود.

- ومن الأمثلة على التسلسل المنطقي قصة نوح عليه السلام لكننا نقتطع من المشهد كله جانباً واحداً. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَكَسَمَاءِ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِّي الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤) (١).

ويبدو التسلسل فيما يلي:

١ - الأمر للأرض أولاً أن تبتلع ماءها الذي نبع فيها، وماء السماء الذي نزل عليها، فمهمتها أشق، ثم الأمر للسماء أن تجبس مطرها.

٢ - ذهب الماء في أغوار الأرض، وتم بهذا إغراق من غرق ونجاة من نجا.

٣ - ثبات السفينة على الأرض فوق جبل الجودي، فنزل الناس واطمأنوا.

٤ - لما انتهى كل هذا، وتبين هلاك الكافرين كان الدعاء عليهم.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُونَ﴾ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حَصَصْتُمْ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ (٤٩) (٢).

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٤٧ - ٤٩.

ويظهر التسلسل هنا فيما يلي :

- ١ - زرع سنين سبعٍ بجهد ونشاط وهذه سنوات الرخاء .
- ٢ - تخزين ما لا يحتاج إليه من القمح في سنبله كي لا يسوس ، وأكل ما يُحتاج إليه .
- ٣ - تأتي سنون سبعٌ جدباء لا زرع فيها ذات شدة وقحط على الناس ، تأكلون فيها ما ادخرتم أيام الرخاء .
- ٤ - اتركوا للسنة الثامنة بعض القمح الذي ستزرعونه فيها .
- ٥ - في السنة التي تخلُفُ سنِيَّ الجذب العصبية يعم الرخاء فيكثر المطر والزرع والأعناَب .

- ومن الأمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ (١) .

- ١ - يعذب المشركون مَنْ آمن ويفتنونهم عن دينهم .
 - ٢ - يضطر المسلمون إلى الهجرة للنجاة بدينهم وإنشاء مجتمع مسلم .
 - ٣ - والمجتمع المسلم لا يحميه سوى الجهاد في سبيل الله .
 - ٤ - للجهاد في سبيل الله مشاق، على المسلم أن يتحملها ويصبر عليها .
 - ٥ - بعد الهجرة والجهاد والصبر يغفر الله تعالى ويرحم .
- أفكار متسلسلة تأتي الواحدة إثر الأخرى بشكل طبيعي .

- ومن الأمثلة على التسلسل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَدَدْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١١٦﴾ (٢) .

(١) سورة النحل، الآية: ١١٥ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦ .

لا بدّ لإهلاك أي قرية من سبب.. فما هو السبب..؟:

- ١ - يسلط الله الأشرار المتنعمين، فيأمرهم أن يحكموا بشرعه، ويسرعوا إلى مرضاته.
- ٢ - لكنهم يعصون فهم مجبولون على الفساد والطغيان.
- ٣ - وجب - إذاً - عليهم العذاب بفسقهم وطغيانهم.
- ٤ - فيدمرّون تدميراً مريعاً ويهلكون هلاكاً شديداً.

- ومن أمثلة التسلسل المنطقي قوله تعالى: ﴿ءَأَتُوهُ رَبِّرَ الْحَدِيدِ حَقًّا إِذَا سَأَوِي بَيْنَ الصَّدَاقِ قَالَ أَنفَحُوا حَقًّا إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُوهُ أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ (١).

- ١ - رَفَعَ سداً بين الجبلين من قطع الحديد بارتفاعهما.
- ٢ - أشعل النار في الحديد حتى احمرّ، وصار كالنار من شدة الإجماء.
- ٣ - صبّ النحاس المذاب على الحديد، فسدّ ما بين الشقوق وملأ الفراغات.
- ٤ - صار السدّ قطعة واحدة يستحيل تحريكها أو نقبها.

إنه عمل متقن مرتب ترتيباً محكماً.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَنْ

١ - تَابَ

٢ - وَءَامَنَ

٣ - وَحَمَلَ صَلِحًا

٤ - ثُمَّ أَهْتَدَى ﴿٨٧﴾﴾ (٢).

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

إنَّ هذه الآية مثال صارخ على التسلسل، فأمعن النظر فيها وتدبّر.

- هناك آيات كثيرة تتحدث عن الخلق وترتيبه.

ففي سورة «المؤمنون» الآيات [١٢ - ١٦]، وسورة «الروم» الآية

[٤٠]، وسورة «السجدة» الآيات [٧ - ٩]، وسورة «الحج» الآية [٥].

وأخيراً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ

الْبَعثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

١ - مِّن تَرَابٍ

٢ - ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

٣ - ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ

٤ - ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ (١) لِنُبَيِّنَ لَكُمْ

٦ - وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ لِكُلِّ أَجَلٍ مُّسَمًّى

٧ - ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً

٨ - ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ

٩ - وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً . . . ﴿٢﴾.



(١) قدّم المخلقة على غير المحلقة للبناء اللفظي المحكم وهذا لا يخفى على القارئ اللبيب.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥.

التجريب

طريقة تربوية، عملية، تفيد في عدة أمور:

أولها: تثبيت الفكرة أو الأمر في النفس، وتأكيداها.

ثانيها: اختبار المرء في أمر ما، للحكم على قدرته.

ثالثها: تعويده على شيء يخافه ليطمئن قلبه، فلا يخاف استعداداً لما

قد يستجد.

رابعها: كشف سريرة المدعي، وفضحه.

خامسها: تنقية الصف من شوائبه.

سادسها: التوصل لأمر جديد لم يكن موجوداً سابقاً.

- فمثال الأمر الأول: تثبيت الفكرة وتأكيداها:

أ - قصة عزير الذي أماته الله مئة عام، وحفظ طعامه وشرابه، فلم يفسدا وجمع عظام حماره ثم كساه لحماً، ونفخ فيه الروح فعاد كما كان. قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ

وَأَنْظُرْ إِلَى الظَّالِمِ كَيْفَ تُنْشِزُهَا (١) ثُمَّ نَكُوسُهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ (٢).

ب - وقصة إبراهيم عليه السلام الذي أراد أن يزداد بصيرة في قلبه، وعقله، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، مع العلم أنه شديد الإيمان بربه وقدرته ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ (٣) إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾.

ولم يشك إبراهيم عليه السلام في قدرة الله، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ويدل عليه وروده بصيغة «كيف» وموضوعها السؤال عن الحال، ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ومعناه: نحن لم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أولى.

- ومثال الأمر الثاني: اختبار المرء:

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَبْلُغُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَلَّاهُ بِأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحِكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ (٥).

فاختبر الله تعالى المؤمنين في إحرامهم بالحج بشيء من الصيد يمكن إمساك صغاره باليد، واقتناص كباره بالرماح.. ومع أن العرب تتلذذ بالصيد واقتناصه إلا أن المسلمين لم تمتد أيديهم إليه.. وهكذا كان المؤمنون عند حسن ظن ربهم بهم إذ امتنعوا عن الصيد وهم مُحْرِمُونَ وكانوا من الصادقين.

(١) نشزها: نركب بعضها فوق بعض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) صرهن: اقطعهن واخلفهن بعضهن ببعض.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٤.

وقال سبحانه عز من قائل: ﴿... وَتَلُوكُم بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَاللَّيْنَا تَرْحَمُونَ﴾ (١)، فهو سبحانه يختبرهم بالمصائب والنعم ليرى الشاكر من الكافر، والصابر من القانط، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال... يختبرهم بما يحبون ليرى كيف شكرهم، وبما يكرهون ليرى صبرهم. فهم إليه راجعون فيجازيهم بأعمالهم.

- ومثال الأمر الثالث: التعمود على الشيء والاطمئنان إليه:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ (١١) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسْتًا بَعْدَ سُوءِ فَإِنِّي عُقُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي شِعْرِ آيَاتِي إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٣)﴾ (٢)

إن الله سبحانه وتعالى حين أراد لموسى أن يكون رسوله إلى فرعون، وأمام فرعون سيلقي عصاه وتنقلب ثعباناً، ويخاف موسى من الثعبان ويهرب وعندئذ يكون سخرية لفرعون وقومه حينما يهرب، جرب الأمر، بعيداً عنهم ليعتاد عليه، فحين ألقى العصا أمام فرعون كان هذا سهلاً عليه ولم يفاجأ، وكذلك الأمر في إدخال يده إلى فتحة ثوبه، وإخراجها مضيئة ساطعة تتلألأ كالبرق الخاطف دون مريض أو برص.

- ومثال الأمر الرابع: كشف سريرة المدعي وفضحه:

أ - قول الله سبحانه مخاطباً رسوله الكريم: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَسْبَغَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (٤٣) لَا يَسْتَنْدِئُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤)﴾ (٣)

فهذا عتاب لطيف للرسول ﷺ حين أذن للمنافقين في التخلف عن الخروج بمجرد الاعتذار. فهم سواء أذن لهم أم لم يأذن لهم فسيقعدون

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النمل، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) سورة التوبة، الآيات: ٤٣، ٤٤.

ويتخلفون عن غزوة تبوك، فكان الاعتذار وقبوله ساتراً لهم، فلم يفضحهم أما المؤمنون فلا يعتذرون عن الجهاد لأنه سنام الأمر وذروة الإسلام.

ب - وقوله سبحانه وتعالى في المخلفين من الأعراب: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا بُرُؤَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١).

لم يسمح رسول الله ﷺ للمخلفين عن عمرة الحديبية أن يخرجوا معه إلى خيبر لفتحها وأخذ غنائمها مع المسلمين، وهذا عقاب لهم لتخلفهم ذلك. فلما ادعوا أن المسلمين منعوهم الذهاب معهم لأنهم لا يودون مشاركتهم في الغنيمة قال لهم: ستدعون إلى حرب قوم أشداء هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أصحاب الردة، فإما أن يدخلوا في دينكم أو تقاتلوهم، فإن تستجيبوا ولا تتخلفوا يعطكم الله الغنيمة والنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن تتخلفوا كما تخلفتم زمن الحديبية، يعذبكم الله عذاباً أليماً في نار جهنم، فلا عذر أبداً عن تخلف المسلمين عن الجهاد.

- ومثال الأمر الخامس: تنقية الصف من الشوائب:

قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (٢).

إن طالوت أراد أن يعرف جلد جنوده وصبرهم وثباتهم في القتال، والقائد حين يعرف جنوده يقدر للمعركة، مكانها، وزمانها، وحجم قواتها. فمر بهم على نهر، وأمرهم أن لا يشربوا منه، ومن كان عطشان فليشرب قليلاً لكن أكثر الجنود شربوا فصرفهم من جيشه، فلا خير في جنود لا يطيعون قائدهم قبل القتال لأنهم في القتال سينهزمون، فليتخلص منهم ليكون على بينة من أمره وليكون جيشه من النوع الجيد الذي لا شائبة فيه.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

- مثال الأمر السادس: التوصل لاكتشاف جديد:

قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَوِ شُهَابًا
رَّصَدًا ۝ (٩)﴾ (١).

فمن عادة الجن أن يبلغوا السماء لاستماع كلام أهلها، لكن رسول الله ﷺ حين ولد مُنعت الجن أن تسترق السمع من أهل السماء بله الاقتراب منها، فقد ملئت بالملائكة الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها.

لقد كانوا يأخذون الأخبار، ويلقونها إلى الكهّان مغلوطة مبتورة، فيتلقفها هؤلاء يزيدون فيها ويسرفون، فمن يحاول استراق السمع بعد الآن يجد شهاباً ينتظره راصداً إياه، فيحرقه ويهلكه.

فعملية التجريب إذاً تجعل الإنسان يلمس بيديه، ويرى بعينه، ويسمع بأذنيه، فيثبت الأمر في نفسه ولا ينساه أبداً.



(١) سورة الجن، الآيتان: ٨، ٩.

التخطيط واتخاذ الأسباب

العمل الارتجالي لا يؤدي أكله كما لو كان مُعدّاً إعداداً جيداً ومدروساً دراسة وافية، معروفة أبعاده وجدواه، ومراحله.

وكل عمل أو فكرة تخطر على البال لا بدّ أن تخطط له تخطيطاً، جيداً تراعي فيه الهدف منه وبدايته وإتمامه وإيجابياته وسلبياته، وإلا كان عملاً عشوائياً قد ينجح وقد يفشل، واحتمالات فشله أكبر. وإن نجح فنجاحه مرحليّ أو غير مكتمل.

والقرآن الكريم يضع بين أيدينا نماذج من التخطيط، الذي يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود منها:

ما فعله إخوة يوسف حين شعروا أن أباهم يحب يوسف أكثر منهم، ويفضله عليهم، فماذا يفعلون؟ تدارسوا الأمر فيما بينهم فقال بعضهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبُلْ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (٩) (١).

تفكير شيطاني سهّل لهم القتل، وبعد ذلك يعودون أتقياء أنقياء وكأن القتل لا يترك في القلب نكتة سوداء تؤرق صاحبها إلى أن يموت ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَقْرَبُوا فِي عَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠) (٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠.

وقلبوا وجوه الأمر فرأوا أن إلقاءه في الحب أسلم لهم، ولن يؤرقهم كما لو أنهم قتلوه. ثم جاءوا أباهم يقنعونه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف معهم، في رحلة برية يتريضون ويصطادون، وأكدوا له حرصهم على أخيهم، فلما أظهر الأب تخوفه أن يتركوه وهو صغير فيعدو عليه - في غفلة منهم - الذئب فيأكله أقسموا أنهم لا يتركونه وإلا فهم خاسرون وكأنه لئنهم حجة هم بحاجة إليها يتعللون بها عند أبيهم. . . وهكذا كان ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ﴾ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَظُونَهُ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَخَشِئْتُ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ (١).

وحبكوا قصتهم ورتبوا مكرهم ﴿وَجَاءَ وَ آبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ (٢).

فقد:

- ١ - جاءوا أباهم عشاءً فلا يرى الغدر في عيونهم.
- ٢ - بدأوا يبكون فشعر بالخطب الجسيم قبل أن يلقوه على سمعه.
- ٣ - هياهم بكاؤهم على تقبل المصيبة التي سيسمعها منهم.
- ٤ - تلطّفوا له بالقول: «يا أبانا» ولهذا فائدتان:
الفائدة الأولى: هي كلمة استعطاف ليرقّ قلبه لهم فلا يعاقبهم.
الفائدة الثانية: إيهامه صدقهم في حرصهم على أخيهم.
- ٥ - لئنهم الحجة التي سمعوها منه في اعتذاره عن إرسال يوسف معهم «أكله الذئب».
- ٦ - أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون.

(١) سورة يوسف، الآيات: ١١ - ١٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ١٦، ١٧.

لكن هذا التخطيط المحكم نقض بخطأ كبير وقعوا فيه دون أن يشعروا
 حِين ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرًا
 جَمِيلًا﴾ (١).

كان القميص ملوثاً بدم لكتته غير ممزق، فالذئب الذي أكله كان
 ذكياً!! لقد جعله يخلع قميصه قبل أن يأكله حتى يستفيد منه إخوته!! لذلك
 لم يكن التخطيط كاملاً فهذه الثغرة فضحتهم وعرف الأب ذلك فقال هذا
 مكر دفعكم إليه نفوسكم الخبيثة.

- وهذه امرأة العزيز تراود يوسف حين بلغ مبلغ الرجال وكان جميلاً،
 وسيماً، تتفجر الدماء من عروقه ويطنح وجهه إشراقاً فيأبى ذلك ويقول:
 ﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢) فزوجها أكرم
 يوسف وتعهده بالرعاية فكيف يسيء إليه في زوجته؟! لا يفعل ذلك إلا
 الخائنون الذين يجازون الإحسان بالسوء، ويوسف ليس منهم.

وانتشر الخبر بين نساء المدينة:

أ - امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه.

ب - امتنع عليها وأذل كبرياءها.

والأمران وصمة عار عليها فأرادت أن تلجم أفواههن فماذا فعلت:

١ - دعتهن إلى قصرها.

٢ - أكرمتهن بالطعام والفاكهة.

٣ - أمرت يوسف أن يخرج عليهن فخرج.

٤ - رأينه فائق الجمال ملكاً يمشي على الأرض فدهشن لهذا الجمال
 الأخاذ.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

٥ - لم يشعروا إلا والدماء تسيل من أصابعهن فقد أخذ الإعجاب بجماله والدهشة له منهن كل مأخذ، فجرحن أيديهن.

٦ - شعرت بالانتصار عليهن، فعاتبتهن على ما قلن في حقها من تجريح.

٧ - حين رأت نفسها منتصرةً عليهن باحت بمكنون قلبها نحوه وأصرت على تعلقها به والرغبة في وصاله، ولو أدى ذلك إلى سجنه إن أبي.

وهذه خطة جهنمية لا يفعلها إلا صاحب الكيد الذكي ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (١).

ثم تأمل معي كيف خطط عليه الصلاة والسلام للخروج من السجن بل كيف خطط الله تعالى له:

١ - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا﴾.

٢ - فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

٣ - قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودْتُمُنَّ يُونُسَ عَنِ نَفْسِهِ ؟

٤ - قُلْنَ حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

٥ - قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُنَّ لَمِنَ الصَّادِقَاتِ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٧﴾

٦ - وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

- ٧ - فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾
- ٨ - قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ (١).
- وهكذا كان تخطيط الله تعالى له حيث أخرج من السجن إلى الصدارة ومن كونه مرؤوساً إلى صيرورته رئيساً.
- وكيف خطط يوسف عليه السلام لاستعجال أخيه بنيامين إلى مصر؟:
- ١ - ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾
- ٢ - وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾
- ٣ - فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾
- ٤ - قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ آبَاؤُهُ وَإِنَّا لَلْفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾
- ٥ - وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾
- ٦ - قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَمُ لَحْفَظُونَ ﴿٦٣﴾ (٢).
- ٧ - ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ (٣).

إضاءة: أراد أن يرى أخاه الشقيق، فأظهر تعجبه من كثرتهم وهم عشرة رجال، فقالوا هناك عند أبيهم رجل آخر. فقال عند ذلك جيئوا به لأراه، فإن لم يجيء فلا كيل لكم عندي.

(١) سورة يوسف، الآيات: ٥٠ - ٥٥.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٥٨ - ٦٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٥.

ولن يعودوا سريعاً، إنما سيعودون حين ينفد القمح، لذلك جعل ثمن البضاعة فيها لعلهم أنهم حين يفتحون متاعهم، سيجدون ثمنه، وسيضطرون إلى العودة لدفع الثمن، وفي الوقت نفسه يأخذون ميرة جديدة، لكنه لن يعطيهم إذا لم يكن أخوه معهم. إذا سيضغطون على أبيهم ليسمح باصطحابهم بنيامين وهكذا كان، بعد أن استوثق منهم على الحفاظ عليه.

أما كيف خطط ليحفظ بأخيه دون أن يتبهنوا إلى ذلك؟:

١ - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٢ - فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

٣ - ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُ عِيرٍ إِنَّكُمْ لَسَّرْتُمُونِ ﴿٧٠﴾

٤ - قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفِيسَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٧٣﴾

٥ - قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

٦ - فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ

٧ - كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ . . . ﴿١﴾

في شرع الملك كان السارق يضرب، ويعتف، ويدفع ضعف ثمن ما سرقه. أما في شرع يعقوب وأبنائه فإن السارق يصبح عبداً لمن سرقه، فعاملهم بشريعتهم لا شريعة الملك.

أما قصة سيدنا موسى في سورة طه، وتيسير الله وحفظه له في قصر فرعون فتراها في الآيات [٣٧ - ٤٠].

(١) سورة يوسف، الآيات: ٦٩ - ٧٦.

- ١ - أوحى الله إلى أمه أن تضعه في صندوق خشبي بعد إرضاعه.
 - ٢ - أمرها بإرضاعه كي لا يتقبل موسى ما يُقدّم له من حليب المرضعات غير حليب أمه الذي استساغه ولن يرضى بغيره.
 - ٣ - دفعته الأمواج بإذن الله إلى قصر فرعون، عدو الله، وعدو موسى.
 - ٤ - كتب الله له القبول عند آل فرعون، ليبقى عندهم.
 - ٥ - متابعه أخته له حتى تعرف إلى أين سينتهي.
 - ٦ - أخته تدلُّ الباحثين على أمه لترضعه.
 - ٧ - عودة موسى إلى أمه بعون الله ومساعدته.
- إنه تخطيط رب العالمين، يحفظنا على ترتيب ما نريده بخطة سليمة، وتفكير سديد.

ونلاحظ التخطيط في كسر إبراهيم أصنام قومه، حين أرادوا الخروج من المدينة في عيد لهم فاعتذر بأنه مريض فتركوه، وخرجوا، فاغتنم فرصة خلو المكان فانطلق إلى الأصنام فحطمها ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَهُ الْهَيْمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾^(١).

- أراد الله سبحانه وتعالى أن يعبده الناس متجهين إلى قبلة محددة، فبيّن لإبراهيم مكان بناء البيت كي يقصده الناس حاجين وأمره بعد انتهاء البناء أن يؤذن فإذا أذن أسمع الله نداءه إلى المخلوقات جميعاً.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ

أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا

وَوَهَبْنَا لِيْسَى لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكَّلُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴿٢٧﴾﴾^(٢).

(١) سورة الصافات، الآيات: ٨٨ - ٩٣.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

فالله سبحانه خطط منذ القدم أن يكون البيت الحرام في مكة قبله لعباده، يحجون إليه ويطوفون حوله ويعبدون ربه .

وقام إبراهيم وابنه إسماعيل ببناء البيت وتجهيزه لحجاج بيت الله الحرام، ثم أذن فسمعت النُطْفُ أذانه فرددت ما قال .

وفي سورة النمل الآيات [٢٧ - ٤٤]:

١ - عاد الهدهد إلى سليمان يحمل خبر مملكة اليمن التي يسجد أهلها للشمس ويعبدونها .

٢ - حَمَلَ سليمان عليه السلام الهدهد كتاباً فيه دعوة إلى الإيمان بالله، يلقيه بين يدي بلقيس ملكة سبأ، ثم يتعد فيراقب ردة الفعل .

٣ - أرسلت بلقيس هدية إلى سليمان علّه يتركها وبلادها .

٤ - لما أبى سليمان إلا إسلامها وقومها انطلقت إلى عاصمة ملكه زائرة .

٥ - أراد اختبار ذكائها فأمر بحمل عرشها إلى فلسطين .

٦ - حمله أحد العارفين بالله في لمحة البصر بإذن الله .

٧ - نكر عرشها وعرضه عليها فلم تخطئه .

٨ - بنى قصرأ من الزجاج الصافي، فلما أرادت دخوله كشفت عن ساقها ظانة أنه ماء لشدة صفائه .

٩ - رأت عظمة ما لسليمان من ملك ونبوة فأمنت بدينه .

والمملك لتعاضمهم لا يسلمون لأمر إلا إذا كان عظيماً، فخطط سليمان لذلك بجلب عرشها وبناء القصر العظيم ليخلب لبها ابتداءً فتسلم له، وكان تخطيطه موفقاً .

وقبل ذلك نجد النملة تتخذ الأسباب، ويساعدها على ذلك سليمان عليه السلام، ينطلق سليمان وجنوده من الجن والإنس والطيور، فيصلون إلى وادي النمل، وكان النمل خارجاً من أعشاشه يبحث عن رزقه، فإذا ظلّ منتشراً في الوادي فستطوه أرجل الجنود، وحوافر الخيل، وقوائم السباع،

والجيش كبير العدد، ولن تسلم نملة منهم، فقالت نملة لبيبة رأت من بعيد جيش سليمان يهز الأرض تحته صارخة في قومها منبهة السامعين منهم ليحذروا ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

فيسمع سليمان عليه السلام صوتها وتحذيرها، فيوقف تقدم الجيش، ويسأل ربه أن يرزقه شكره على نعمه التي وهبه إياها ولوالديه، ويسأله العمل الصالح الذي يرضيه، وأن يرزقه جنته ورضوانه، ودخلت النملة مسكنها وتبعها النمل فخلا الجو منهم (٢) وفرغت الأرض، فانطلق الملك سليمان عليه السلام إلى هدفه شاكرًا حامدًا.

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الأسباب المادية والمعنوية في لقاء العدو.

- أما المثال على اتخاذ الأسباب المعنوية فقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُ فِكَةً

أ - فَأَثْبَتُوا

ب - وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

ج - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

د - وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِجَالُهُمْ

هـ - وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ (٣).

ثم نهاهم أن يكونوا بطرين أشرين يراؤون الناس ولا يخلصون لله سبحانه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِيشًا النَّاسِ وَصُدُّوا عَنْ

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.

(٢) عاملت النملَ معاملة المذكر لأن الله سبحانه وتعالى حين تحدث عنهم فقال: ﴿... ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾. جعل الخطاب بواو الجمع وميم الجمع، والله أعلم.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ (١)

فالثبات، وذكرُ الله، وطاعته وطاعة رسوله، والوحدةُ الإيمانية، والصبرُ، والبعد عن الرياء، والإخلاصُ لله سبحانه أسبابٌ معنوية، إن اتخذها المسلمون نصرهم الله تعالى، ولا أَرانا في هذه الأيام الرديئة نتصف بواحدة منها... لذلك ترانا كالقصعة التي يتداعى الأكلةُ الشرهون إلى التهامها.

- والمثال على اتخاذ الأسباب المادية قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٢)

فالإعداد المادي يستدعي:

- ١ - التربية البدنية واللياقة العالية.
- ٢ - التدريب على السلاح بكل أنواعه.
- ٣ - تأمين السلاح الثقيل، والتدريب عليه.
- ٤ - إرهاب العدو بإظهار القوة قدر الإمكان.
- ٥ - القوة ترهب من يمدُّ العدو ويساعده.
- ٦ - إنفاق المال في سبيل الله والعقيدة.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام يرى - وهو عائد إلى أهله في مصر وزوجته معه - ناراً والدنيا باردة، والمكان مظلم، ولا بدَّ للدفع والأمان، ورؤية من يقصدونه من الحصول على النار، وها هو يراها من بعيد فيترك أهله قريباً من المكان، ويسرع إلى الضوء ليقبس قبسة تفيده فيما يرمي إليه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

من أحد يده على الطريق، فقد ضلّ عنه وقد هبت ريح شديدة فرقت ماشيته، فهو يسعى لنار تريحه إياها كما أن زوجته أخذها الطلق، وهذا أخذ بالأسباب الموصلة إلى الراحة، والأمان، والدفع...

وهناك يكلمه الله سبحانه وتعالى ويعرفه بحقيقته، ويأمره أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى الله سبحانه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾^(١). ويعطيه الله سبحانه من الأسباب المساعدة على إبلاغ الدعوة سلاحين:

- أ - العصا التي تنقلب ثعباناً يثير الرعب والهلع في نفوس الحاضرين.
ب - التوهج الشديد ليده حين يدخلها في جيب قميصه.

كما يؤيده بأخيه هارون فهو فصيح اللسان واضح الكلام. وينفي عنه الخوف من فرعون أن يقتصر منه لأنه قتل قبطياً... ﴿وَأَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانًّا وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَرَّ بَعْقَبٌ بِمُوسَىٰ وَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَسُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلْنَا لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(٢).

- وتأمل معي أمر الله تعالى لموسى في النجاة من فرعون، ثم إغراق فرعون ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَالْبَعْثُ لِلْفِرْعَوْنِ بِجُنُودِهِ فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾^(٣).

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة القصص، الآيات: ٣١ - ٣٥.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاَ الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابَ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورٌ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَقْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْنَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١)

﴿ فَأَنْشُرْ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٢)

تجد موسى عليه السلام اتخذ الأسباب التالية:

- ١ - استنجد بربه حين دعاه أن ينقذه وقومه من فرعون وجنده.
- ٢ - أمره الله أن يتطلق بقوة تجاه المشرق، فسار بهم ليلاً كي يقطع مسافة طويلة قبل أن يشعر بهم فرعون.
- ٣ - وحين وصلوا إلى شاطئ البحر كان فرعون مسرعاً بجيشه يقترب منهم. فقد رأى كل من الطرفين الطرف الآخر، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ففعل، فانفلق البحر، وانشق طريق يابس بين جبلين من الماء.
- ٤ - أسرع موسى بقومه إلى الطرف الآخر وهم مشفقون خائفون.
- ٥ - وصل موسى وقومه إلى الشاطئ الآخر، وهم أن يضرب الماء ليعود البحر كما كان حتى لا يستطيع فرعون العبور إليهم.
- ٦ - أمره الله سبحانه أن يترك البحر كما هو ليدخل فرعون الطريق وجنوده، فلما صار الجيش كله في الطريق أمر الله تعالى الماء، فعاد كما كان فأغرق الكافرين.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٧ - ٦٦.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٢٣، ٢٤. والرهو: ترك البحر منفرجاً مفتوحاً.

فلاستنجد بالله، والدعاء له، والمسير في الليل، وضرب الماء، ثم
الهمُّ بضربه مرة أخرى ليعود كما كان.. اتخاذ للأسباب.

لكنَّ التخطيط واتخاذ الأسباب لا يوصلان إلى الهدف إلا إذا أراد الله
سبحانه وتعالى ذلك، فعلينا التفكير وعلى الله التدبير، وهذا هو التوكل على
الله.



الإشهاد.. والشهادة

لهاتين الكلمتين معانٍ عدة:

ف «شهد»: أخبر الخبير القاطع، وأدى ما عنده من علم بأمر ما، وأقر بما علم، وعانين الشيء، وأكد ما سمع، وأخبر بما رأى.

و «أشهد» على الأمر: جعله يشهد عليه، وأشهد الشيء: أحضره.

فلا تكون الشهادة والإشهاد إلا على حقيقة ساطعة، وأمر بين لا إبهام فيه، وقد قيل: (على مثل ضوء الشمس فاشهد).

١ - فرضية الشهادة: وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نشهد لإرضائه في إقرار الحق وإبطال الباطل، فقال آمراً بالشهادة:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وقال أيضاً: ﴿... وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(٣).

ولذلك كان كتم الشهادة وإغفالها ظلماً وجوراً، لا ينبغي للمسلم الوقوع في إثمها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ...﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

وقال تعالى: ﴿... وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَلِيمِينَ﴾ (١).

٢ - مكانة الشهادة:

أ - الشهادة إقرار بالحق.

ب - دعوة إليه وإصرار عليه.

ج - أصحابها بلغوا ذروة من الشرف والعلم.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) (٢).

ولأن الشهادة إقرار بالحق استنكر القرآن الكريم كفر أهل الكتاب، على الرغم من أنهم يشهدون الحق ويعرفونه.. قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِيُّ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٠) يَتَأْهَلُ الْكِتَابِيُّ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) ١٩ (٣).

ويقول الله تعالى موضحاً مكانة الشهادة كي لا يضيعها أحد: ﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةً

قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ

أَيْبَتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ

قُلْ لَا أَشْهَدُ

قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩) (٤).

وقال: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَسُئَلُونَ﴾ (٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

٣ - وجوب أداء الشهادة: وحين تشهد على أمرٍ فلتلق شهادتك كاملة، ليس فيها نقص أو إبهام، وإلا غاب الحق عن أهله، وطمست معالمه.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَقُّ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(١).

وإذا طلب أحد لأداء الشهادة لثبي، وأداها على أحسن وجه. قال تعالى: ﴿... وَلَا يَأْبِ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا ... ذَلِكَ كُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ للشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ إِلَّا تَرَابُوا ...﴾^(٢).

٤ - مَنْ يشهد؟

ذكر القرآن أنواعاً من الشهداء وكلهم شهادته مقبولة معتبرة.

١ - طائفة من المؤمنين: ﴿وَلشَّهَد... عَدَائِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

٢ - أهل الحق: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤) ﴿٨٦﴾.

٣ - أهل العدل: ﴿وَأشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ...﴾^(٥).

٤ - كل مؤمن بالله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾^(٦).

٥ - مَنْ لا ترد شهادته لقربه من المتهم وهو ادعى أن يصدق: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾^(٧).

٦ - الصالحون، فهذا سيدنا عيسى شاهد على قومه ما دام حياً: ﴿وَكُنْتُ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴿١﴾ .

٧ - مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِقٌ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٢﴾ .

٨ - وأولاً وأخيراً يشهد الله تعالى كما مرَّ معنا قبل قليل وكما في الآية التالية ومعه ملائكته الكرام: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يُعَلِّمُ

وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣﴾ .

٥ - مكانة الشهداء: إنَّ للشهداء الذين يشهدون الحقَّ وبالحقِّ مكانة كبيرة، فقد ذكرنا قبل قليل أنواعهم، وكلهم عدول، يتمنى كل واحد منا أن يكون مشهوداً له بمثل ما شهد الله لهم، وهنا نذكر أنَّ مكانتهم من الله تعالى قريبة.

- فمن قتل في سبيل الله وإعلاء كلمته كان شهيداً لله، قال تعالى: ﴿... وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿٤﴾ .

- وقد سمي الله سبحانه وتعالى الأنبياء شهداء، فكل نبي شهيد على أمته، والرسول الكريم ﷺ شهيد على الجميع، فقال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٥﴾ .

- ومن قام بالحقِّ وعمل في سبيل الله فقد شهد بالعدل، قال تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٨.

والشهداء أهل النور، وأصحاب الثواب العظيم: ﴿... وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (١).

٦ - علام نشهد؟

أ - الصادق لا يشهد إلا بما علم وتأكد، وإلا كان كاذباً، فإخوة يوسف نصح بعضهم بعضاً بالعودة إلى أبيهم لإخباره أن ابنه سرق... ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ (٢)، ولا يزيد ولا ينقص ولا يقلب الأمور فيكون - والعياذ بالله - من أهل الزور قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٣).

ب - نشهد بالإيمان والإسلام... ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ (٤) هذا ما قاله الحواريون، وأطاعوا أمر ربهم حين أكدوا مكررين ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ مَاتُوا فِي رَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ (٥).

وشهد النبيون جميعاً على التبشير بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، واتباعه، ونصرته إن بعث وهم أحياء، فأقروا وشهدوا ﴿قَالَ أَأَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٦).

ج - ونشهد على وحدانية الله وربوبيته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَيْنِ يَدَيْكَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدْتُمُ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٧).

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

د - والشهادة على الأمن والأمان، وعدم الإساءة إلى الآخرين، فقال تعالى مخاطباً اليهود: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴿٨٥﴾﴾ (١).

هـ - وتكون الشهادة لنفي التهمة كذلك - فلما قالت ثمود لنبئهم هود عليه السلام: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (٢).

و - ويوم القيامة يسأل الله المشركين عن آلهتهم المزعومة ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آئِنَ شُرَكَائِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٣﴾﴾ (٣).

و - ويشهد الكفار على أنفسهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (٤)، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آئِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٥﴾﴾ (٥).

ز - وقد يشهد الإنسان لدرء العذاب عنه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْوَجُ أَرْبَعِ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ (٦) وَالْفَلْسِمَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنَّا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْفَلْسِمَةُ أَنْ عَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ (٦).

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٤.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٤) سورة العاديات، الآيتان: ٦، ٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.

(٦) سورة النور، الآيات: ٦ - ٩.

٧ - عدد الشهداء: وينبها القرآن الكريم أن أقل الشهادة في المعاملات الدنيوية شاهدان من الرجال، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (١)، وقد يكون الشاهد رجلاً معه اثنتان من النساء: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضُوا مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (٢).

وفي حوادث الزنا يشهد أربعة رجال: ﴿وَأَلْفِي بِأَتَيْتِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ (٣).

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)، وقد جعل للزنا أربعة شهداء من الذكور لمنع الفاسقين من ثلم أعراض المسلمين ونشر الفاحشة بينهم.

٨ - إقامة الحجة:

- وقد يُكثِر الكاذب، وصاحب الهوى، والمفسد، وأقرانهم من أهل السوء، الكذب فيكون الإشهاد للتكذيب وإقامة الحجة على المفسدين أيًا كانوا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٥)، فكانت شهادة الله فيهم أنهم أهل الكذب والفساد... وعراهم فبانوا على حقيقتهم.

- وشهد سبحانه وتعالى في المنافقين ﴿... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٦) حين ادعوا أنهم مؤمنون بالله ورسوله.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ١.

- وتعال معي إلى شهادة من نوع عجيب غريب - وما ذلك على الله
بعزيز - فيوم القيامة ترى، وتسمع شهادة ما بعدها من إنكار ﴿وَيَوْمَ
يُخَسِّرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١﴾ .

٩ - بعض الشاهدين كاذبون:

أ - في الدنيا تجد كثيراً من الكفار والمنافقين وأهل الأهواء يشهدون كذباً،
ويحلفون كذباً، وهذا ديدنهم، وعليه جبلوا.

فمن أمثلة المنافقين قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ .

ومن أمثلة الكافرين المدعين أنهم يحبون الخير، ويكرهون الفساد قوله
تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي
قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصِيمُ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُوَ لَكُمْ
الْحَرَمُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْأُنثَىٰ فَحَسَبُوهُمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِمْرَءُ ﴿٢٠٦﴾ ﴿٣﴾ .

ومن أمثلة المسلمين الذين يرمون أزواجهم - وعددهم هذه الأيام كثير
فعقوبتهم اللعنة - والعياذ بالله - ومن النساء من يزني، وينكرن ذلك،
ويكذبن أزواجهن الذين رموهن، فعقوبتهن الغضب من الله عليهن - والعياذ
بالله - وقد ذكرت آيات من سورة النور تحت عنوان: «علام نشهد»؟ .

- وعلى هذا لا يؤذن يوم القيامة لهؤلاء الكاذبين قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخَسِرُ
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِتَأْيِيدِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾ حَقَّ إِذَا جَاءُوا قَالَ

(١) سورة فصلت، الآيات: ١٩ - ٢١ .

(٢) سورة المنافقون، الآيات: ١، ٢ .

(٣) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦ .

أَكْذَبْتُمْ بِتَائِبِي وَلَمْ تَحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ (١)

١٠ - الشاهد لا يؤذى: وكثير من غلاظ الأفتدة مغلفي القلوب
يظلمون الناس، ويسئون إليهم، وقد يضطرون لإشهاد بعض الناس في أمرٍ
فإذا جاء وقت الشهادة لاستعادة الحق، وشهد هؤلاء نالهم السوء من العتاة
المجرمين، فهددوهم وأرهبوهم كي يسكتوا... ولا يرضى الله سبحانه
وتعالى مثل هذا التصرف المشين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقًا بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَلْفُ...﴾ (٢)

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، الذين يشهدون الحق، ولا يخافون الباطل.

(١) سورة النمل، الآيات: ٨٣ - ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

التععيد

كل بناء له أساس يقوم عليه، وقاعدة يرتكز عليها، ولن تجد بناءً متيناً إذا لم يقم على أسس صلبة وقواعد ثابتة.

- والدين بناءً قاعدته الأولى التوحيد. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهٗ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾﴾ (٢).

- ومع القاعدة الأولى تتصل القاعدة الثانية «الإيمان باليوم الآخر» ذلك اليوم الذي يحاسب فيه الإنسان على ما قدمت يده خيراً أو شراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لِلَّهِ وَحَدُّهُ قَالِيَةٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكُنُوبُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ (٤).

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

وقال تعالى يؤكد لقاءه سبحانه يوم القيامة: ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ بِإِمْتِئَانٍ ﴿٩٥﴾﴾ (١).

والقاعدة الثالثة: الموت والبعث... والموت يؤمن به كل الناس مؤمنهم وكافرهم إلا أن مفهوم الموت يختلف عندهما، فالمؤمن موقن به وبالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، والكفار ينكرون البعث، ولا يرون حياة بعد الموت، قال تعالى على لسان الكفار: ﴿... وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٢)، وقال كذلك على لسانهم: ﴿إِنَّا فُتِنَّا بِهَذَا الْغَيْبِ وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدْدٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ (٣).

أما المؤمنون فيقول الله تعالى فيهم مادحاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾ (٤).

والقاعدة الرابعة: الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (٦).

وقال كذلك: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ (٧).

والقاعدة الخامسة: أن طريق الله تعالى واحد مستقيم، لا يضل من

(١) سورة مريم، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة ق، الآية: ٣.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) سورة القارعة، الآيات: ٦ - ١١.

سلكه لأنه صادر عن الله تعالى أصل الأنوار: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ (٢).

وقال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) (٣).

- القاعدة السادسة: أن الإيمان بالله لا يُقبل إلا أن يؤمن الإنسان بنبوة سيد محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته، ويتبعه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (١٥) (٤).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْتِي بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) (٥).

- القاعدة السابعة: مفاصلة المشركين لكفرهم وعداوتهم للمسلمين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) (٦).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦) (٧).

وأعداؤنا لا يحفظون ذمة ولا عهداً، وإذا أحسوا بالقوة قلبوا لنا ظهر المجن، وسامونا العذاب ألوانا قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة الفاتحة، الآيات: ٦، ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٧) سورة المائدة، الآيات: ٥٥، ٥٦.

ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُبْدُوكُمْ فِي مَلَبِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٠﴾﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشْفَقُوا لَكُمْ أَعْدَاءَهُ وَبَسَطُوا إِلَيْكُمْ آيَاتِهِمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (٣)

القاعدة الثامنة: أن الله تعالى شديد العقاب لمن عصى، وواسع المغفرة لمن آمن به قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ أَعْيُنُهُمْ أَنَّىٰ أُنزِلُ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُنُوبُنَا يُغْفِرُ ﴿٤٩﴾﴾ (٤)

وقال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (٥)

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَبَنِ سُكَّرْتُمْ لِأَرِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (٦)

القاعدة التاسعة: أن العاقبة لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَا وَرُسُلِيَ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ (٧)

وقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْمَتَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

وقال تعالى مؤكداً نجاة المؤمنين من جهنم على الصراط ووقوع الكافرين في عذابها: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُوا لَهَا وَإِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَنَادَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾﴾ (٩)

القاعدة العاشرة: دمار الكافرين، ولكن بعد أن يرسل الله إليهم الرسل

- (١) سورة التوبة، الآية: ١٠.
- (٢) سورة الكهف، الآية: ٢٠.
- (٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.
- (٤) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.
- (٥) سورة المائدة، الآية: ٩٨.
- (٦) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
- (٧) سورة المجادلة، الآية: ٢١.
- (٨) سورة هود، الآية: ٤٩.
- (٩) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.

فيكفرون بهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرَبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْيَوْمِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨) ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) ﴿٢﴾.

أما حين يقتلون الرسل فعقابهم شديد ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦) ﴿٣﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (٧٧) ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١١) ﴿٤﴾.

القاعدة الحادية عشرة: عداوة الشيطان للإنسان، فهو - الشيطان - يعتقد أن الإنسان سبب شقائه، فحين خلق الله تعالى آدم أمر الملائكة وإبليس أن يسجدوا له تعظيماً، ورأى إبليس نفسه أكرم من آدم، فأبى أن يسجد له، وعصى ربه، فلعنه، وطرده من رحمته، فألقى هذا على نفسه أن يغوي الإنسان، ويضله ليكون شريكاً له في النار فقال: ﴿فِعْرَنِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أجمعين إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٢) ﴿٥﴾، فنبه الله تعالى آدم محذراً إياه من إبليس، فقال: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧) ﴿٦﴾.

ومن تحذيرات الله سبحانه وتعالى لعباده من الشيطان قوله سبحانه: ﴿يَبْنَىٰ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (٧) ﴿٧﴾،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٦، ٧٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٥) سورة ص، الآية: ٨٣.

(٦) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا يَرْزُقَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ (١)، وقوله سبحانه: ﴿... إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٢﴾﴾.

- القاعدة الثانية عشرة: أن الإنسان يتحمل وحده نتائج ما آمن به وما عملته يده، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣).
وقال أيضاً: ﴿كُلُّ أُمَّرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٤﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَىٰ... ﴿٥﴾﴾.

وهناك قواعد عديدة وأسس واضحة تقوم عليها العلاقة:

١ - بين الله سبحانه وعباده.

٢ - بين الناس أنفسهم.

نترك لك أيها القارئ الكريم استجلاءها وتوضيحها.

فلا بد - إذا - أن تكون أعمالنا وتفكيرنا قائمين على قواعد متينة يمنعنا التثبُّت منها أن نزل ونخطيء، أو نميل مع الهوى، أو ننتيه في دروب الضلال بعيدين عن الحق. لا سمح الله.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٨.

العظة والعبرة

تَوَقَّدُ النَّارُ فِي اللَّيْلِ، فَتَرَى الْفَرَاشَاتِ تَتَسَابَقُ إِلَيْهَا وَتَحْتَرِقُ بِهَا، وَتُنْصَبُ الشَّبَاكُ فِي مِيَاهِ النَّهْرِ وَالْبَحْرِ فَتَعْلَقُ بِهَا مَلَائِينَ الْأَسْمَاكِ يَوْمِيًّا، وَيَحْمِلُ الصَّيَادُ بَارُودَتَهُ إِلَى النَّبْعِ الْقَرِيبِ لِيَصْطَادَ الْعَصَافِيرَ، فَتَأْتِي هَذِهِ لِتَشْرَبَ فَتَلْقَى حَتْفَهَا، وَلَا تَحْجُمُ الْعَصَافِيرُ الْأُخْرَى عَنِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا، لِتَقَعَ فِيهَا وَقَعَتْ فِيهِ مِثْلَاتِهَا.

فَلَا عَقْلَ لَهَا وَلَا تَدْبِيرَ يَعْصِمُهَا، وَلَا تَفْكَيرَ يَقُودُهَا إِلَى النِّجَاةِ..
فَالْإِنْسَانُ وَحْدَهُ الَّذِي يَتَعَطَّ بِغَيْرِهِ وَيَعْتَبِرُ، الْإِنْسَانُ الَّذِي يَفْكَرُ فِي عَاقِبَةِ كُلِّ أَمْرٍ..

وَلَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ تَجِدُ الْكَثْرَةَ الْكَائِثَةَ مِنَ النَّاسِ لَا تَفْكَرُ، وَلَا تَرِيدُ أَنْ تَفْكَرَ، وَهَبَّهَا اللَّهُ صَمَامَ الْأَمَانِ (العقل) فَتَطْرَحُهُ جَانِبًا إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْمَعِيشِيَّةِ، وَتَنْسَى أَنَّهَا خَلَقْتَ لِتَمُرَ بِمَرَاكِلِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ تَطْوِي صَفْحَةَ الْمَلَائِينَ مِنَ النَّاسِ يَوْمِيًّا وَالْعَجَلَةَ تَدُورُ، وَالنَّاسُ غَافِلُونَ سَاهُونَ عَنِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لِأَجْلِهَا، وَيَأْتِي الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَيَأْتِي الدَّعَاةُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَهْزُونَ النَّاسَ لِيَسْتَيْقِظُوا مِنْ سَبَاتِهِمْ، لِيَنْتَبِهُوا إِلَى حَقِيقَتِهِمْ.. وَيَصْحُو أَنَاسٌ وَيَغْرُقُ أَنَاسٌ.. وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَهْزُنَا لِنَسْتَفِيقَ، وَيَدْعُونَا إِلَى الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ، فَيَطْرُقُ أَفْكَارُنَا مِنْ جِهَاتٍ عَدَّةً:

أ - الاتعاظ بمصير الأمم السابقة.

ب - الاتعاظ بنا أنفسنا.

ج - الاتعاظ بما حولنا من حياة طبيعية، نراها يومياً.

١ - الاتعاظ بمصير الأمم السابقة:

أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه الكرام إلى الناس، يهدونهم إلى صراطه المستقيم، فلما أبوا عاقبهم سبحانه: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ

١ - فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

٢ - وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

٣ - وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

٤ - وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ﴿(١)﴾

- أما قوم لوط فقد عوقبوا بأن اقتلع جبريل قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وأرسل عليهم حاصباً (حجارة من سجيل منضود)، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة متنتة «البحر الميت» وجعلهم عبدة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد، وترك من هذه القرية آثار منازلهم الخربة، ليعتبر بها الناس ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

- وأما قوم شعيب - أهل مدين - فقد نصحهم أن يؤمنوا بالله وحده، ويخافوا العذاب الشديد، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، ولينصفوا فلا يطففوا المكيال والميزان، فكذبوه، وهددوه والمؤمنين معه ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

هذه الرجفة دمّرت منازلهم، وزلزلت قراهم، ثم جاءتهم صيحة هائلة أخرجت القلوب من حناجرها، فأصبحوا هلكى على الركب ميتين.

- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَاتَّبَعُوا أَمْرًا غَالِيًّا﴾ (٤) فقد أرسل الله تعالى عليهم صيحة مدمرة جاوزت الحد في أحده فخلعت قلوبهم، وذلك أنهم لما عقروا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٥.

الناقة قال لهم نبيهم: ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَّكَذُوبٍ﴾ وهكذا كان ففي اليوم الرابع جاء الهلاك المحتوم ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيئًا﴾ (١).

ثم ينبهنا الله تعالى إلى الإيمان بالله وحده، مخوفاً إيانا من عذاب يشبه عذابهم ﴿كَانَ لَمْ يَفْتَوُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّا نُنُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِمُؤَدِّ﴾ (٢).

- أما عاد التي سبقت ثمود فقد سبقتها كذلك بالكفر والفساد، وحذرهم نبيهم هود من مغبة الكفر، فلم يأبهوا فكانوا ملعونين في الدنيا والآخرة ﴿وَأْتَعُوْا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنَّا عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ (٣).

ولكن كيف أهلكوا؟

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلْتَمَ رِيحًا صَّارِخًا فِي يَوْمٍ نَحِيْنٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (٤) نَزَعُ النَّاسَ كَانْتَهُمْ أَعْجَازًا نَّخْلٍ مُّشَقَّرٍ﴾ (٥).

إنها ريح عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت، استمرت عليهم ﴿سَبَّحَ لَيْلًا وَنَهْيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (٥)، تقلعهم إلى الأعلى، ثم ترميهم إلى الأرض على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، وتركهم على الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، وشبههم بالنخل لطولهم، وضخامة أجسامهم.

وينبهنا الله تعالى أن لا نكون مثلهم، فيعاقبنا كما عاقبهم ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٦)، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (٧).

- وهؤلاء قوم نوح عليه السلام مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة الأصنام، لكنهم أبوا

(١) سورة هود، الآية: ٦٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٦٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٦٠.

(٤) سورة القمر، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ٧.

(٦) سورة الحاقة، الآية: ٨.

(٧) سورة القمر، الآية: ١٦ و ٢١.

الإيمان ف ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي خَشِيتُ أَن يَأْتِيَ بَنِيَّ أَهْلًا كَافِرًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ مَا إِلَهُتُكُمْ وَلَا نَدْرَأُ وَدًّا وَلَا صُؤْرًا وَلَا يُعُونَكَ وَيُعَوِّقُ وَتَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَصْلَوْا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ (١).

فكيف كان عقابهم؟ يشس منهم نوح حين نعتوه بما لا يليق به، ثم قالوا له: ﴿... مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشْرًا نَتَلَّنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِأَدْبِ الرَّأْيِ وَمَا نَزَّلُوا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (٢)، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿٢٣﴾﴾ (٣)، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٤﴾﴾ (٤)، فاستجاب له ربه:

﴿فَفَلَحْنَا آتُونَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿١٤﴾﴾ (٥).

ولما انتهى كل شيء ونصر الله تعالى نبيه نوحاً والمؤمنين معه، وغرق الكافرون توقفت السماء عن المطر، والأرض عن إخراج الماء.

أ - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾

ب - ﴿وَكَسَمَاءَ أَقْلِي﴾

ج - ﴿وَوَيْضَ الْمَاءِ﴾

د - ﴿وَفَضَى الْأَمْرِ﴾

هـ - ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾

(١) سورة نوح، الآيات: ٢١ - ٢٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٠.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٥) سورة القمر، الآيات: ١١ - ١٤.

و - وَقِيلَ بَعْدَ لِقَايَةِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿١﴾ .

نعم بعداً للقوم الظالمين...

- وهذا فرعون يقول متجبراً متغطرساً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ﴿٢﴾، ﴿فَحَنَرَ فَتَادَى﴾ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ﴿٣﴾ .

فكيف أهلكه الله تعالى؟ لقد سار موسى إلى البحر، وتبعه فرعون، فنجح موسى وأغرق الله فرعون وجنوده ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾ ﴿٢٤﴾ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُذَكِّرُ إِلَى الْآخِرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿٤﴾ .

ونجى الله بدن فرعون ليكون عبرة لمن يعتبر ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ﴾ لِنُكْرِمَكَ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً ﴿٥﴾ وما يزال بدنه في متحف مصر عبرة للمعتبرين .

وهذا قارون أتاه الله المال الكثير، يعجز عن حمل مفاتيحه الرجال الأقوياء، يتكبر، ويبطر، ويدعي أن المال أتاه بكده وفهمه وذكائه، فغضب الله عليه، ولما خرج يزهو بنفسه ابتلعت الأرض جزاءً وفاقاً ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٦﴾ .

أما ضعفاء الإيمان الذين كانوا يرغبون أن يحوزوا مثل ما عند قارون فقد انتبهوا من غفلتهم، وحمدوا الله على نعمة الإيمان، واتعظوا.

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٧.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ٢٣ - ٢٦.

(٤) سورة القصص، الآيات: ٤٠ - ٤٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨١.

﴿وَأَصْحَابُ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُمْ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُ لَا يَفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (١).

ب - الاتعاف بنا أنفسنا:

يفرح الوالدان بولدهما الذي أنجياه، ويكرسان حياتهما لخدمته، فإذا شب هيا له ما استطاعا، ويكبر فيموتان، ويتزوج هو وينجب... وتدور العجلة من نطفة إلى علقة إلى مضغة غير مخلقة ثم إلى مضغة مخلقة ثم يكون جنيناً كاملاً، ثم يخرج طفلاً، ثم فتى يافعاً، ثم شاباً نشيطاً ثم رجلاً قوياً، ثم يشيب ثم يهرم، وقد يردُّ إلى أرذل العمر، ويموت... وقد ينتهي أجله شاباً^(٢). والعاقل يفكر، ويعي أن هذه الدنيا فانية، لا دوام لها، وأن الآخرة هي الباقية، فليعمل لها.

والإنسان يرى العبر بعين البصيرة قبل عين البصر، يرى تلك التحولات فيتساءل ما أعظم قدرة الله تعالى، وما أجدره بالأنوهمية والربوبية!

والقرآن ينبهنا إلى التفكير والتدبير ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾﴾ (٣)، أفلا تبصرون قدرة الله في مراحل الخلق وفي اختلاف العصور، والألسنة، والألوان والطبائع، والسمع والبصر، وما إلى ذلك؟.

يقول قتادة: مَنْ تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق، ولينث مفاصله للعبادة.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يُنَوِّه إلى عظمة الله في خلق الإنسان:

(١) سورة القصص، الآية: ٨٢.

(٢) عُدْ إلى سورة الحج، الآية: ٥، وإلى سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
 لماذا جعل الله الإنسان خليفة في الأرض؟ أليس لأنه حمل الأمانة
 التي أبنتها السموات والأرض؟ خلقه فأحسن صورته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
 أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١).

ج - الاتعاض بمن حولنا من طبيعة ومخلوقات نراها دائماً:

فهذه الأنعام يخرج الله عز وجل منها شراباً لذيذاً ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
 لَعِبْرَةً ۚ تُذِكرُ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ بَيْنَ آخِصَاتِهِمَا سَائِماً لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦) (٢).
 والعجب أن ما حوله دم وكرش مليء بالثقل . . يا سبحان الله .

وهذا العسل الحلو المذاق المفيد تصنعه لنا حشرات صغيرة دائبة
 العمل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّيْلِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ
 (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
 أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٩) (٣).

وإذا نظرت فيما حولك من الأرض وجدت واحدة خصبة، والثانية
 صخرية، والثالثة رملية. من الذي قسمها هكذا؟.

وإذا نظرت إلى المزارع والحقول، وجدت الأنواع الكثيرة التي لا
 تحصى من أنواع الثمار، كلها تشرب الماء، ولكن طعومها مختلف من
 حلو، إلى مر، إلى حامض، إلى مالح، ونفضل بعضها على بعض في
 الأكل . . مَنْ خلقها ونوعها؟.

بل إن الشجرة الواحدة قد يكون لها فرعان لثمر واحد، لكنهما يختلفان
 في الطعم.

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

بل انظر إلى الأرض الممتدة أمامك فيها الوديان والجبال والأنهار،
ومن كل الشمرات، ثم تمنع في اختلاف الليل والنهار بشكل منتظم...
أليس من خلق كل هذا ودبره قمين أن يُعبدَ - سبحانه -؟

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا

وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رِوَجِينَ أُنثِينَ

يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ
صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾^(١)

وكل ما حولنا فيه تعظيم لخالقنا، دال على قدرته، سبحانه وتعالى من
إله عظيم قدير.



(١) سورة الرعد، الآيتان: ٣، ٤.

الدقة في العلم والتصرف

صفة في الإنسان تدلُّ على نباهة صاحبها وذكائه، تصدر عنه الأمور بعد روية وتدقيق، وحساب ومراجعة، يتابع الأمور معتمداً على آليات ومعطيات موثوقة، ويتحرى الأشياء قبل الحكم عليها ويحسب لكل شيء حساباً.

وهذا لا يعني أنه موفق دائماً فالأمر بيد الله لكنّه يتعاطى الأسباب، وغالب أفعاله توصله إلى ما يرميه.

والقرآن الكريم يضع بين أيدينا كثيراً من الآيات التي تصف المولى عزَّ وجلَّ بالعلم المطلق، والدقة الكاملة سبحانه وتعالى، فلم لا نسير على هداه، ونقطف من جناه، ونستقي من ضياه، ونقبس من سناه؟.

فهو سبحانه وتعالى يحكي عن ذاته العظيمة فيقول: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

فهناك إذا ما هو أصغر من الذرة، وقد اكتشف العلم الحديث ذلك.. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

(١) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.

وكما أنه يعرف كل شيء، ولا يغيب عنه شيء: فهو سبحانه يحاسب على كل شيء، مهما صغر أو كبر، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾^(١).

وقال سبحانه كذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤﴾﴾^(٢).

كما أن الذي يؤمن بالله، ويقرن الإيمان بالعمل يكرمه الله تعالى فيدخله الجنة، ولا ينقصه من ثوابه شيئاً، مهما كان صغيراً، كيف لا والمجازي هو الرحمن الرحيم؟

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾^(٣) والنقير: حفرة في ظهر النواة، كراس الدبوس، لا تكاد ترى.

والله سبحانه وتعالى المتصرف في كل شيء. أما المعبودات الأخرى فلا تملك شيئاً مهما حقر، فضلاً عن أنها لا تملك نفسها، فكيف يعبدها الضالون.

قال تعالى: ﴿... ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٤﴾﴾^(٤) والقطمير: تلك القشرة الرقيقة بين الثمرة والنواة.

أرأيت إلى هذه الدقة في التعبير ففي هذه الآية دُكِرَ «القطمير» وفي الآية السابقة دُكِرَ «النقير».

فإذا وقفت في غابة كبيرة فيها مئات الآلاف من الأشجار، وعلى كل شجرة عشرات الأغصان، وفي كل غصن الآلاف المؤلفة من الأوراق، وعشرات الآلاف من الحب والثمار، قلت مَنْ يعلم عددها ونوعها؟

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٣.

والله سبحانه وتعالى يعلم عددها وعدد ما سقط على الأرض منها... دقة عجيبة، وحساب متقن ﴿..... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رَوَاقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١).

وكل ما يفعله الله فعله بقدر، وهو مكتوب عنده في لوحه المحفوظ.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢)، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ (٣)، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانْتَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

والمشركون يأخذون كتبهم بشمالهم، فيقرونها، فلا يجدون إلا ما عملوه كاملاً لم ينقص شيئاً صغيراً كان أم كبيراً، فيتملك اليأس قلوبهم.

أ - ﴿وَيَقُولُونَ يَا بُولِئِنَّا مَا لَنَا هَذَا أَلْكَتَبِ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا

ب - وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

ج - وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٥).

وحين يرفع الله سبحانه وتعالى أوليائه الصالحين إلى الدرجات العلى، يكرمهم، فيرفع معهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإحسان، إلى مراتبهم على الرغم من أن صلاح الذرية لم يبلغ صلاح الآباء... متناً منه سبحانه وفضلاً، دون أن ينقص من ثواب الآباء شيئاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (٦).

ومن الدقة العجيبة كما مر في «النقير» و «القطمير»، «الفتيل» أيضاً

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٣) سورة القمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة يس، الآية: ١٢.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الطور، الآية: ٢١.

وهو الخيط الذي في شق النواة.. لا يظلم الله المؤمنين في ثوابهم وأجورهم، بل يكرمهم ويزيدهم، فهو المنعم الوهاب.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانٍ فَمَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١) (١).

وتعال إلى الحساب الدقيق في السنوات، فهؤلاء أصحاب الكهف لبثوا فيه ثلاثة مئة سنة ميلادية، وهي تساوي ثلاث مئة، وتسع سنوات هجرية. وعلى هذا لاحظ الدقة في الحساب ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥) (٢).

واقرا معي هذه الآية وتمعن في بعض أسباب تتابع الليل والنهار: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوِّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً

أ - لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ

ب - وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا تَفْصِيلًا﴾ (١٣) (٣).

فالدقة دليل على التمكن، وطريق إلى الثبت.



(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

الوضوح في المعاملة

ليس هناك أفضل من الوضوح في التعامل، ففيه فوائد عديدة منها:

١ - أن يعرف كل من الفريقين حدوده، فلا يتعداها.

٢ - أن يلتزم المتعاملون بما اتفقوا عليه، فترتاح النفوس.

٣ - أن تنسأ أمام المتلاعبين طرق الاحتيال والفساد.

والقرآن الكريم علمنا أن نعمل في ضوء الشمس، دون مواربة أو ختل، فنحن ندعو إلى الله بطريق واضحة، يراها من يريد أن يراها، ويتبعها من يريد اتباعها من أهل الفطنة والعلم، والطوية النظيفة.

- والله سبحانه وتعالى علّم نبيّه الكريم أن يكون قدوة في الوضوح
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٨) (١).

- أما شعيب عليه السلام، أو الرجل الصالح في مدين، الذي سقى موسى عليه السلام لابنتيه غنمه، فقد أراد أن يزوج موسى ابنته، فكان شرطه واضحاً، قَبِلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ

١ - عَلَّجَ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجًّا

٢ - فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٣ - وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ

٤ - سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

٥ - قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

٦ - أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ

٧ - وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ (١)

شروط واضحة ليس فيها لبس.. وعلى مثل عين الشمس فاشهد.

- وتزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ومكثت عنده فترة، ثم لم يتفقا، فطلقها وكان زيد مملوكاً للسيدة خديجة، وهبته للرسول الكريم حين تزوجها، فأعتقه وتبناه، وكان رسول الله ﷺ يأمر زيدا أن يمسكها، فلا يطلقها. وهو يعلم أن الله سيطلق التبني وأحكامه بتطليق زينب من زيد، وتزويجها للرسول الكريم ﷺ.

وبما أن الدين لا يمكن أن يكون فيه غموض وإبهام نزلت الآيات، موضحة الأحكام دون حرج ولا خجل، فالحق أحق أن يتبع، ولا يصح إلا الصحيح ﴿وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ

فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا

لِيَكُنِيَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ (٢)

- وفتح الله سبحانه على نبيه وعلى المسلمين خبير، فملكوا الكثير الكثير، ورأت نساء النبي ﷺ كثرة المال بين يدي رسول الله ﷺ، فسألته الزيادة في النفقة، ليتمتعن بسعة الدنيا ونعيمها وبهرجها الزائل، فتأذى

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

رسول الله ﷺ من إلحافهن في السؤال، وإلحافهن فيه. فنزلت الآيات واضحة تبين ما على نساء النبي أن يكن:

- أ - ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ كُلُّ إِزْوَجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرِيدَن الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَرَبِئْتَهَا فَتَعَالَيْكَ أُمْتَعْنَكُنَّ وَأَسْرَعْنَكُنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ (٢٨)
- ب - وَإِنْ كُنْتَن تَرِيدَن اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)
- ج - يَنْسَاءَ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)
- د - وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)
- هـ - يَنْسَاءَ النَّبِيَّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أْتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)
- و - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)
- ز - وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (١)

فوضح الله لهن مكانتهن العظيمة في بيوت رسول الله ﷺ، وأنهن قدوة لنساء المسلمين توضيحاً بيّناً. فرضين كلهن برسول الله ﷺ زوجاً وحيياً، وقلن كلهن: بل نريد الله ورسوله والدار الآخرة... رضي الله عنهن وأرضاهن.

- وليس المسلمون والكفار سواء في المعاملة في المجتمع الإسلامي.. صحيح أن لغير المسلمين في مجتمعنا حقّ المواطنة والعيش الكريم، والأمان، إلا أنهم لا ينبغي أن يكونوا على قدم وساق مع المسلمين، لا في الدنيا، ولا في الآخرة كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى. فقال في كتابه الكريم، نافياً أن يعامل المجرمون في الآخرة بما يماثل معاملة المسلمين،

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٢٨ - ٣٤.

في كثير أو قليل ﴿فَتَجْعَلُ اللَّسِيمِينَ كَالنَّجْرِيِّينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٧٨)؟! (٢)

- وما أشدَّ وضوح معاملة المطلقات في هذه الآيات: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

أ - فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ

ب - وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

ج - وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ

د - لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ

هـ - وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنِيئَةٍ ﴿٣﴾

و - ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

ز - وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴿٤﴾

ح - ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَجْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ

ط - وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَجْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي

لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٥﴾ (٦)

ي - وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٥﴾

- وكثير من النساء هربن من المجتمع المكي المشرك إلى المدينة

(١) سورة القلم، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٥) لم يحضن لصغرهن، عدتهن ثلاثة أشهر.

(٦) سورة الطلاق، الآية: ٤.

المنورة، بعد صلح الحديبية، فجاء أزواجهن أو إخوتهن يستردونهن بموجب الاتفاق المبرم، إلا أن النبي ﷺ، اعتبر المتفق عليه بحق الرجال لا النساء، وجعل لهن امتحاناً يعرف به المسلمون إن كنَّ مؤمنات حقاً، أو هربن لأمر ما.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

- ١ - إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ
- ٢ - فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
- ٣ - وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا ۗ
- ٤ - وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
- ٥ - وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ
وَسَأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَّا أَنفَقُوا... ﴿١﴾.
- ٦ - ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
يَثَلُ مَّا أَنفَقُوا﴾ ﴿٢﴾.

فهذه الآيات كانت موضحة تمام التوضيح لمعاملة النساء المسلمات، اللواتي هربن إلى المجتمع المسلم، والنساء اللواتي ارتدن إلى الكفر، وكيف يدفع للمسلمات الجديدات مهرهن، وكيف - إن كان ممكناً - استرداد ما دفعه المسلمون من مهور للنساء اللواتي عدن إلى مكة مرتدات... وضوح، وتنظيم، ودقة في المعاملة، كي يتعد المسلمون عن الحرج...

- ويجب البرّ بالوالدين، ولو كانا مشركين، ولا يكون الشكر لله إلا مقروناً مع الشكر لمن أحسن إليك - الوالدين - ولكن للبر حدود لا يمكن تخطيها!! خاصة إذا كانت حدود الله تعالى.

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٠.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١١.

أ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ

ب - أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ

ج - إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

د - وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

هـ - وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

و - وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿١﴾ ﴿١﴾

- ونرى الوضوح كذلك في التعامل مع من يرتكب فاحشة الزنا:

١ - فإن كان الزاني والزانية غير محصنين فكيف يعاقبان؟ .

أ - ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

ب - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ج - وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ .

٢ - بمن يقترن الزاني والزانية؟

أ - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

ب - وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ

ج - وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾ .

٣ - ما عقوبة من يقذف المحصنات دون وجه حق؟

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

أ - فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

ب - وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥ .

(٢) سورة النور، الآية: ٢ .

(٣) سورة النور، الآية: ٣ .

ج - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

٤ - فهل تبقى العقوبتان المعنوية في الدنيا والنار في الآخرة إن تاب القاذف؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ (٢) .

٥ - فإن كان القاذف الزوج نفسه فما حكمهما؟:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ

١ - فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

ب - وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ

أ - أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾

ب - وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ (٣) .

وهكذا يفرق بين الزوجين المتلاعنين فراق بينونة كبرى، ويكون أحدهما قد باء بالخسران الأبدي إلا إذا كانت المرأة زانية، واعترفت، فرجمت، فقد طهرت، وتابت توبة نصوحاً.

إن الغوص في أعماق القرآن والقراءة فيه بامعان يجلي للقارئ كنوزاً من الأمثلة في كل أسلوب تعليمي من أساليب القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



(١) سورة النور، الآية: ٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٥.

(٣) سورة النور، الآيات: ٧ - ٩.

اغتنام الفرص

كيف يغتنم المرء هبوب رياحه؟، وهل تتاح الفرصُ كثيراً؟ وماذا يسمى من أوضاعٍ شيئاً كان بين يديه ثم سعى وراء ما يهرب منه ويبتعد عنه؟.

إن الله سبحانه وتعالى ينبهنا في قرآنه العظيم إلى اغتنام ما بين أيدينا، والحرص عليه في مرضاة الله، قبل أن نلقاه مفلسين خاسرين نادمين على ما فرطنا فيه، وما دمنا في الدنيا لم نغرغر بعد فلنغترف من الخير قبل الممات، ففي الدنيا عمل ولا حساب، وفي الآخرة حساب ولا عمل.

قال تعالى يدعو إلى الإسراع إلى فعل الخير:

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾^(١).

ويمدح المؤمنين الفاعلين الخير المسرعين إليه قبل غيرهم:

﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٢).

أما أهل الغرف من جنات النعيم فهم الذين شمروا عن ساعد الجد واغتنموا الفرص فكانوا أهل الحظوة والقرب.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ١٢.

والله سبحانه وتعالى ينادي عباده داعياً إلى التوبة واللجوء إليه :

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾

وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَلَا تَشْعُرُونَّ ﴿٥٥﴾

أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴿١﴾

ويناديهم أيضاً منبهاً إلى حاجتهم إليه، فليغتنموا الدنيا وليعملن كل إنسان بما يفيده.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾

وما دام الله سبحانه قادراً على أن يفعل ما يشاء ولا حول لنا ولا قوة فعلام نستكبر عن عبادته؟ ولماذا نكفر به ونعصيه؟

- ومن فضل الله سبحانه علينا أنه لا يعاقب إلا بعد أن ينذر ويوضح، فيرسل رسله إلى الناس، ويفسح لهم الفرصة ليغتنموها، فإن أضاعوا حلَّ

(١) سورة الزمر، الآيات: ٥٣ - ٥٨.

(٢) سورة فاطر، الآيات: ١٥ - ١٧.

بهم العذاب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ (١).

وقد جرت العادة أن يرسل الله رسولا إلى المدن الكبيرة، يبلغ رسالة ربه، وينذر الكفار، فيقطع الحجج والمعاذير. حتى إذا أهلكهم لإصرارهم على الكفر والإنكار، لم يدع لهم حجة يتمسكون بها، وهذا قمة العدل، ومن أكثر عدلاً من الله سبحانه؟ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (٢).

فالعاقل يغتنم الفرص التي يقدمها له الله سبحانه وتعالى، ويؤمن به ويطيعه، ويطيع رسوله ﷺ.

- ومن الفرص التي يقدمها الله سبحانه وتعالى لعباده دائماً قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ...﴾ (٣).

فهو سبحانه:

- ١ - يفتح أبواب التوبة مشرعات دائماً.
 - ٢ - فإذا أخطأ الإنسان - وهو خطأ - ثم استغفر، غفر الله له.
 - ٣ - العاقل يستجيب لهذا العفو، فيغتنم الفرصة، ويتوب.
 - ٤ - فإذا تاب وعمل صالحاً زاده من فضله وأكرمه.
- ومن الفرص التي يقدمها الله تعالى فيتلقفها المسلم المؤمن دون أن تفلت منه الدعوة المتكررة للإيمان بالله، فالله سبحانه لا يفتأ يرسل المرسلين - سابقاً - والدعاة المخلصين - لاحقاً - مذكزين، منبهين، منذرين، معلمين... ليستفيد منهم الناس قبل أن يفقدوهم.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ

إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا

فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

قَالُوا مَا آتَاهُ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُ مَا نَزَّلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾

قَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ إِيَّاكَ لَنُرْسِلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

قَالُوا طَهَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى

قَالَ يَا قَوْمِ أَتَيْتُكُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

أَتَيْتُكُمْ مِنْ لَدُنِّكُمْ بِأَنْبَاءٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۗ ؕ

إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ يَضْرِبَ لَكَ تَحْنِينَ عَنِّي شَفَعَتْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٣﴾

إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ !

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿١﴾

فدخل الجنة، وكسب رضوان الله لأنه رأى الفرصة مواتية فاغتنمها...

- ويدعونا الله تعالى إلى الإسراع إلى الفرص واكتسابها فيقول: ﴿إِنَّ

هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ لِيَسْرَلَ هَذَا فَليَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٢).

(١) سورة يس، الآيات: ١٣ - ٢٥.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٦٠، ٦١.

فيسرع المؤمنون إلى اقتناص ما يجعلهم فائزين، ويعملون جادين مجتهدين.

ويعرض الله سبحانه وتعالى السبيل الذي يصل فيه المسلمون إلى الفلاح، وإرضاء الله، ليهرع إليه أصحابه المريدون له ﴿فَكَاتِذَا الْقُرُوءُ حَقَّةٌ وَالْمَسْكِينُ وَأَنَّ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) (١).

يهرعون، فيدفعون زكاة أموالهم وصدقاتهم لمن ذكرهم الله تعالى فينالون ما وعدهم من رضا وفلاح.

- وهذا سيدنا موسى وأخوه هارون يقدمان على فرعون، ويدعوانه إلى عبادة الله وحده، وترك البطر وادعاء الألوهية الكاذبة، فينكر عليهما ذلك، فيفجؤه موسى بالآيتين اللتين تبهرانه وأتباعه، فيدعي أن موسى ساحر، وأن أخاه يؤيده، وأنه سيبطل هذا السحر، فعنده من السحرة الكثير، ويضرب لموسى موعداً في يوم عيد للمصريين، فيمهله موسى إلى ذلك اليوم... فيغتتم فرعون المهلة، ويجمع السحرة والأعوان.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَنَّى﴾ (١٦) (٢).

﴿قَالُوا آتِجْهُ وَأَخَاهُ وَأَتَيْتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧) ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيَمِيقَ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) (٣).

حتى إن السحرة اغتتموا حاجة فرعون لهم، فطالبوه بمكاسب ووعدهم بتنفيذها، بل وعدهم بأكثر مما طلبوا ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لِأَجْرٍ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١) ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لِينَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٢) (٤).

- وهذا سيدنا يوسف عليه السلام في السجن، يأتيه رجلان، رأى كل منهما حلماً، يستفتيانه، فلم يجبهما ابتداءً، بل اغتتم فرصة حاجتهما إليه وإصغائهما

(١) سورة الروم، الآية: ٣٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٤١، ٤٢.

إليه، ودعاهما إلى الله تعالى، وعبادته، وتوحيده، ثم أفتاهما فيما عرضاه:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا بِنَاسِكُمْ يَأْتِيَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِتْرَافِيَةً وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

يَصَدِّحِي السِّجْنَ ءَأَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾

- وهذه ابنة الرجل الصالح ترى من موسى قوة وأمانة، وقلما تجتمع هاتان الصفتان في رجل. وأبوها بحاجة إلى مثله، يرعى مصالحهم، ويرعى الغنم، فطلبت إلى أبيها أن يستأجره، فهو مغنم يعز نظيره ﴿قَالَتْ إِحَدَيْهُمَا يَتَّابِتْ اسْتَنْجِرَةٌ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَنْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٤١﴾﴾^(٢) ففعل أبوها ذلك.

وفي سورة الكهف، في قصة موسى والرجل الصالح نجد:

أ - موسى يغتنم صحبة الرجل الذي آتاه الله رحمةً من عنده، وعلمه من لدنه علماً، فهو لا يتركه إلا أن يستفيد منه ما شاء الله له الاستفادة، فيصحبه في أعمال ثلاثة، ولا يفارقه إلا مضطراً.

ب - الرجل الصالح نفسه يحاول منذ البداية أن يعتذر عن صحبة موسى، لأنه لن يصبر عليه دون أن يعلم الأسباب الدافعة له في ما يفعل من أمر الله، وحين يجزبه ثلاث مرّات لا يصبر موسى فيها على قبول أفعال، لا يعرف لفعالها سبباً، يعلن الرجل الصالح وجوب الفراق،

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٧ - ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٦.

مغتتماً فرصة إخفاق موسى في التماسك دون سؤال إلى أن يخبره
الرجل حين يريد . . . فيفارقه . . .^(١)

ونظرة ممعنة في آيات القرآن الكريم تجعلك أيها الأخ العزيز قادراً
على الوقوف أمام عديد منها، توضح لك اغتنام الفرص، واقتناصها لتكون
من الناجحين الفائزين .



(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٨٢ .

إيصال الأمر إلى أهله

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُم لَحَافِظُونَ﴾^(١).

هو أعلم بما جاء به، فهو سبحانه صاحب القرآن ومنزله على رسوله الكريم ﷺ، وهو الذي يحفظه من التحريف والتبديل والتلف، والقادر على ذلك، وهو الذي يأمرنا - سبحانه - إذا غاب عنا أمرٌ من الأمور أن نلجأ إلى من هو عالم به، عارف بأحواله، عنده الحل عن دراية وخبرة.

ففي حالة المرض نلجأ إلى الطبيب لا إلى بائع الحليب.

وفي الرغبة في بناء منزل جديد نلجأ إلى المهندس ومقاول البناء، لا إلى المزارع وبائع الدبّاء.

وفي الأمور الشرعية - إن استغلق علينا فهم حكم شرعي - نستفتي العالم والفقهاء، لا الصانع والتاجر النبيه...

والقرآن كما علمنا ويعلمنا دائماً ينبه إلى إيصال الأمر إلى أهله فيقول: ﴿فَتَسَلَّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وليس المقصود بالذكر فقط الفقه والتفسير، والستة.. إنما يتجاوز إلى الأمور الحيوية والحياة المعيشية. وإن كانت الآية هنا تخصص هذه المقاصد لأن الحديث في هذه الآية عن الأنبياء وما يوحى إليهم.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

كما أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على رسوله ﷺ وعلمه كي يعلم الناس، ويوضح لهم هذا الدين ويشرحه، ليكونوا عارفين به عالمين، ويستطيعوا تطبيقه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤) (١).

والقرآن الكريم يحض المسلمين أن يسألوا العارفين بالبوطن والظواهر كي يعملوا على هدى وبصيرة. من أمثلة ذلك: ﴿وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (٢)، ﴿الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٣).

كما أن الإيمان يعتبر ناقصاً بل مفقوداً إذا احتكم المسلمون إلى غير كتاب الله، وغير رسول الله، وهذا الرسول الذي يبعثه الله معلماً ومرشداً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) (٤) وكيف يكون الحرج وأنت تسلم أمرك إلى المختص النبيه، صلة الوصل بيننا وبين صاحب التشريع جل شأنه؟!.

وإذا سألنا أنفسنا: لماذا يحتكم الناس إلى ربهم؟ فالجواب بدهي معروف، إنه العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء.

أ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

ب - وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ

ج - وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ

د - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

هـ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

و - إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) (٥).

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

وقد نعى القرآن الكريم على المدعين الإسلام إجحامهم عن طاعة رسول الله ﷺ وإيغالهم في الابتعاد عن الاحتكام إليه، فهذا ليس من شأن المسلم الصادق الإيمان، بل هو من شأن أهل الأفتدة الضعيفة والقلوب المريضة. فكيف نتعد عن النطاسي البارع، وييده الدواء الشافي، والعلاج الناجع؟! .

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْمَقْتُلُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ﴿٤٩﴾ أَلَيْسَ لِقُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ أَلْفَاهُوا ﴿٥٢﴾ (١).

ففي طاعة أهل الاختصاص وأولي الأمر، والاحتكام إليهم، والنزول على أحكامهم الصائبة، وتسليم الأمور لهم فوز أيما فوز، وفلاح أيما فلاح.

ومن الآيات الواضحة جداً في هذا الباب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَنَبِّئْهُ فَتُبَيِّنْ لَهُمْ أَن تَكُونَ مِمَّنْ جَاهِلِينَ فَتُضِلُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَذِيبِينَ ﴿١﴾

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ... ﴿٢﴾ .

فالمسلم المؤمن يسمع الخبر فلا يعجبه، لأنه مخالف للحقيقة، مجاف لها، هكذا يحسه بفطرته، فيتحرّاه، ويسأله عنه، حتى يتبينه على حقيقته،

(١) سورة النور، الآيات: ٤٦ - ٥٢.

(٢) سورة الحجرات، الآيات: ٦، ٧.

فلا يجوز اتخاذ القرار إلا بعد معرفة حيثيات الأمر، وإلا ظلم أقوام، وأوذي آخرون، وندم المسلم على عمل عمله دون البحث عنه وتحريه ومعرفته المعرفة التامة.

ومن الآيات الواضحة وضوحاً بيناً كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾^(١)

فالخبر يأتينا سواء كان مفرحاً أم محزنأ، مبشراً أم محذراً فينتشر خبره بين الناس انتشار النار في الهشيم، ولا يصل إلى أهل العلم والدراية إلا متأخراً وقد لا يصل، وكان أحرى بمن سمعه أول ما سمعه أن يحمله إليهم ليحللوه، ويتأكدوا منه، فإن كان إشاعة لبلبله الصف طوؤه، ومنعوا وصوله إلى العامة، وإن وصل إليهم وضح أهل العلم مقاصده الدنيئة، وحصنوا العامة من سوئه وسمومه، فضيعوا الفرصة على المغرضين، المصطادين في الماء العكر، وإن كان صحيحاً استعدوا له وحذروا الناس منه.

وكذلك يفعلون بالخبر الحسن.

وإلا يفعل المسلمون ذلك ينزلقوا إلى المستنقع الآسن، الذي أراده لهم أعداؤهم أن يقعوا فيه، وأراده الشيطان لهم أن يسقطوا في أوساخه وتعلق بهم أوشابه.

لكن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، وفضله عليهم نبيهم إلى ضرورة إيصال الأمر إلى أهله، فهم أولى به، وأقدر على التعامل معه.



(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

التزام الوقت

يدلُّ على أن صاحبه دقيق في عمله، ملتزم بأدائه في وقته، صادق في وعده، حريص على كسب ثقة الآخرين - وأخيراً - يعرف قيمة الوقت واستغلاله فيما ينفع، وضرره إن لم يستفد منه.

وقد قيل قديماً في التزام الوقت والاستفادة منه: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

والقرآن الكريم حافل بالآيات الشريفة التي تحضُّ على استغلال الزمن، وسباقه في الوصول إلى الهدف الصحيح، قبل أن يأتي وقت لا ينفع فيه الندم.

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون كله في أيام ستة، أرضه وسماؤه، وما بينهما فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) وكرر هذه الآية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط سبع مرات في كتابه الكريم، مع أنه سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الزمن في أفعاله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

فلماذا خلقهما في ستة أيام إذاً، وألزم نفسه هذا الزمن؟ أليس فعَلَ هذا ليعلم عباده التوقيت لكل أمر، والاستفادة منه وعدم تضييع الزمن الذي تمضي عقاربه إلى الأمام، ولا تعود أبداً إلى الوراء؟ بلى إنه ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩، وسورة السجدة، الآية: ٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) سورة العلق، الآية: ٥.

وعلى الرغم من أن الله سبحانه خالق الزمن والمتصرف فيه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١) فقد فرض على نفسه التزام الزمن كي لا يترك للكافرين والمشركين ثغرة للتخلص من عاقبة كفرهم وإشراكهم - فهو سبحانه - يوبخ الكافرين الضالين الذين لم يعرفوا قدر الله تعالى وعظمته. فهذا الكون العظيم من صنعه. فإلى أين يتيهون؟ ﴿قُلْ أَيْنَ يُتِيهِونَ إِذْ يَخْتَفُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئَيْسَابِلَيْنَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾

وهؤلاء الكفار يكذبون أنبياءهم، ويسخرون منهم، ومن تهديدهم بالعذاب، ويستعجلون العذاب الأبدي الذي واعدهم الأنبياء به، فهل يأتيهم العذاب سريعاً؟ لا فالله سبحانه وتعالى حدّد لهم يوماً لا مناص منه.

﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾^(٣)

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَأُولَآءِ أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ عَذَابِهِمْ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤)

والبشر هم الذين يغضبون ويفعلون فيطشون، ولكن الله الحليم - وإن غضب - يلتزم بالموعد الذي حدده لهم، وأنذرهم إياه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾^(٥) ولكن يؤخّرهم إلى أجلٍ مُّسَمًّى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان يعكاده بصيراً ﴿٢٥﴾^(٥)

(١) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ٩ - ١٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

والكفار يستفزّون الأنبياء ويصفونهم بالكذب، وإلا - على زعمهم - فلماذا لا يأتيهم العذاب أين هو ومتى يكون؟ فيجيبهم القرآن الإجابة نفسها ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩)

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقِيمُونَ ﴿٣٠﴾ (١).

ولهم أجل محدد يرجئون إليه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ (٢).

وتتجلى شدة الالتزام بالوقت في الآية الكريمة التالية: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

١ - فالغضب الشديد على الكفار واضح في الشرط لولا - حرف امتناع لوجود.

٢ - والشرط الموجد كلمة الله سبحانه بتحديد الساعة محققة الوجود.

٣ - فامتنع الجواب «لقضي بينهم» في الساعة التي يريد الكفار مستهزئين أن تأتيهم.

٤ - ولا بدّ من الانتظار إلى الأجل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى لمحاسبتهم وعقابهم.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه حذروا أقوامهم هذا اليوم الذي لا يمكن تأخيرها أبداً، وحثوهم على الإسراع بالإيمان بالله قبل حلول هذا اليوم الشديد الوطأة على الكافرين ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٤).

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ﴾ (٥).

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦١، وسورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٤.

(٤) سورة القمر، الآية: ٨.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٩، ١٠.

يقول سيدنا نوح عليه السلام: ﴿... يَقُولُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ
 أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَقِرُّ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
 إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾^(١) ولكن هل
 يعقلون؟ هل يراعون؟ هل يستمعون النصح والإرشاد؟.

فلنستمع إلى نوح يشكو إلى الله كفرهم وعنادهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
 قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
 جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيءِ إِذَاتِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾^(٢)

فإذا حلَّ ذلك اليوم الرهيب - نسأل الله العفو والعافية - ورأى هؤلاء
 المشركون مصيرهم المرعب نسوا أنهم أقسموا أنه ليس بعد الدنيا دار،
 وأنكروا البعث والنشور، فسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى الدنيا، ويؤخر
 عنهم العذاب، ولكن لا تغيير في الوعد، ويوم الحساب له ميعاد لا يخلفه
 الله سبحانه، إنما سينتقم فيه من المشركين الكافرين لا محالة.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ

فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَسَبِّحْ الرَّسُولَ
 أَوْلَمْ نَكُفِّرْكُمْ بِنِعْمَتِنَا مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَتُمْ فِي
 مَسَكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
 الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَرْزُلَ مِنْهُ
 الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُّخَلَّفَ وَعَدْوِهِ رُسُلُهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾^(٣)
 ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُّهْطِعِينَ مُّقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ

(١) سورة نوح، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٥ - ٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

إِنْتِهَمِ طَرَفَهُمْ وَأَقْبِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ (١).

إن الالتزام بالوقت، والعمل الجاد المتوازن، والإيمان الواعي المستنير يوصل إلى النجاة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا هناء، وسعادة، وسمعة حسنة، وفي الآخرة جنات النعيم، ورضوان من الله أكبر.



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

الاستبعاد

استبعد الشيء: عدّه بعيداً لا يكون.

وهذا أسلوب يتكرر في القرآن الكريم فيه شيء من التحدي والتعجيز، وشيء من الرفض والتأكيد، وفيه تهديد ووعيد وفيه استنكار وإثبات.

فإذا جمعنا هذا إلى ذلك وجدنا تدافعاً بين فريقين، كل منهما يحكم على شيء وينفي ضده... ولكن الحق يكون دائماً مع الله، الحق الذي ينبّه إلى العاقبة، ويخوف من النكران، ويحث على التزام الهدى والبعد عن الضلال.. أليس هو الله سبحانه مالك الملك وملك الملوك الذي شرّع فأوفى وحكم فعدل..؟!!

فقد سمح الله تعالى للرجال أن يتزوجوا من أربع نساء، لكنه نبّه إلى الطبيعة البشرية الضعيفة، التي لا يمكنها العدل بين النساء، فحذّر من الميل الشديد إلى بعضهن، وترك الأخريات معلقات ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَاتِ

وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾^(١)

وقد حرص النبي ﷺ على إيمان الناس جميعاً وأتعب نفسه في ذلك، وهنا ينبّه الله تعالى أن عليه البلاغ فلا يحزن لإعراضهم، فلو بذل كل شيء

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

ويضع نفسه فأكثرهم كافرون، ولن يستجيب له إلا من كتب الله له الهداية.
أما موتى القلوب فحسابهم عند الله تعالى.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَمْتِ أَنْ تَبْنِيْنَ فَنَقَا فِي الْأَرْضِ أَوْ
سَلَمَا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ﴾

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ

ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ (١).

واستبعد القرآن إيمان هؤلاء الذين يصمون آذانهم عن قول الحق،
ويغمضون أعينهم عن رؤيته، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ نَسُكُّهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾﴾

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ
أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ (٢).

﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدُنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (٣).

وهؤلاء المشركون لا يؤمنون بالنشور والبعث بعد الموت، ويستبعدونه
﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثَّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ (٤)، ويرد عليه القرآن:
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ (٥)، وإعادة الخلق

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة الحجر، الآيات: ١٥ - ١٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٦.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦٧.

أسهل من إيجاده من عدم، وكل شيء على الله سبحانه وتعالى هين.
 وحين أرسل الله تعالى سيدنا هوداً عليه السلام إلى قومه عاد كفروا به
 واستنكروا البعث بعد الموت فقالوا ساخرين:

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمُ إِنَّا لَنَخْسِرُونَ﴾ (٣٤)

﴿أَيُعَذِّبُ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا مَاتُوا وَعَظَلْنَا أَنَّهُمْ يُخْرَجُونَ﴾ (٣٥)

﴿هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٦)

إِنَّ هِيَ إِلَّا حَكَاةُ الَّذِينَ نَسُوا وَعَصَوْا وَمَا تَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ (١)، ﴿وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (٣٧) ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا تَحْنُ
 وَاَبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) (٢).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٩) (٣).

ولكن الساعة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُ عِنْدَ
 اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤٠) (٤).

وتأمل معي عناد الكافرين وشدة كفرهم حين يشتطون ويسخرون
 ويعاجزون ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا﴾ (٤١)

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَعَسَىٰ فَتُنَجِّرَ الْأَنْهَارَ جَلَلَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٤١)

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَا إِلَهِ وَالْمَلَكَةِ قَيْلًا﴾ (٤٢)

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ

أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كَنبًا نَقْرُؤُهُ

قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٤٣) (٥).

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٣٤ - ٣٧.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الملك، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ - ٩٣.

ومهما فعل الكافرون فمصيرهم بين يدي الله سبحانه لا فكاك لهم
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ﴾ (٥٩) ﴿١﴾ .

- وتصوّر الكافر حين يأتيه ملك الموت وهو في الغرغرة ويرى حوله
ما قيل له، فيوقن أنه ذاهب إلى النار لا محالة، فيطلب تأخير الموت
ليصلح ما أفسده - ولكن هيهات - فلكل أجل كتاب ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢) .

بل إن المؤمن العاصي الذي يرى أجله قد حان ولما يفعل من الخير
إلا القليل، يرغب أن يؤخر أجله ليعوض ما فات .

قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْوَعْدُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠)
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

وهل يغفر الله للمنافقين إن استغفر لهم المسلمون؟! بل إن استغفر
لهم الرسول ﷺ - اقرأ معي قوله سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) ﴿٤﴾ إنهم فسقوا وخرجوا من الإسلام،
فهم والكفار سواء .

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يستغفر لرأس المنافقين ابن سلول فنهاه الله
تعالى عن ذلك، فقال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) ﴿٥﴾ .

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤ .

(٣) سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١ .

(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٠ .

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨٠ .

فامتنع الرسول الكريم عن الاستغفار له وقال: «لو أعلم أن الله يغفر له إن استغفرت له أكثر من سبعين مرة لفعلت»، وليس المقصود من العدد السبعين هذا إلا لكثرة الدالة على عدم الغفران للمنافقين.

وهؤلاء الكفار لا غفران لهم كذلك، لأنهم صدوا عن دين الله، وأصروا على الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤) (١).

وهذا الكافر نفسه كأخيه المنافق يود العودة إلى الدنيا ليؤمن بالله، ويعمل صالحاً، فهل ينفعه ذلك؟ قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠) (٢).

﴿فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٤) (٣).

والله إنها لنهاية مأساوية ما بعدها من أسى، فالنار من نصيبهم صبروا أم لم يصبروا، وإن طلبوا من الله تعالى الرضا والصفح والغفران فلن ينالوا شيئاً، بل يقال لهم: ﴿... أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (٤)، اللهم نجنا من مصيرهم الأسود.

إن العذاب شديد، شديد، والمصيبة للكافرين والمنافقين والمشركين كبيرة، كبيرة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥٤) (٥).

وفي آية أخرى تزداد كلمة «ومثله معه» للدلالة على شدة العذاب الذي لا يوصف، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ

(١) سورة محمد (ﷺ)، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٤.

تَوَّاتٍ لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِۦٓ أُولَٰئِكَ هُمۡ سُوءَ الْحِسَابِ
وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلَّذِينَ تَلَٰٓذَرُوا ۖ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾ .

وانظر معي إلى الظالمين قبل أن يدخلوا النار وهي أمامهم - والعياذ بالله منها - يريدون النجاة منها والعودة إلى الدنيا ليعملوا غير الذي كانوا يعملونه، ثم بعد ذلك يعرضون عليها، وهم خائفون، أذلاء، ينظرون إليها بأطراف عيونهم لأنها مرعبة، ثم ينجو المؤمنون فرحين بنجاتهم.

إن الخسارة الحقيقية ليست خسارة الأموال والدور، وما يملكه الإنسان، إنما هي خسارة النفس ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَرْدٍ مِنْ بَعْدِهِۦٓ وَتَرَى الْفٰلِغِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ۚ﴾ ﴿٤٤﴾ وَتَرٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خٰشِعِينَ مِنَ الذَّلٰلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٍّ

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخٰشِعِينَ الَّذِينَ خٰسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ

أَلَا إِنَّ الْفٰلِغِينَ فِي عَذَابٍ مُّقَبَرٍ ﴿٤٥﴾ ﴿٢﴾ .

ولذلك نجد الكافر يتحسر على ما فات ويود لو يتخلص من العذاب ولو كان يملك ملء الأرض ذهباً لدفعه راجياً خلاصه... ولكن ما من خلاص ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قِيلٌ إِلَّا الْأَرْضُ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٣﴾ .

فإذا كان الأمر هكذا، لا نجاة للكافر والمنافق من العذاب أفلا يعقل الإنسان ويرعوي ويصطلح مع الله... أم على قلوب أفعالها؟!

يا إليه العالمينا يا مجيب السائلينا
هب لنا منك نجاة وثباتاً وبقينا

(١) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

رَبِّ جُمِّلْنَا بِفَضْلِ وَاهْدِنَا دُنْيَا وَدِينَنَا
رَبِّ وَفَقِّنَا لِحَيْرِ وَاغْرِسْ الْإِيمَانَ فِيْنَا
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ



دحض الافتراء

العقل هبة من الله سبحانه وتعالى لبني البشر لأنه فضلهم على كثير ممن خلق، فلما كانوا أصحاب عقول وجب عليهم أن يفكروا بها التفكير السليم ولا يتبعوا أهواءهم، فالأهواء حجب تغطي العقل وتشده إلى البهيمية.

والمشركون والكفار اتبعوا هذه الأهواء التي تنأى بصاحبها عن الحق، وتزين له الباطل، فيصدر أحكاماً ليس لها من الحقيقة نصيب، ويدعون ما ليس بصحيح، ويزنون لأنفسهم ولمن تبعهم أنهم قد أصابوا كبد الحقيقة، والحقيقة أمامهم، لكنهم لا يرونها، أو يتعامون عنها.

والقرآن الكريم يورد كثيراً من افتراءاتهم ويبين تفاهتها وسفاهتها بقول محكم تتجلى فيه الفكرة المقنعة، والبرهان الساطع أو السخرية اللاذعة... فهلم إلى آي القرآن نقف على بعض منها.

- فالكفار يرمون رسول الله ﷺ بالكذب والافتراء على الله حين يقرأ عليهم القرآن. فكيف جاء رد القرآن الكريم على دعواهم الكاذبة هذه؟ قال تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْتَهُ؟!!﴾

أ - قُلْ إِنْ أَفَرَّغْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ

كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

ب - قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنَ الرَّسُلِ

وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ

إِن أَنجِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

ج - قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ

فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتَ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ (١)

... فالرّد كان على ثلاثة مراحل:

الأولى: أن الله تعالى يعاقبه إن كان مفترياً عليه، ولا تقدرّون أنتم على ردّ عذابه، فكيف أفترّيه وأدعيه لأجلكم وأتعرض لعقابه؟ أنتم تقولون سحر وشعر وغير ذلك من الطعن، فالله شهيد على صدق دعوتي وخسّن تبليغي، ويشهد عليكم بالجحود والنكران، فإن عدتم وآمنتم فهو يتوب عليكم ويرحمكم.

الثانية: لست أول رسول جاء الناس بما جئتُ به، فلأي شيء تنكرون عليّ؟ ولا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم، فأنا متبع لا مبتدع، ونذير لكم من عذاب الله.

الثالثة: أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن من عند الله حقاً وكذبتُم به، كيف يكون حالكم؟، ولقد عرف أحد علماء بني إسرائيل صدقي، فأمن بالقرآن، وكفرتُم أنتم. ألستم أضل الناس وأظلمهم؟.

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٨ - ١٠.

إنه رد رائع سد عليهم مسالك افتراءهم.

- ويعود الكفار إلى التكذيب ورمي الصادق الأمين بالافتراء على الله، مدعين أن القرآن صنعه رسول الله ﷺ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَّهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾^(١).

والجواب المفحم يتضمّن ما يلي:

- ١ - أنتم عرب فصحاء مشهود لكم بالبلاغة فهاتوا عشر سور مفتريات كما فعل محمد - على زعمكم -.
- ٢ - استعينوا بكل إنسي وجني إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن من عند غير الله.
- ٣ - إذا لم تستطيعوا أن تفعلوا ذلك فاعلموا أن رسول الله بشر مثلكم، لا يستطيع ذلك، وما يقرؤه عليكم كلام الله سبحانه وتعالى.
- ٤ - والعاقل من يسلم حين يرى الحق ساطعاً واضحاً.

- بل إنهم يدعون أن رومياً علمه القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾﴾^(٢).

روى ابن إسحاق أنه كان في مكة فتى أعجمي قرب الصفا يبيع بعض السلع البسيطة يمر عليه الرسول ﷺ كما يمر عليه الناس، ويكلمه كما يكلمه الآخرون، ولم يكن هذا الأعجمي ليتكلم من العربية سوى كلمات وجمل لا يكاد بينها، ولا يحسن نطقها... ادعى كفار مكة أنه علم النبي ﷺ القرآن والحكمة!!.

(١) سورة هود، الآيات: ١٣، ١٤.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٠٣ - ١٠٥.

وعلى الرغم من أن هذا الادعاء لا وزن له إلا أنه ينبغي أن نشير إليه راديين على تخرصات المشركين:

١ - لو كان هذا الغلام ذا حكمة وفهم ما وضع نفسه في الموضوع الذي هو فيه، يمر عليه الجميع من كبار وصغار، وينظر الكثير منهم إليه نظرة ازدراء.

٢ - أتى لهذا الفتى أن يعلم رسول الله ﷺ القرآن والحكمة على فرض وجودها عنده، وأداة التعليم واللغة وحسن البيان ليست فيه! وفاقد الشيء لا يعطيه!؟...

٣ - كان أخرى بهذا الأعجمي الذي اتصف بالعلم والحكمة - على حد قول الكفار - أن ينسب القرآن إلى نفسه، فيفخر بذلك على أهل مكة ومن حولها ويتبوأ فيهم مركز الصدارة، لا خانة النسيان!!.

٤ - لم تكاسل هؤلاء جميعاً فلم يتعلموا منه - إن صح زعمهم - فأفادوا واستفادوا، ونافسوا محمداً ﷺ في دعوته!!؟.

٥ - وعلى فرض أنه ﷺ - حسب ادعائهم - تعلم من ذلك الفتى الأعجمي القرآن والحكمة، ثم صاغ ذلك بأسلوب عربي مبین - أما كان أهل قريش - وهم أفصح العرب، أن يصوغوا الأفكار بقلب سام من البلاغة شأنهم شأن النبي ﷺ!!؟.

لقد تحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا... فأحرى بهم أن يصدقوا أنه كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ.

- قال تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُضِلُّونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (١)

فهم:

(١) سورة النحل، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

- ١ - يقسمون بالله والعجيب أن الذي يقسمون به يكذبهم سبحانه.
- ٢ - ويؤكدون أن الميت لا يبعث.
- ٣ - وسبحانه قد وعد - ووعدته حق - أنهم سيبعثون، فمن أصدق قولاً؟! إنه الله جلّ وعلا.
- ٤ - البعث لأمرين اثنين:

أ - ليوضح لهم ما اختلفوا فيه.

ب - ليدفعهم بكذبهم وافترائهم على الله ورسوله إلى جهنم، وبئس المصير.

- وبعض الفاسقين الجلاوزة بل كلهم يأمرون الناس بالكفر، ويدعون أنهم يحملون عنهم العذاب في الآخرة - إن كان هناك يوم بعث ونشور -

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ

وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٣﴾

وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ

وَلَيْسَ لَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١٤﴾ (١).

فمن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

- ويقول تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا ﴿٤٦﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ (٢).

وكلنا يعلم ما يفعل الشركاء بعضهم ببعض من الدسائس والمكر

وسعيهم إلى إقصاء من يستطيعون إقصاءه.

- ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُّونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَتُولَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُّهَا وَمَا وَرَدُّهَا وَكُلٌّ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفُرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ (٣).

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٩٨ - ١٠٠.

فهل هذه الآلهة تدفع عنها هذه النار المحرقة!!؟.

ويقول سبحانه مؤكداً الفكرة نفسها:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا

وَهُمْ يُخْلَقُونَ

وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٢﴾ (١).

فلماذا هم إذا آلهة إن كانوا ضعافاً محكومين!!؟.

- ويتعجب الكفار أن يكون الرسول بشراً ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَسْبِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا

﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَظْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ

إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ (٢).

فيرد الله تعالى عليهم ببساطة متناهية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَسْبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٣).

- ومن العجيب أن صفاة الكفار لا تقف عند حد، فهم يدعون أن

الملائكة إناث. وأن الله أمرهم بعبادتها، ولو شاء ما استطاعوا عبادتها!!

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا

أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَّكِبُ سَهَدَتْهُمْ وَسُئِلُونَ ﴿١٩﴾

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ

مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

أَمْ ءَأْتَيْنَاكُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَمُهَيِّئُوا إِلَيْنَا بُرْهَانَ مِمَّا قَالُوا ۚ ﴿٢١﴾
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ سَبِيلٍ مَّا نَحْنُ بِمَبْشُرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴿١﴾

فيسخر الله تعالى منهم حين يسألهم هل حضرتهم خلق الملائكة فرأيتموهم إناثاً؟! إن الملائكة ستكتب شهادتكم، ويوم القيامة تحاسبون عليها. وهل أنزلنا عليهم كتاباً يقول مثل هذه التخرصات؟! لا، بل إنهم رأوا آباءهم ضالين فسلكوا طريق الضلال هذا..

- والعجيب أنهم ينسبون إلى الله الخالق ما لا يرضونه لأنفسهم، فهم يكرهون الإناث، ويحزنون إن رزقوا بهن، وينكفئون إلى بيوتهم خجلاً أن يسمعوا أحداً أو يشير إليهم أحد أنهم رزقوا بنات، وقد يسعون إلى دفنهن أحياء، ويجعلون الملائكة إناثاً وينسبوهن إلى الله بنات.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾
 وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ
 أَيُمْسِكُ عَلَيْهُ هُمُورٌ أَوْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ
 أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ﴿٢﴾

وأخيراً وليس آخراً، فالرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب فمن أين له أن يتعلم.. إن القرآن من عند الله سبحانه، لا شك..

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَلُوتُوا مِن قَبْلِهِ ۚ مِن كِتَابٍ
 وَلَا تَحْطَمُ يَمِينُكُمْ ۗ
 إِذَا لَازَبَابِ الْمُبْطَلُونَ ﴿٤٨﴾
 بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٢) سورة النحل، الآيات: ٥٧ - ٥٩.

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ (٢)

إذاً، فالقرآن يعلمنا أن نكون واعين نردُّ على الافتراءات التي ينشرها الأعداء هنا وهناك - ابتغاء التشكيك والطمع - بطرق واضحة ودليل بين.



(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١).

فمن دعا الله تعالى فقد لجأ إليه، ونزله ببابه، واتكل عليه، وأظهر عجزه بين يديه، وتقبله الله وقضى حوائجه، وأزال عنه همه وغمه، وأبدله مكانهما فرحاً وسعادة، أما العتلُّ الجواز المستكبر فليس له إلا النار يصلها، والجحيم يتسعرها، لأنه استعلى وتكبر.

والدعاء مخ العبادة، بل هو العبادة نفسها، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» (٢).

وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يتقبل دعاءه ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٣).

كما أن الدعاء يُتقبل حين يكون صاحبه مخلصاً لله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤).

ويوم القيامة يفرح المؤمنون حين يعلمون أن الله استجاب لدعائهم

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٤.

حين التجأوا إليه في الدنيا.. يقول أهل الجنة معترفين بفضله سبحانه: ﴿إِنَّا
كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْكَبِيرُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

إنك حين تدعو لنفسك تشعر بالأمن والأمان، والهدوء والاطمئنان.

وحين تدعو لذريتك وأهلك تنزل البركات عليهم، ويحوظهم الله
برعايته.

وحين تدعو للمسلمين تزداد أواصر الحب، وتنمو الصلوات، وتنتشر
المودة.

وحين تدعو على أعداء الله وأعدائك تتفتح السماء بنصرك عليهم،
وتتزلزل الأرض من تحت أقدامهم.

ولنا في السلف الصالح خير قدوة وأفضل أسوة.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو للبلد الحرام وأهله، قال تعالى:
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَايِطِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ يَا اللَّهُ
وَالْآخِرُ الْآخِرُ﴾ (٢).

ثم تراه وابنه إسماعيل عليهما السلام، وهما يرفعان قواعد البيت يدعوان
لنفسيهما ولذريتهما، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

كما أن عباد الرحمن يسألون الله تعالى أن يحفظهم في أزواجهم
وذرياتهم ويجعلهم قدوة لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٥).

(١) سورة الطور، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

ثم انظر إلى برد الراحة وسمو النفس حين يقف الإنسان في رحاب الله يسأله ما لا يُسأل غيره سبحانه، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

- وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يرى التقوى في مريم البتول، فتتحرك نفسه شوقاً إلى ولد صالح يخلفه، فيضرع إلى الله بالدعاء، أن يرزقه الولد الذي تقرُّ به عينه فيأتيه الجواب سريعاً.. سبحانه الله ما أسرع فضله وأكرم عطاءه ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَادَّأَّهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٢).

أما حواريو عيسى عليه السلام فيرفعون أياديهم إلى المولى يسألونه رفع درجاتهم ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (٣).

وأولو الألباب أصحاب القلوب الحية تسبح أفكارهم في ملكوت الله، فيرون الجمال، ويرون الحق في كل ما تقع عليه عيونهم، وتصل إليه عقولهم، وتشعر به قلوبهم فيسألون الله العفو والمغفرة والنجاة من النار، والكرامة يوم القيامة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦١﴾

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٦٢﴾

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَأَعْرِفْنَا لَنَا ذُنُوبَنَا وَكُفْرَنَا وَعَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعَهْدَ ﴿١٩٤﴾ ﴿١﴾

فكان الجواب على الفور نازلاً من السماء بالإيجاب قائلاً: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾ ﴿٢﴾.

ونبئى الله يوسف عليه السلام يرى النساء المترفات يدعونه إلى طاعة المرأة الماكرة في الفحشاء فيأوي إلى ركن الله المتين يسأله حفظه وصونه ﴿... وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣﴾، فيستجيب الله فيصرف عنه كيدهن... ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٤﴾.

والقرآن الكريم مليء بآيات الدعاء التي تربط الإنسان ومصيره بربه سبحانه وتعالى، وتدله على الطريق الصحيح الموصل إلى رضاه ومغفرته، وحين يتصل الإنسان بخالقه يدعو له كل مخلوق، ويحبه ويعظم في عينه. هذه ملائكة الرحمن تدعو لك أيها المسلم.. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

أ - يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

ب - وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

ج - وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

د - رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١ - ١٩٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٤.

هـ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾

و - وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتُ وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (١)

أرأيت إلى هذا الدعاء المتكامل الشامل لصنوف الخيرات؟! .

فإذا التجأت إلى الله من ظلم الأعداء وبطشهم وفسادهم أجابك سريعاً لأنه يراك وجهادك في سبيله، واستقامتك على شرعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ (٢)، فيقول الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

ثم انظر معي إلى دعاء سيدنا نوح على الكافرين واستجابة الله سبحانه له: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ (٤).

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (٥).



(١) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(٤) سورة نوح، الآيات: ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآيات: ٧٦، ٧٧.

أسلوب القص «القصّة»

للقصّة تأثير كبير في نفس متلقيها، لما فيها من تدرّج في سرد الأخبار، وتشويق في عرض الأفكار وطرحها ممزوجة بعاطفة إنسانية.

وهي تعتمد على الحوار والنقاش الداخلي حيناً، والخارجي حيناً آخر، وتصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث، بإطار يمنع الذهن من التشتت وراء الأحداث، وتدرج من موقف إلى آخر تجذب السامع والقارئ إلى التفاعل معها، والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره، ويندمج فيها فتصل به إلى نقطة التآزم «العقدة» ثم تنحل شيئاً فشيئاً.. وتكون «نقطة التنوير» في الأحداث الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي، وينقله إلى حالة الهدوء والانتظام أو اتخاذ الموقف الإنساني.. نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث^(١).

والقرآن الكريم استخدم الأسلوب القصصي إذ رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف.

فالقصة في القرآن الكريم:

١ - الله سبحانه وتعالى [راويها]. [فهي حقيقة واقعة لا ريب فيها] على عكس ما زعمه من يُدعى «عميد الأدب العربي» حيث زعم في قصة إبراهيم عليه السلام أنها زُوِيَتْ في القرآن على سبيل العبرة والعظة لا على سبيل الحقيقة في الوجود!! يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

(١) من كتاب التربية النبوية ص ١٤.

إِلَّا اللَّهُ ﴿١﴾، ويقول جلّ وعلا في أهل الكهف: ﴿تَمَنُّ نَفْسُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢﴾، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْصُرُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿٣﴾.

ففي الآيات الثلاث يؤكد صاحب العزّة والجبروت أن ما يقصّه حقّ، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال؟! وهل بعد الحقّ إلا الضلال في أوام المخرّصين؟!.

٢ - والله تعالى يقص [أفضل القصص وأحسنها] «للفائدة والعبرة» لا ليتمتع بها «أهل الفنّ للفنّ» إن القصة تأتي:

أ - لغرس مبدأ وفكرة.

ب - وتثبيت عمل صالح.

ج - ونشر فضيلة.

د - ودعوة إلى حقّ وهدى.

قال تعالى: ﴿تَمَنُّ نَفْسُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ ﴿٤﴾.

﴿فَأَقْصِبِ الْفَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٦.

(٦) سورة هود، الآية: ١٢٠.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ (١)

٣ - وهي في مادتها تنحو تجاه وحدانية الله وطاعته والعمل بشريعته، وقصد رضوان الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. قال تعالى: ﴿يَنْمَشِرَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ الرَّءْيَاكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّهَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١٣٦) ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفُورُونَ﴾ (١٣٧) (٢)

وقال أيضاً: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦) (٣)

٤ - وهي أنواع عدة في شخوصها. فنحن نرى:

أ - قصص الأنبياء وأقوامهم - قوم نوح - عاد قوم هود - ثمود قوم صالح - إسرائيل وموسى - اليهود وعيسى - داوود وجالوت.

وهذه - على سبيل المثال - قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتله ابن أخيه ليرثه، فكشفه الله تعالى أمام قومه لينال جزاءه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

قالوا: أَلَنَنُحْدِنَا هَؤُلَاءِ

قال: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٧)

قالوا: أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا

تُؤْمَرُونَ﴾ (١٨)

قالوا: أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٣٠، ١٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٣٥، ٣٦.

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْثَهَا تَسْرُ النَّظِيرِ ﴿٦٦﴾

قالوا: قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٥﴾

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا

قالوا: أَلَتْنِ جِنَّتٍ بِالْحَقِّ

فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٦﴾ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُعْطَى اللَّهُ الْمَوْتِ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ (١)

ومن الفوائد في هذه القصة:

أ - قوله: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ تنبيه على أن الاستهزاء بأمر الدين جهل كبير.

ب - قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ خطاب موجه إلى اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وقد جرى هذا الأسلوب المعروف في مخاطبة الأقسام، إذ ينسب إلى الخلف ما فعل السلف، إذا كانوا سائرين على نهجهم، راضين بفعلهم، وفيه تقريع وتوبيخ للغابرين والحاضرين منهم.

ج - واقعة قتل النفس هذه جرت قبل أمرهم بذبح البقرة وإن وردت في الذكر بعده، والسر في ذلك التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة.

د - التكرار في التقريع والتوبيخ لتكرار سوء أديهم في عدة أمور:

أولها: أنهم استهزأوا برسول الله موسى عليه السلام ﴿الَّتَخَذْنَا هُرُوقًا﴾

(١) سورة البقرة، الآيات: ٦٧ - ٧٣.

ثانيها: ما ضيقوه على أنفسهم في اختيار البقرة، فضيق الله عليهم.

ثالثها: العودة إلى الهزء بالرسول الكريم في قولهم: ﴿الْتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ إذاً فهو على زعم المغضوب عليهم لم يكن يأتي سابقاً بالحق!!

رابعها: عدم الكشف عن القاتل، ومداراته، ومحاولة إخفاء جريمته.

هـ - التأكيد على إحياء الموتى بطريقة حسية ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعْجِبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزْجِمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَلِمَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣).

ولا بد في كل قصة كما أسلفنا من فوائد، وعظات، وعبر، جاءت السورة لأجلها.

ب - قصص الصالحين كقصة مريم عليها السلام وزوجة فرعون، ورجل من آل فرعون، والرجل الصالح في سورة يس.

أما قصة الرجل الصالح فتدل على عميق إيمانه، فلم يخف من قول الحق وعضد رُسل الله، ودعا إلى اتباعهم، وأعلن كلمة التوحيد، فقتلوه فكانت الجنة مثواه رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١) ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢) ﴿أَتَأْتُونَ آلِهَةً إِلَّا الْهَيْكَةَ إِن يَرُدِّنَ الرَّحْمَنُ بَصُرًا لَا تَعْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُقَدِّونَ﴾ (٢٣) ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) ﴿إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ (٢٥) ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٧) (١).

ومن الفوائد في هذه القصة:

- ١ - الإسراع إلى نصرته الحق ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾
- ٢ - مهما قل العدد فإنه يفيد في نصرته الحق . . رجل [واحد].

(١) سورة يس، الآيات: ٢٠ - ٢٧.

٣ - إعلان كلمة الحق وذلك في اتباع المرسلين المهتدين الذين لا يريدون أجراً إنما عند الله ثوابهم.

٤ - لا تجوز عبادة أحدٍ سوى الله الذي خلقَ وأمات، وإليه المعاد.

٥ - لا يُعْبَدُ إلا مَنْ بيده الأمر، فهو يعطي ويمنع، ويضّر وينفع.

٦ - أيُّ إشراك بالله إجحاف بحقه في الألوهية - سبحانه - وظلم للنفس.

٧ - المسلم داعية إلى الله، يُسْمِعُ الناس كلمة الحق ﴿فَأَسْمَعُونَ﴾.

٨ - دخول الجنة وغفران الله تعالى الربح العظيم والفوز الكبير.

٩ - لا يحقد المسلم على أحد حتى على الذين قتلوه بل يطلب لهم الهداية كما اهتدى، والنجاة كما نجا، والفوز كما فاز: ﴿بَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

١٠ - التحبب إلى الناس ﴿يَنْقُورُ﴾ لإشعارهم أنك منهم، تريد لهم الخير.

ج - قصص الأنبياء والصالحين، ومنها: قصة - موسى والخضر - وموسى والرجل الصالح في مدين الذي زوجه ابنته^(١) وقصة ذي القرنين.

أما موسى عليه السلام فقد ظن أنه أعلم الناس في زمانه لأنه النبي الوحيد - إذ ذلك - من أولي العزم، فنبهه الله إلى أن هناك مَنْ هو أعلم منه، فرغب عليه السلام أن يقابله ليتعلم منه، فبدأت القصة: قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ^(٢) لَأَبْرِحَ حَتَّىٰ أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾﴾

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

(١) على قول أنه - صاحب مدين - ليس نبياً.

(٢) هو سيدنا يوشع بن نون الذي استلم الراية بعده وقاتل الكفار، وتوقفت الشمس عن الغياب حين دعا وهو يحاربهم حتى انتصر فغابت.

قال: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ

فَأَرْتَدَّا عَلَيَّ ءَاتَاهُمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنَّ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنِّي عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

قال له موسى: هَلْ أَتَيْكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا

قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَوْ تُحِطُ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٨﴾

قال: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا

قال: قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا

قال^(١): أَخْرَقَهَا لِنُفْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا^(٢)

قال: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قال: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسرًا فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آفَئَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴿٣﴾

قال: أَفَتَلَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا

قال: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قال: إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ أَنْتَطَعَمَ أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ

قال: قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

قال: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُرِيدُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

(١) القائل موسى.

(٢) الإمر من الشيء: العجيب المنكر، العظيم.

(٣) قتله الرجل الصالح (الخضر).

أ - أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

ب - وَأَمَّا الْعَلَمَةُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا زَنْجًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

ج - وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا فَآرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾^(١).

والفوائد في هذه القصة جمّة وفيرة نذكر منها:

- ١ - أن يلتزم الإنسان - مهما علا قدره وارتفع - حده.
- ٢ - الإصرار على حيازة العلم، «لا أبرح... أو أمضي حقبا».
- ٣ - الترتيب الجيد للسفر، من تهيئة الطعام، ومعرفة الغاية من سفره، ومكان الوصول، ومن تلتقي، ومن تصاحب في سفرك....
- ٤ - قدرة الله تعالى أحيت الحوت المشوي، فانطلق في الماء مبتعداً.
- ٥ - الاعتراف بالنقص حين طلب الطعام، وكأنه شعر بالجوع بعد السفر وأن الله تعالى كان يعلمه فآثر العودة.
- ٦ - الأدب في نسبة النسيان إلى الشيطان، أما الله تعالى فهو يُذَكَّر بالخير.
- ٧ - سمات عباد الله، آتيانه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً.
- ٨ - إذا اتخذ الله ولياً لم يتركه جاهلاً، إنما علمه «العلم اللدني».
- ٩ - الصبر على طلب العلم واحتمال المعلم، والتلطف به.
- ١٠ - من شروط تحصيل العلم: الصبر، وطاعة المعلم.
- ١١ - كل أمر بمشيئة الله سبحانه ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) انظر: سورة الكهف، الآيات: ٦٠ - ٨٢.

١٢ - توضيح الأمور للمتعلم قبل أن يفارق أستاذه.

١٣ - أن تنسب العلم والأمر كله لله سبحانه ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾

١٤ - التأدب مع الله حين جعل الخضر خرق السفينة من عمله وإن كان الله تعالى قد أمره وكذلك قتل الغلام.. أما بناء الجدار فقال فيه: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ فجعل ذلك من الله.

د - قصص التائبين: ومنها قصص أصحاب الجنة، وسحرة فرعون، وأصحاب الأخدود.

ونقف عند سحرة فرعون الذين ظنوا سحرهم يقف أمام آيات الله الباهرات، فلما عينوا قدرة الله عرفوا أنفسهم، فسجدوا لله، وآمنوا بموسى عليه السلام، فهددهم فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فكان صبرهم أوفى دليل على صدق إيمانهم... قال تعالى:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْفُورُونَ ﴿١١﴾

قال: رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَصِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

قال: كَلَّا فَأَذْهَبَا بِمَا نَبِئْنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾

قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ۗ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ۗ

قال: قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ ؟

قال فرعون: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ ۗ

قال: رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّكُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

قال لمن حوله: أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾

قال: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾

قال: إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٧﴾

قال: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

قال: لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهُهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

قال: أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشَوْءٍ مُّيِّنٍ ﴿٣٠﴾

قَالَ فَاتِّبِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّيِّنٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَدُوهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

قال للملأ حوله: إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلَيْكُمْ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

قَالُوا: أَرْجِهْ وَأَحَاهُ وَابْتَغِ فِي الدّٰئِنِ حٰشِيُونَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ

عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجِئِعَ السّٰحِرَةُ لِيَقْتَبِ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنّٰسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لَمَلْنَا نَبْنِئُ السّٰحِرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السّٰحِرَةُ

قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِينَ ﴿٤١﴾

قال: نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾

قال لهم موسى: أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُمْ وَعَصَبِيَهُمْ

وقالوا: بَعْرَةٌ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السّٰحِرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾

قالوا: ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

قال: ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ حِلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

قالوا: لَا ضَيْرٌ لِّنَا إِنْ كُنَّا مُّسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ

كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴿١﴾

ومن الفوائد في هذه القصة:

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ١٠ - ٥١.

- ١ - أن الله رحيم بعباده يرسل إليهم الأنبياء يدلونهم إلى طريق الهدى والسداد.
- ٢ - معية الله لأنبيائه والداعين إلى سبيله.
- ٣ - قوله: ﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ بالمفرد وهما اثنان دليل على وحدة الهدف.
- ٤ - استهزاء المشركين بالرسول والدعاة، والمنُّ بما يكون ولا يكون.
- ٥ - الاعتراف بالذنب، والإقرار بالتوبة، وجواز الفرار من الكفار في حالة الضعف.
- ٦ - الإقرار بفضل الله ومنه وكرمه.. ﴿فَوَهَّبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٧ - الرسالة فضل من الله تعالى، وكذلك الإيمان يثبت الله به قلوب الدعاة.
- ٨ - رفض الظلم والعبودية، فالله تعالى خلق الناس أحراراً.
- ٩ - على الدعاة أن يبلِّغوا رسالة ربهم على الرغم من المعوقات، والإرجاف والتهديد.
- ١٠ - الاستعلاء على الدنيا واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في العسر واليسر.
- ١١ - الاتهامات التي يطلقها أهل الكفر على الدعاة واحدة [سحر، جنون...].
- ١٢ - البطانة الفاسدة المترفة عون للحاكم الفاسد على التماذي في الظلم.
- ١٣ - الحاكم الظالم يستهين بكل شيء، ليثبت أركان ملكه. ويبدل المال وغيره في سبيل ذلك.
- ١٤ - انتصار الحق على الباطل نهاية المطاف. والحق منتصر، لا بدَّ ولو بعد حين.
- ١٥ - يصل إلى الإيمان أصحاب العقول، وذوو الفطن والنباهة.

١٦ - يجعل الإيمان الحق أهله أقوياء، لا يهابون الموت في سبيله، ويتحملون المصائب والمحن.

هـ - قصص الكفار والمفسدين، ومنها قصص - إبليس والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، قصص الكفار في النار وحوارهم...

و «بلعام بن باعوراء» رجل من اليهود أرسله موسى إلى «مدين» داعياً إلى الله، وكان بلعام عنده اسم الله الأعظم، فرشاه الملك على أن يعطيه الملك، فبترك دين موسى، ففعل وضل، واستحوذ عليه الشيطان حتى جعله في زمرة الكافرين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين.. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الضَّٰلِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرَ ٱلْكَذٰبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايٰتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايٰتِنَا وَٱنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾^(١).

ومن الفوائد في هذه القصة:

- ١ - قد يضل المؤمن وإن بلغ من الهداية مبلغاً إن اتبع هواه نسأل الله الثبات على الإيمان.
- ٢ - لا يرضى الشيطان من ابن آدم إلا الكفر، فهو يسعى جاهداً إلى ذلك، والمؤمن يستعيد دائماً بالله من الشيطان الرجيم.
- ٣ - التعبير بالانسلاخ دليل على الخروج من الإيمان كلية بعد أن كان بينهما كمال الاتصال.
- ٤ - فمثله كمثل الكلب، دلالة على السوء الذي يعيشه من غوى على علم، فهو ضالّ سواء حمل علماً أم بقي جاهلاً..
- ٥ - هذه القصة دفع للمؤمن أن يعزو فضل الإيمان لله تعالى لا لنفسه.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥ - ١٧٧.

٦ - مَنْ آمَنَ فَقَدْ أَسْعَدَ نَفْسَهُ، وَمَنْ كَفَرَ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهَا.

٥ - طريقة عرض القصة في القرآن الكريم:

أ - قد تجيء القصة كاملة مفصلة في سورة كبيرة اختصت بها، كقصة يوسف عليه السلام في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر.

ب - وقد تأتي كاملة مختصرة في سورة صغيرة الحجم، كقصة أصحاب الأخدود في سورة البروج.

ج - وقد تأتي في سور عديدة موزعة حسب الهدف الذي جاءت أجزاء القصة موضحة له كقصص سائر الأنبياء الكرام: آدم، نوح، إبراهيم، هود، صالح، موسى....

٦ - بناء القصة في القرآن:

أ - بعض السور جاءت بطريقة السرد، ومثالها قصة نوح عليه السلام في الجزء التاسع والعشرين، وقصة الذي انسلخ من اسم الله الأعظم، وقصة آدم في سورة البقرة....

ب - وبعضها جاءت بطريقة الحوار، ومثالها ما رأيناه في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة موسى وفرعون والسحرة، وقصة مريم عليها السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام وقومه، والنمرود....

ج - وبعضها جاءت تحمل في أسلوبها السرد والحوار معاً كقصة سيدنا يوسف عليه السلام، ومَنْ سَأَلَ عَنْ قَرِينِهِ الَّذِي كَادَ أَنْ يَغْوِيَهُ لَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّهِ بِهِ^(١).

د - وبعضها جاءت مسرحية حوارية كقصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام في سورة الأعراف^(٢) وكقصة موسى عليه السلام في السورة نفسها^(٣).

(١) انظر: سورة الصافات، الآيات: ٥ - ٦١.

(٢) انظر: سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ - ٩٣.

(٣) انظر: سورة الأعراف، الآيات: ١٠٣ - ١٥٦.

٧ - زمان القصة في القرآن ومكانها:

أ - قصص حدثت في الزمان الماضي على هذه الأرض كقصص الأنبياء الكرام وأقوامهم، والصالحين، والتائبين، والمفسدين. . وقد مرّت أمثلة عليها.

ب - قصص ستحدث في المستقبل، يعلم الله سبحانه أنها ستكون، فقصّها علينا سبحانه، وكأنها حصلت لتكون العبرة أبلغ والفكرة أوضح فمثالها هذه القصة القصيرة: ﴿هَذَا وَاتَّكَ لِلظَّالِمِينَ لَسْرٌ مِّنْ مَّنَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسُ إِلَهَادٌ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَضَائِقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوَجٌّ مُّغْتَجِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا يَوْمَ إِتْمَمْتُمْ صَلَواتِ النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ بِكُرْ مَرْجَا يَوْمَ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا صَاعِقًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ (١).

وهذه القصة القصيرة أيضاً: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٦﴾ يَقُولُ أَؤُنَّكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبْتِئِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ (٢).

(١) سورة ص، الآيات: ٥٥ - ٦٤.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥٠ - ٦١.

أراد الله تعالى له السعادة، فلم يتبع صاحبه الكافر، وانطلق في ركب
المؤمنين الأطهار، فكانت الجنة مثواه.

وهكذا كانت القصة في القرآن أسلوباً تربوياً رفيعاً أفادت معلومات
وأرشدت إلى خير، وشوّقت إلى عبرة وعظة، ودفعت إلى التأسى بالصالحين
والسير على منوالهم، والتفكير السليم والتصرف الصحيح.



الحوار

أسلوب راق في التربية له فوائد كثيرة منها:

- ١ - أنك تسمع حديثاً فيه آراء وحجج يدلي بها المتحاورون، ليبرهن كل منهم على صواب ما يرتثيه.
 - ٢ - أن الحوار يشري السامع أو القارئ أو الرائي بأفكار تطرح أمامه بالحجة والبرهان، فيعتاد التفكير السليم والأسلوب القويم.
 - ٣ - أن الحوار أثبت في النفس، لأن السامع يُشغل أكثر من حاسة في تفهم أبعاد الحوار ومرامييه.
 - ٤ - وقد يكون الحوار بين أصليين مختلفين، كالإيمان والكفر وقد يكون في أمر واحد وفكر واحد، فيه دقائق وتفاصيل ثري معلومات السامع، وتعلمه الدقة في الاستنتاج والطرح.
- والقرآن الكريم يستعمل أسلوب الحوار بكثرة، فما تقرأ سورة إلا والحوار عماد فيها، وأساس من أسسها.

فمن أمثلة الحوار تخاصم أهل النار.. يدخل فوج جديد من أهل النار في النار، فيقول المجرمون الذين سبقوهم إليها بعضهم لبعض:

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَدِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَاَ بِهِمْ إِنَّمَا صَلَّوْا النَّارَ ﴿٥٩﴾﴾

قالوا: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ

وقالوا: رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا عَذَابًا وَضِعْفًا فِي النَّارِ

وقالوا: مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّمْ مِنَ الْأَشْرَارِ!! أَتَخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ
رَأَيْتَ عَنْهُمْ الْأَبْصُرُ ﴿٦٣﴾

إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ (١)

وما نزال نسمع حوار أهل النار بعضهم مع بعض، ودخول الملائكة
الحوار بالحجة والبينة:

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾

فيقول الضعفاء للذين استكبروا: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ
عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

وقال الذين في النار لخزنة جهنم: ادْعُوا رَبِّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ
الْعَذَابِ

قالوا «الملائكة»: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

قالوا: بَلَىٰ

قالوا: فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٥﴾ (٢)

فالملائكة إذاً تنبههم أن لا فائدة من الدعاء، فقد استنفذ الظالمون
فُرْصَتَهُمْ.

- وتأمل الحجة البينة التي يطرحها سيدنا إبراهيم على قومه في هذا
الحوار

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قالوا: نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا مِنْ سَمَوَاتِنَا عُنُقِينَ

قال: هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ أَوْ يَبْصُرُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧١﴾

(١) انظر: سورة ص، الآيات: ٥٩ - ٦٤.

(٢) انظر: سورة غافر، الآيات: ٤٧ - ٥٠.

قالوا: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

أ - الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

ب - وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

ج - وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

د - وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

هـ - وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لِي خَلْقِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴿١﴾

فحجتهم نافهة.. لقد رأوا آباؤهم يعبدون الأصنام، ففعلوا مثلهم دون تفكير، أما سيدنا إبراهيم فهو يعبد ربه لفضله العميم عليه.. وذكر بعض هذا الفصل.

- واسمع هذا الحوار بين الله تعالى وإبليس المطرود من رحمته لعصيانه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلٰٓصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٧٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سٰٓجِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا إِبٰٓلِيسَ أَبٰٓءَ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

قال: يٰٓإِبٰٓلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٨٢﴾

قال: لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدْ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلٰٓصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٨٣﴾

قال: فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا فِرْعٰٓنَ رَجِيْمًا ﴿٨٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ يَوْمَ الَّذِيْنَ ﴿٨٥﴾

قال: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨٦﴾

قال: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٨﴾

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ٧٠ - ٨٢.

قال: رَبِّ يَا أَعْيُنِي لِأَزِيَّتَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٤﴾

قال: هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا
مَنْ أَتَعَكَ مِنَ الْفَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ (١)

فأنت ترى في هذا الحوار أمر الله سبحانه الذي يجب على المأمور به أن يقول سمعت وأطعت، وبذلك تتحقق العبودية لله، أما المتمرد فحجته داحضة عند ربه، فلا يُشرف المرء بالمادة التي خلق منها، إنما يشرف بطاعة الله عز وجل، وامتنال أمره.

ونجد هذه المحاوراة تقريباً بألفاظها في سورة الأعراف الآيات [١١] مع بعض التغييرات المناسبة للنص القرآني.

- أما اليهود والنصارى فيدعون الزلفى إلى الله تعالى، ومحبته عز وجل إياهم، فيأمر الله تعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم، إنه سيعذبكم بفسادكم وهل يعذب الحبيب حبيبه!! ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ.....﴾ (٢)

ولو قرأت بإمعان سورة هود لرأيت حواراً دائراً بين أنبياء الله وأقوامهم.

أ - الأنبياء يدعون إلى الله تعالى .

ب - وأقوامهم يكفرون ويشركون به .

فالحوار في هذه السورة في الآيات [٢٥ - ٣٤] بين نوح وقومه .

وفي الآيات [٨٥ - ٩٤] بين شعيب وقومه أهل مدين .

وفي الآيات [٥٠ - ٦٠] بين هود وقومه عاد .

(١) انظر: سورة الحجر، الآيات: ٢٨ - ٤٣ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨ .

وفي الآيات [٦١ - ٦٥] بين صالح وقومه ثمود.

وفي الآيات [٧٧ - ٨٠] بين لوط وقومه.

والنتيجة واحدة.. يصمُّ الكفار آذانهم فينزل بهم العقاب الأليم..

- بل إنك لتجد قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الشعراء، تبدأ من نداء الله سبحانه وتعالى له في الآية العاشرة بشكل حوارى منتظم، فيأمره أن يذهب إلى فرعون، فيدعوه إلى الإسلام، فيعتذر أنه قتل من قوم فرعون رجلاً قد يقتلونه به، كما أنَّ لسانه ألثغ. فيطمئنه رب العزة إلى أنه سبحانه معه، فلا يخف وسيكون هارون عليه السلام المتكلم معه، ثم نرى موسى عليه السلام يجادل فرعون ويظهر له الآيتين:

أ - إلقاء العصا فتقلب حية تسعى.

ب - إدخال يده في جيبه فتخرج بيضاء لامة.

ثم يلتقي بالسحرة فيغلبهم، فيؤمنون به غير هتابين بطش فرعون وإيذاءه، ثم يسري موسى بقومه نحو البحر الأحمر، ويلحق بهم فرعون وجنوده، لكنَّ الله يفتح لهم طريقاً في البحر فينجون، ويغرق فرعون ومن معه.. وينتهي هذا الحوار القصصي في الآية الثامنة والستين.

إنه أسلوب يشد انتباه القارئ، فيستغرق في المشهد، ويندمج فيه، فكأنه واحد منهم، يرى ويسمع، ويلمس، ويندهش، ويخاف، ويفرح...

- كما أنك تجد الحوار بين موسى عليه السلام وعدو الله فرعون في سورة الأعراف، الآيات [١٠٣ - ١٢٩]، وفي سورة يونس، الآيات [٧٥ - ٨٦].

وتأمل هذا الحوار بين جبريل عليه السلام ومريم العذراء التي رآته داخلاً عليها، فخافت واستعادت بالله منه أن يمسه بسوء:

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْهُ مِنْ دُونِهِمْ جَبَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

قالت: إِنْ أُوذِيَ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

قال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

قالت: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

قال: قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ (١)

حوار (هاديء منفعل) فالهدوء من الملك الكريم جبريل، القادم بأمر من الله تعالى إلى مريم، والانفعال من السيدة العذراء، والمرأة الشريفة التي استغربت أن تحمل المرأة دون زوج:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

فناداها من تحتها: أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَوَى إِلَيْكَ جِنَعِ النَّخْلَةِ سَلْقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا مَا تَوَنَّى مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ قَالَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ

قالوا: يَمْزِيغُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْفًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَكْأَخْتِ هَهُنَا مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ

قالوا: كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

قال: إِنْ عِبُدُ اللَّهِ عَاتَلَنِي الْكَتِبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ (٢)

(١) انظر: سورة مريم ١٦ - ٢١.

(٢) انظر: سورة مريم، الآيات: ٢٢ - ٣٣.

حوار قائم بين استغراب القوم، ووجومهم وتعجبهم... هذا الحوار صادق، لكنّه معبّر عن المعجزة التي ألجمتهم، فبهتوا، ويبن ذلك الطفل النبي الذي أنطقه الله، فدافع عن أمه، وبرأها، وقطع السنة المفترين، وأعلن نبوته وكرامته على الله.

إنك لتقف معجباً بإيمان تلك المرأة بالله وثقتها به سبحانه، والرضا بقضائه، وتأثر باتهامات الناس إياها، وحاشاها أن تزلّ فهي العذراء البتول الشريفة، وتهتز سروراً بإجابة ذلك الطفل المبارك الذي كان عوناً لوالدته في محنتها، مبرئاً ساحتها، معلناً أنه رسول الله القادم إليهم، الرافع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

- وتأمل هؤلاء المشركين في هذه اللقطة الحوارية الصغيرة التي تنبئ عن الموقف المهين لهم يوم الحشر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾^(١).

بل إن هول الموقف أنساهم ما كانوا غارقين فيه من الكذب والضلال.

- وانظر إلى الموقف المخيف، والجواب المفزع، الذي يقض الأركان، ويكسر الظهور.

- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ

- قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟

- قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا

- قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾... ﴿٢٤﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٠.

فالحوار إذاً يوضح الصورة، ويجلو الفكرة، ويقرب المعنى بأسلوب شائق.

ولا بأس أن تراجع الحوار بين يوسف وإخوته في سورة يوسف بعد الآية السبعين، والحوار بين إبراهيم وقومه في سورة الأنبياء في الآيات [٥١ - ٧٠]، وحواره في سورة الشعراء في الآيات [٦٩ - ٧٧].

وستجد في رياض القرآن الكريم كثيراً من الحوار، رزقنا الله وإياك الفهم، إنه سميع مجيب.



التصوير

هو من الأساليب الراقية في التربية، فالإنسان روح وفكر وقلب.. وهو كذلك عين وسمع وذوق، ولمس وشم.

فهو معنوي ومادي بآن واحد فإذا عجز أحياناً عن الوصول إلى الفكرة الشفافة ذهنياً وصل إليها مادةً وحساً، والمهم أن يصل إلى المعلومة، وتتركز في ذهنه، ويتفاعل معها.

وهذا الأسلوب الرفيع يتخذه الأدباء للسمو ببيانهم، ويحتاج إليه الرجل العامي البسيط، كما يحتاج إليه الرجل المثقف العليم لأغراض عديدة منها.

١ - توضيح الفكرة والصورة، فالتصوير يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً.

٢ - التأثير في النفس:

- «فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس، وأعظم وأهزَّ للعطف^(١)، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأسير على الألسن وأذكّر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

- وإن كان ذمّاً كان مسه أوجع، وميسمه الذع^(٢) ووقعه أشدّ، وحده أحدّ.

(١) العطف: الجانب. هزّ عطفه: هزّ جانبيه زهواً.

(٢) الميسم: الآلة التي يكوى بها. ولذع: نفخ وأخرق.

- وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أنهر.
- وإن كان افتخاراً كان شأوه^(١) أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد^(٢).
- وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب^(٣)، وللسخائم أسل^(٤)، ولغزب الغضب أفل^(٥).
- وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر^(٦).

وإني لأعجب ممن ادعى أن التصوير عند العرب لا يتجاوز أن يكون تصويراً جزئياً، وحسبه أنه تشبيه شيء بشيء، ليس في ذلك روح بل ترى فيه السطحية والصورة الجامدة. . ويدعي أن الحياة في الصورة لم تظهر في الأدب العربي إلا في العصور الأدبية الحديثة، التي اعتمدت على الألفاظ المتناسقة التي تحمل في طياتها الألوان المتعددة والحركة الدائبة، والأصوات المتتابعة.

وشبهوا الصور عند العرب باللقطات الفوتوغرافية الجامدة، والصور الحديثة التي استقاها الأدباء العرب، من الأدب الغربي في العصر الحديث، بالصورة التلفزيونية الدقيقة المتحركة الحيوية!!.

ولا أدري كيف يستسيغ من يسمي نفسه أديباً، أن يردد كالبغاوات دون تفكير، ولا فهم مقولات لا تمت إلى الحقيقة بصلة. . فما هو القرآن الكريم حافل - بشكل كثيف ملفت للنظر - بالصور الممتدة ذات الظلال والإيحاءات، وقلّ أن تمرّ سورة دون أن ترى فيها الكثير منها.

(١) شأوه: أمده وعائبه.

(٢) ألد: أشد.

(٣) خلبه: فتنه.

(٤) أسل: أكثر نزعاً واستحراجاً. والسخيمة: الضغينة.

(٥) غرب السيف: حده. فلّ حدّ السيف: ثلمه، فالاعتذار يضعف من حدة الغضب.

(٦) أسرار البلاغة للجرجاني ص ٩٢ - ٩٦ عن كتاب البلاغة العربية - علم البيان - للدكتور بكري شيخ أمين.

ولن نستعرض هذه الصور كلها، فهي تقتضي الشهور والأيام الطوال..

وحسبنا أن نلّم بها لنوضح أثرها في المتلقي، سواء كان قارئاً أو مستمعاً.

- فهؤلاء المنافقون دخل الإيمان إلى قلوبهم، لكنهم استحبوا الكفر على الإيمان واشتروا الضلالة بالهدى، فذهب الله بنور الإيمان الذي تركوه هم ورجبوا عنه، فعاشوا في ظلام دامس وحيرة الشك، والكفر والنفاق لا يهتدون إلى سبيل خير، ولا يعرفون طريق النجاة. قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧).

صورة رائعة معبرة عن حياة المنافقين، فهم: يزداد الظلام في قلوبهم وعقولهم أكثر من الكافرين أنفسهم، وتصوّز معي رجلاً يمشي في ظلام اعتاد عليه، ورجلاً كان يمشي في نور، فانطفأ هذا النور، وحلّ محله الظلام الدامس.. أيهما يكون الظلام أشدّ على نفسه؟.. نسأل الله الثبات على الإيمان.

- وهاك مثالاً آخر يصف تردد المنافقين وشكهم وحيرتهم، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرِقٌّ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حُدَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يَكَادُ الزَّبْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠).

فالمنافقون في حيرتهم وترددهم كمثل قوم أصابهم مطر شديد، أظلمت له الأرض، وأرعدت له السماء، مصحوبٌ بالبرق والرعد والصواعق، والظلمة الداجية، فأصابتهم الدهشة والفرع، فوضعوا أصابعهم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٩، ٢٠.

في آذانهم كي لا يسمعوا الرعد ولا صوت الصواعق، يحسبون أنهم في فعلهم هذا ينجون من الموت والهلاك، يلمع البرق حيناً لمعاناً شديداً يكاد يذهب بأبصارهم، فهم يغتتمون هذا الضوء فيسيرون خطوات على هديه، وإذا اختفى البرق وعادت الظلمة أشدّ وقفوا عن مسيرهم، وثبتوا في أماكنهم خشية التردّي في الحفر العميقة.

إنها صورة توضح الحالة المتردية للمنافقين المتخبطين في حياتهم لا يدرون ما يفعلون...

أما الذين يتصدّقون ويزكون ابتغاء رضوان الله تعالى، فلهم ثواب من الله كبير، وحسبهم أن الله تعالى يقبل منهم صدقاتهم، وينميها لهم نماءً عجيباً تنمّ عنه هذه الصورة الرائعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) (١).

- ١ - حبة قمح استقرت في أرض النماء فتفتقت منها سنابل سبع.
- ٢ - حملت هذه السنابل السبع، كل واحدة منها مئة حبة.
- ٣ - الحبة الوحيدة بعثتها الله سبحانه وتعالى، فردّها إليك سبع مئة ضعف.
- ٤ - كرم الله الواسع قد يجعلها أضعافاً مضاعفة، وجود الله لا يحده حدّ.
- ٥ - لا تبخل أيها المسلم بالشيء القليل لأنّه يكون بإذن الله كثيراً...

- قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٣١) (٢).

وتعال معي نستوضح هذه الصورة، علّها تكون دافعاً إلى الإيمان بالله، والإيمان بيوم القيامة:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣١.

- ١ - الكفار يسخرون من الرسل إذ أنذروهم يوم القيامة، وحسابهم فيه.
 - ٢ - وإذا هم في هذا اليوم الذي يكذبونه جاءهم فجأة فعلموا أنهم خاسرون.
 - ٣ - الحسرة والندامة والخوف تسيطر عليهم فقد آذنوا بالويل والثبور، جزاء وفاقاً فقد ضيعوا أعمالهم في الدنيا فخابوا وخسروا.
 - ٤ - يحملون آثامهم على ظهورهم على أقبح صورة.
 - ٥ - ما أسوأ أن تكون النهاية حمل الذنوب، ثم الوقوع في نار جهنم.
- إنها صورة واضحة جلية ترتعد لها أفئدة ذوي الألباب أصحاب الفهم.
- وهذه صورة أخرى توضح استحالة العفو عنهم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ لَمْ يَنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾^(١).
- ١ - الكفار كذبوا بآيات الله تعالى على الرغم من وضوحها، واستكبروا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها، وهذا في الدنيا.
 - ٢ - فإذا كان هذا عملهم فلا عمل صالحاً لهم يرتفع إلى السماء، إنما يصعد إليه سبحانه الكلم الطيب، وإذا قبضت أرواحهم لا تفتح لهم أبواب السماء.
 - ٣ - هل يدخل الجمل الضخم في ثقب الإبرة.. كلا وحاشا.. فهم كذلك في جهنم، هي مأواهم.
 - ٤ - وتصوّر أيها الأخ الأريب اللبيب أن الضيف يكرمه صاحب البيت، إذ يقدم له فراشاً وثيراً وغطاءً دافئاً، لكن هؤلاء المجرمين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم واستكبارهم، جعلت النار فرشهم وأعطيتهم، فأى هوان بعد هذا!!.. نسأل المولى حسن الختام.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٤٠، ٤١.

- وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ
النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمْ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ (١).

صورة فيها حركة جيش قريش الذي خرج إلى بدر عاتياً متكبراً، طالباً
للفخر والثناء، حيث قال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، فنقيم
فيها ثلاثاً.. نشرب فيها الخمر، وننحر الجزور «الإبل» وتعزف علينا القيان
وتسمع بنا العرب، فلا تزال تهابنا أبداً.. ونقتل المسلمين فنستأصل
شأفتهم، وندفن هذا الدين في صحراء الموت والفناء...

وهذا إبليس اللعين يحسن لهم الشرك، والأعمال القبيحة، ويحضنهم
على حرب الرسول الكريم ﷺ، وأصحابه الكرام البررة، ويعلن أنه
سيساعدهم في قتالهم المسلمين ونبئهم..

واحتدم القتال ونزلت الملائكة لنصرة المسلمين، فولى الشيطان هارباً،
فلما سأله المشركون إنفاذ عهده، وتمسكوا به، تفلت منهم صغيراً مدحوراً
مغتاضاً حقيراً، وهرب وهو يقول: إني أرى ما لا ترون.. إني أخاف الله..
ولو كان يخافه ما عصاه، ولكنه رأى الملائكة فخاف منهم ولاذ بالفرار..
فهذه الصورة وضحت أن النصر للحق وجنده، وأن وسائل التشويش
والإرجاف لا تثبت أمامه، وأن العاقبة للمتقين.

- إذا عاش الإنسان في وهم وسراب ثم عرف أنه كان مخطئاً، حاول
تصحيح مساره، فماذا يفعل إذا لم يحس بخطئه إلا يوم الحساب، حين
تصفعه الحقيقة، ولا يرى مناصاً من العقاب.. العقاب الأليم...

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ
وَشُرَكَائِكُمْ فزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا آتَانَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٨﴾ فَكَفَى لِلَّهِ شَهِيدًا

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٤٧، ٤٨.

يَسْتَنَّا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا ﴿٢٩﴾ (١).

الصورة واضحة أمامنا، ترىنا:

- ١ - الناس بادىء الأمر محشورين مؤمنهم وكافرهم.
 - ٢ - يفرق بين المؤمنين والكافرين.
 - ٣ - يحشر الكافرون مع آلهتهم المزعومة، لتصفعهم الحقيقة المرة.
 - ٤ - ينطق الله الأوثان فتقول للمشركين: ما شعرنا أنكم كنتم تعبدوننا وما أمرناكم بعبادتنا، فنحن لا نسمع ولا نعقل ولا نبصر، والله شهيد على ما نقول.
- ما أضلّ من اتبع هواه، وأغلق عقله، وغاص في وحل الشرك والكفر...!

- وتصور الرعد بصوته الذي يملأ الدنيا، ويجلجل في الآفاق، ويلقي الخوف في نفوس الناس، ما هو إلا تسبيح لله ذي الجلال، وحمد له سبحانه، وثناء عليه جلّ جلاله، هذه الأصوات التي لا نفهم حقيقتها دلّ عليها القرآن، ونبّهنا إلى أن التسبيح صادر مما لا يعقل، أفليس الأحرى بمن يعقل أن يسبح بحمد الله ويشني عليه، قال تعالى: ﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (٢) ...

- ثم التفت إلى أبواب الجنة.. إنها مشرعة يدخل منها المؤمنون إلى مأواهم، الدائم نعيمه المتنامي خيرُه، معهم آباؤهم وزوجاتهم، وأبنائهم الذين اتبعوهم بإيمان. وها هم الملائكة يسلمون عليهم مهنيين بسلامة الوصول إليها، وما أعظمها من فرحة بالوصول إلى دار الأمان والسعادة!، فالصبر على المكاره وعلى أداء الحقوق والعمل بما يرضي الله تعالى جعلهم أهلاً لجنات الله والخلود فيها ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

(١) سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٣.

وَأَرْجَاهُمْ وَذَرَبْتَنَّهُمْ وَالْمَلَائِكَةَ بَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾ (١)

- الجبابة المتغطرسون لهم الدنيا يتفرعون فيها، بين أيديهم ما يريدون، ولهم ما لذ وطاب من شراب وطعام ولذة حرام.. فماذا لهم في الآخرة؟ يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ رَأْيِهِ جَهَنَّمَ وُتُفَى مِنْ مَاءٍ صٰكِدٍ ﴿١٦﴾ يَنْجَرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُمْ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ وَمِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ (٢)

إنهم خاسرون وهل ترى أشدَّ خسارة ممن خسر نفسه في جهنم المحرقة؟ شرابه قيح ودم، يتلعه مرة إثر مرة، كارهاً إياه لمرارته، لا يكاد يستسيغه لقبحه، ولكن لا مفر، فليس في جهنم غيره، تأتيه كل أسباب الموت وتحيط به كل الجهات، ولكنه لا يموت فليس هناك سوى العذاب الشديد. فهل يشتري الإنسان لذة عابرة في دنياه الفانية، ويبيع سعادة غامرة في حياة دائمة في جنات الله ورضوانه؟!.

- هؤلاء الكفار فيهم صفات إنسانية تدعوهم إلى أعمال فيها خير، يتمثل بالصدقة، وصلة الرحم، وغير ذلك.. يأخذون أجرها في الدنيا فقط أما في الآخرة فليس لهم إلا النار، فلا ينال المحسن أجره في الآخرة إلا إذا كان مؤمناً بالله، موحداً.. فإذا وقف الكافر أمام ربه فقدم أعماله تلك لم يجدها شيئاً.. قال الله تعالى يصور الخيبة في نفوس هؤلاء: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

أ - أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا

ب - أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

ج - لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ

(١) سورة الرعد، الآيات: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ - ١٧.

د - ذَالِك هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ... ﴿١﴾ .

ضاع كل شيء، لأن هذه الأعمال لم تكن قائمة على أساس متين من التقوى، والإيمان بالله سبحانه.

- وتابع معي هذه الصورة المخيفة الرهيبة، قال تعالى:

﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾

سَرَاسِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ

وَتَقَشَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴿٢﴾ .

١ - فالكفار مجرمون أجرموا بحق أنفسهم، وأجرموا بحق الله تعالى، فهم والشياطين سواء، يقترون بعضهم إلى بعض بالقيود والأغلال، أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم... منظر لا أذل منه.

٢ - ثيابهم التي يلبسونها من قَطْرَانٍ، وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار، تُطلى به الإبل الجربى فيحرقُ الجربُ بحرّه وحدته، وهو أسود اللون متن الرائحة.

٣ - وهذه النار تندفع إليهم، فتعلو وجوههم، وتحيط بهم، وتحرقهم ثم تحرقهم، ثم تحرقهم.. اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ.

- أما يوم القيامة، وشدته، وهوله، فحدث عنه ولا حرج، إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نتقيّه حتى يرحمنا إذا جاء هذا اليوم المخيف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا

أ - تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

ب - وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ،

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

ج - وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ

د - وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾

ما الذي جعل الأم تنسى وليدها على غير عاداتها، على الرغم من حبها الشديد إياه وتفضيله على نفسها؟

ما الذي يَشُدُّه المرأة فينزلق الجنين من أحشائها إلى الأرض، لا تشعر

به؟

لماذا يترنح الناس غير قادرين على الوقوف والثبات؟ أهم سكارى؟

والجواب: لا ليس هذا وذاك، إنما أهوال الساعة وشدائدها أطارت عقولهم، فذهلت المرأة عن رضيعها، وأسقطت المرأة حملها، وتمايل الناس مشدوهين.. لمثل هذا فليحذر الحاذرون.

- هل رأيت أعضاء الإنسان تتكلم وتنبئ عما فعل صاحبها من المناكير التي يندى لها الجبين؟.. طبعاً إنك ستقول لا. أما يوم القيامة، يوم الحساب فسيكرر هذا كثيراً حين يقف الفسقة الكفرة أمام الله سبحانه، فيقررهم بذنوبهم فينكرون، ولا يعترفون بشهادة الملكين، ولا بما كتبه ولا بأقوال الآخرين، فيقول الله تعالى لهم: ألا ترضون أن تشهد عليكم أعضاءكم؟ فيقولون - ظانين النجاة - بلى يا رب.

فيأمر الله تعالى الفم بالسكوت فيسكت، والأعضاء بالكلام فتتكلم، وتقول العينان: بنا يا رب كان ينظر إلى المحرمات.

وتقول اليدان: بنا يا رب كان يبطش بالضعفاء، ويتناول ما حرّمته.

وتقول القدمان: بنا يا رب كان يسير إلى أماكن الفحشاء والفساد.

وتقول الأذنان: بنا يا رب كان يسمع كلمات الفجور و... .

وتشهد عليه أعضاءه فيقول لها الرب سبحانه أصمتن فيصمتن..

ويقول الله تعالى له: كفى بنفسك عليك حسياً.

(١) سورة الحج، الآية: ٢.

ويُلقي هذا المجرم في النار، وهو يوبخ أعضائه: [مِنَ أَجْلِكَ كُنْتُ أَنَاضِلٌ..] قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يُؤْمِدُ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ (١).

إنها لوحة تصويرية واضحة المعالم فيها موقف تأباه النفس الكريمة، ويعافه المسلم لأن الصدق مع الله والعمل بما يرضيه، غاية ما يسعى إليه الذكي الألمي.

- أما هذه الصورة فإنها تشع بالضياء والنور، فقد سمي الله نفسه نوراً وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، ومنه نور السموات والأرض ونور كل شيء.. ولكن كيف نقرب إلى الأفهام حقيقة هذا النور؟ إن المشبه به أقوى من المشبه، يوضحه ويجلوه للأفهام، ويقربه للعقول، والمشبه هنا أقوى من المشبه به..!!.

ولكن لا بأس، فالنور المبهر لا يراه الأعشى، فلنصفه له بما هو دونه كي يعرفه.. وهذا هو الإنسان ضعيف، قاصر، فليدُنْ منه نورُ ربه ذي الجلال بما يوافقه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ

أ - كَشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

ب - الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ

ج - الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

د - يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ

هـ - نُورٌ عَلَى نُورٍ

و - يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ

ز - وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ (٢).

(١) سورة النور، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

فإذا كان هذا مثال نوره فكيف يكون نوره سبحانه؟

وإذا كان الله نور السموات والأرض أفلا نستنير بنوره؟!؟

وإذا كنا نعيش في هذه الدنيا بنور من نوره أفلا نسعى إلى رضاه
والجنة لنرى نوره هناك بلا حجاب؟!؟.

اللهم أنت النور فهب لنا من لدنك النور... آمين...

- وتعال نستعرض مراحل الخلق خطوة خطوة في هذه الآية المعجزة،

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

أ - مِّن تُّرَابٍ [خلق آدم أينا]

ب - ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ [الماء القليل الذي ينطف من صلب الرجل]

ج - ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ [الدم الجامد الذي يشبه العلقة التي تظهر حول
الأحواض]

د - ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ [قطعة من اللحم بمقدار ما يمضغ] مُخَلَّقَةٍ [واضحة
الخلقة فيها الرأس واليدان والرجلان...] وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ [ما تزال قطعة
من اللحم لم يظهر منها شيء]

هـ - لِنَسِيبٍ لَّكُمْ [خلقناكم على هذا النموذج البديع لتظهر أسرار قدرتنا]

و - وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى [الجنين الذي يبدأ بالتكامل]

ز - ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً [ضعيفاً في بدنه وسمعه وبصره وحواسه]

ح - ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ [فتصبحون رجالاً أشداء في قواكم وعقولكم]

ط - وَمِنكُمْ مَّن يُمُوتُ [في ريعان شبابه وعنفوان قوته]

ي - وَمِنكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَيْنَا أَعْمُرًا [فيصل إلى الشيخوخة والضعف]

ك - لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴿١﴾ [فيعود إلى ما كان عليه من

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

ضعف، وقلة فهم، وسخافة عقل، فينسى ما علمه، وينكر ما عرفه].

إنها تدرج في الخلق من التراب إلى النطفة.. فيعلو حتى يصير رجلاً مكتملاً ثم يبدأ الانحدار.. إلى النهاية.. إنها صورة متحركة مرتبة المراحل تترك أثراً في نفس المشاهد.. بل توضح له أن الحياة يحكمها منظم قدير.. لا تخفى عليه خافية.. سبحانه.

- وإليك صورة الندم والحسرة لرجل كان يعيش جاراً لرسول الله ﷺ فلم يؤمن به، وناصبه العدا، وتبع كافراً فضله في الصحبة على الصادق الأمين محمد ﷺ، لقد فارقه في الدنيا، فلما جاء يوم القيامة علم أنه أخطأ، ورأى إكرام الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين. أما الكفرة الفاسقون وهو وصديقه الذي اختاره فهم في نار جهنم يصلونها وهنا يشعر الكافر بالإحباط الشديد والخسارة اليئسة، فهو يعضُّ أصابعه ندماً حيث لا ينفع الندم وينادي متألماً: ﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبَلًا يَا بُولَقَى لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا حَلِيلًا﴾ (١)، لماذا أيها الرجل؟ قال والحسرة تأكل قلبه: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾ (٢).

صورة اعتمدت على تعابير الوجه البائس، والكلمة الحزينة، وعض الأصابع.

- وصورة أخرى مثلها واضحة مكانها: أ - خارج النار، ب - داخل النار.

حديثها: الملائكة تلوم المجرمين، والمجرمون يلومون أنفسهم، ويلومون آلهتهم المزعومة، ويتمنون العودة إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ولكن هيهات.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١)

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٩.

وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّىٰ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟!

هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ ؟!

فَكَبَّكُرُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَارُونَ ﴿٩٤﴾ وَحُودٌ إِلَّا يَلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾

إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّيَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾

قَلَوْا أَنْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَكُرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ (١)

حركتها: طرحهم في النار منكبين على وجوههم، لا ناصر لهم ولا

معين.

خاتمها: اتخاذ العبرة والعظة، وطاعة الله تعالى للنجاة من النار

وعذابها.

- أما قارون فقد آتاه الله المال الكثير فلم يعمل به في مرضاة الله إنما

أنكر أن هذا الرزق من عند الله، ونسب إلى نفسه الرزق وكفر بأنعم الله...

ثم خرج في موكب استعراضه يمشي بأنفه متكبراً متغترساً، وحوله

أتباعه، والناس قسمان:

الأول: يتمنى أن يكون له مثل ما لقارون - يا لهول ما عنده... -

كان هؤلاء ضعاف الإيمان، خدعتهم الدنيا ببريقها.

الثاني: العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة لم يأبهوا لمتاع الدنيا

الزائف، وقاموا ينبهون القسم الأول إلى حقارة الدنيا وتفاهتها..

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٩١ - ١٠٣.

وفجأة غارت الأرض بقارون ومن معه في داره الواسعة الفخمة، كأنهم لم يكونوا.. وانتبه القسم الأول إلى هذه النهاية المفجعة، فتابوا إلى الله وأتابوا، وعلموا أن الدنيا زائلة، وأن الكافرين لا ينجحون في الدنيا ولا في الآخرة.. قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ

قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلَّهِ كَاثِرُونَ

إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ

تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾

فَسَفَّنا بِهِ وَيَدَارِو الْأَرْضَ

فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتْحٍ يَنْصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنْصِرِينَ ﴿٨١﴾

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ

وَيَسْأَلُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ

لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا

وَيَكْفُرُوا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾... ﴿١﴾.

فهل يرعوي المتجربون، ويعرفون مقدارهم، ويشكرون الله على نعمائه؟ وهل يعلم ضعفاء الإيمان أن العيش عيش الآخرة، وأن الدنيا متاع؟

- ويصور الله تعالى غزوة الخندق تصويراً دقيقاً يجعلنا نعيش مع رسول الله ﷺ وأصحابه الشدة التي عانوها والابتلاء الذي وقعوا فيه،

(١) انظر: سورة القصص، الآيات: ٧٩ - ٨٢.

والحالة النفسية للمنافقين الذين بدأوا يهربون إلى بيوتهم، ويتمنون لو كانوا بعيدين عن المدينة، يسمعون من المسافرين أخبارها، ولو طلب إليهم أن ينضموا إلى الكفار ويقاتلوا المسلمين لفعلوا ذلك، مسرعين ناسين أن الموت لا يوقر أحداً، سواء كان في القتال، أم كان في بيته مع أهله وخاصته.. وتبدأ الصورة من نهايتها.. قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ (كفار قريش)

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا (الملائكة) لَمْ تَرَوْهَا

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ (أحاطوا بكم من كل الجهات)

وَإِذْ رَاغَبِ الْأَبْصُرُ (هولاً ورعباً) وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ

وَنَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾

هَذَاكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا (إلى منازلكم

واتركوا محمداً وأصحابه)

وَيَسْتَفْزِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ (المنافقون) أَلَيْسَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ

وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

وَلَوْ دُخِلَتْ (المدينة المنورة) عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنتَوَاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا

بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلِّقُ الْأَبْرُرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ

وَإِذَا لَا تَسْمَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ (١).

- خلق الله النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين، ونوراً يُهتدى بها، وزينة للسماء الدنيا، فإذا دنا شيطان مارد يتسقط الأخبار من السماء ليفتن بها أهل الأرض، رُجم بالشهب تقصده من كل مكان لتبعده فلا ينال بغيته، فإذا ما اختلس شيئاً واسترق السمع لحقه شهاب مضيء، يلاحقه فيصبيه ويحرقه..
إنها صورة، كثيراً ما نرى الشهب في أمثالها تنطلق في السماء.. قال تعالى:
﴿ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكُوكَبِ ﴿١٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿١٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمِلَا الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿١٨﴾ نُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿١٩﴾ إِلَّا مَن حَظِيَ الْقَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ يَشَاهِبُ نَاقِبٌ ﴿٢٠﴾ (٢).

إنها صورة يختلط فيها الضياء البعيد - من النجوم - بالشهب التي تقترب من الأرض، تلك الشهب الموجهة توجيهاً دقيقاً نحو هدف مرسوم يدنو من أسوار السماء، فلا تمهله، بل تتبعه، وتقضي عليه.. دون أن تخطئه.

- ولكن ما شجرة الزقوم أين مكانها؟ ما صفتها؟ لِمَ تهَدّد الله تعالى المجرمين بها؟، قال تعالى في وصفها:

﴿ أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُنَّ عَلَيْهَا لَشَوْثًا مِّنْ جِيمٍ ﴿٢١﴾ (٣).

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأُنْيَسِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ حُدُودُهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ (٤).

تصور النار التي تحرق كل شيء، تنبت فيها شجرة ملعونة اسمها

(١) انظر: سورة الأحزاب، الآيات: ٩ - ١٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٦ - ١٠.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ٦٢ - ٦٧.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٤٣ - ٤٨.

الزقوم، أصلها في قعر جهنم ثم تفرغ فيها لتكون طعاماً لكل فاجر كافر.
أما ثمارها وحملها فهي لبشاعتها تشبه رؤوس الشياطين.. ولكن هل
يعرف الناس الشياطين أو رؤوسهم؟! لا ولكن رؤوس الشياطين - في أذهان
الناس قبيحة جداً، ولشدة جوع أهل النار لا يجدون طعاماً سواها، فإذا ملأوا
بطونهم منها - وفي الحديث الشريف: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار
الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!» -
شبعوا، فإذا بها حارة شدة الغليان كالنحاس المذاب يقطع أمعاءهم - ولا حول
ولا قوة إلا بالله - فيلجأون إلى الماء يسكن ألمهم، ويفتأ حُمَيًّا ما أكلوه، فإذا
بشرايبهم ماء صديد، اشتدَّ غليانه كذلك، يذيب أمعاءهم...

اللهم يا رب باعد بيننا وبين النار، واجعلنا من أهل الجنة، إنك على
كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

إنه لتصوير يأخذ بالألباب ويحرك النفوس، فإن كنا من أهل الله تعالى
رَزَقْنَا حُسْنَ التدبير والتفكير، وأخذ بأيدينا إلى طريق الإيمان والاستقامة، فكنا
من أهل السعادة في الدارين...



ضرب المثل

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) (١).

ويقول سبحانه: ﴿وَكَأَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (٣).

فلماذا هذه الأمثال المضروبة في القرآن وما فائدتها؟
إنها تُضْرَبُ:

- ١ - لتقريب الفكرة إلى الأفهام.
- ٢ - وتوضيح مقاصدها.
- ٣ - ولاتخاذ العظة والعبرة.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)
تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥)

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧.

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾^(١)

فكيف قرب الله الفكرة إلى الأفهام؟

الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله»، والشجرة الطيبة «المؤمن»، وكلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت.

والكلمة الخبيثة «الكفر»، كشجرة «الحنظل» الخبيثة استوصلت من جذورها، واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، وكذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة، والكافر لا يصعد عمله إلى السماء ولا يقبل.

فالله تعالى يثبت المؤمن في الدنيا وفي حساب القبر عند سؤال الملكين، ويضل الكافر في الحياة الدنيا وعند سؤال الملكين في القبر.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله جل شأنه: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾^(٢)

فكيف نتخذ العظة والعبرة؟

هناك قرية كان أهلها في أمن واستقرار وسعادة ونعيم، تأتيها الخيرات من كل جهة، فلم يشكر أهلها ربهم على ما آتاهم من خير ورزق، فسلبهم الله نعمة الأمان والاطمئنان وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان، بسبب كفرهم ومعاصيهم.

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١١٢، ١١٣.

وهذا مثل أهل مكة الذين آمنهم الله بالبيت العتيق، يقصده الناس جميعاً، ولهم تجارتان في الصيف للشام والشتاء لليمن، فلما جاءهم رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بالله كفروا به وعصوا.. فإن لم يتوبوا إلى الله، فجزاؤهم سيكون كجزاء أهل القرية المضروب بها المثل.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَكَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾^(١).

كيفية وضوح الله الصورة وبتين مقاصدها؟.

فالذين اتخذوا آلهة من دون الله يعتمدون عليها ويرجون نفعها كمثل العنكبوت، بيتها لا يغني عنها في حرٍّ ولا بردٍ ولا مطرٍ ولا أذى. ولو علم هؤلاء الكافرون تفاهة ما يعبدونه ما اتخذوها آلهة، وسيجازيهم الله تعالى على كفرهم.

وهذه الأمثال يضربها الله تعالى ليقربها إلى أفهام الناس، ولا يعقلها إلا أصحاب العقول والأفئدة السليمة.

- ومن هذه الأمثال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِزُّ الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾^(٢) فكيف نتخذ العبرة والعظة؟.

استبعد الكافر عودته بعد الموت إلى الحياة والبعث، حين أمسك بالعظم الرميم وفتته، ونسي أننا أنشأناه من نطفة ميتة وركبنا فيه الحياة، ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب، وقاس قدرة الله تعالى على قدرتنا الضعيفة.

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١ - ٤٣.

(٢) سورة يس، الآيات: ٧٨ - ٨٠.

فقل يا رسول الله إن الذي أنشأها أول مرة، لا يصعب عليه إعادة خلقها ثانية، فالذي يقدر على البداء قادر على الإعادة، يعلم كيف يخلق ويبدع، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد الفناء.

ألا ترى أن بعض الأشجار الخضراء كالمرخ والعفار، تقدح الشر الذي يحرقها. وصدق الشاعر حين قال:

جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به نار به ماء
- ومن الأمثلة التي ضربها القرآن قوله عز وجل:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوَامِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٢﴾﴾ (١١)

فكيف نتخذ العبرة والعظة؟

إذا فرّق الدين بين اثنين، فدخل المسلم الجنة، لم يدخلها الثاني، ولو كان قريبه وصاحبه وزوجته، بل دخل النار. فلا يغني في الآخرة أحد عن قريب ولا نسيب، فزوجتا النبيين الكريمين نوح ووط لما عصتا كان نصيبهما النار يوم القيامة، ولا ينفعهما زواجهما من عذاب الله شيئاً.

وهذه «آسية بنت مزاحم» زوجة فرعون كفرت به، وهي أقرب الناس إليه، وأمّنت بموسى فلما علم فرعون أمر بقتلها، فنجّاه الله منه فهي في الجنة تتنعم. فهل ضرّها أنها زوجة أكفر الكفار، من ادعى الألوهية، وعصى الله؟ لا لكل عمله. وهذه «مريم» الطاهرة البتول أم عيسى عليه السلام شريفة عفيفة، لا كما زعم اليهود زناها، فقد نفخ جبريل بفتحة ثوبها، فوصلت النفخة إلى مكان عفافها، فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت

(١) سورة التحريم، الآيات: ١٠، ١١.

مؤمنة بكتب ربها ورسله، وكانت من القانتين، فما ضرَّها أقاويل اليهود
وادعاءاتهم...

- ومن الأمثلة القرآنية كذلك قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾^(١) فكيف نقرب الفكرة إلى الأفهام؟

هذا عبدٌ مملوك لرجال سيئي الأخلاق بينهم اختلاف وتنازع، وكل
واحد منهم يأمره بأمر يخالف أمر الآخر، كيف تكون حاله معهم؟! .

وهذا عبد مملوك لرجل واحد حسن الأخلاق، يخدمه بإخلاص وتفانٍ
ولا يلقى من سيده إلا الإحسان.

هل يستوي هذان المملوكان في حسن الحال؟ بكل تأكيد لا..
فكذلك الذي يعبد الله الواحد الأحد ولا يشرك معه أحداً في أحسن حالٍ،
أما الذي يعبد آلهة شتى، فهو موزع بين الأهواء والمفاسد والمفاتن.

- ومن الأمثلة القرآنية التي ضربها الله عزَّ وجل قوله سبحانه: ﴿أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي
النَّارِ آتِبَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾^(٢).

فكيف وضح لنا سبحانه أن النافع يبقى، وما لا ينتفع به يزول؟ .

هنا مثالان للحق والباطل، للدعوة الباقية، والدعوة الذاهبة مع الريح:

أ - إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غشاء يطفو
على وجهه في صورة الزبد، وهو نافس منتفخ، ولكنه بعدُ غشاء، والماء
من تحته سارب ساكن هادىء، ولكنه الماء الذي يحمل الخير والحياة.

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

ب - كذلك يقع في المعادن التي تُذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة،
أو آنية كالحديد والرصاص، فإنَّ الخبث يطفو، ولكنه بعدُ خبثٌ
يذهب، ويبقى المعدن في نقاء.

ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو، ويعلو، ويبدو رايياً منتفخاً،
ولا يلبث أن يذهب جُفاءً مطروحاً، لا حقيقة له ولا تماسك، والحق يظل
هادئاً ساكناً، ولكنه الباقي في الأرض كالماء المحيي، والمعدن الصريح^(١).

.. فُضرب المثل، وضح فكرة، وأزال إبهاماً، وقرب بعيداً، وجلّى
غموضاً، فلله الحمدُ هو العليم العلام.



(١) من الظلال للشهيد سيد قطب رحمه الله.

استعمال المثل والحكمة

يمتاز المثل بالإيجاز وسرعة دورانه على الألسنة، فهو يلخص موقفاً أو قصة، فإذا مرَّ الإنسان بموقف مشابه أو قصة أو حادثة متشابهتين، ضرب المثل نفسه للعةظة والعبرة.

أما الحكمة فهي عصاره الذهن في حكم صائب، أو نصيحة صادقة، دون أن تكون تلخيصاً لموقف أو حادثة..

وبهذا يختلط مفهوما المثل والحكمة عند العرب، في استثمارهما واستعمالهما ليؤديا هدفاً واحداً، يتجلى في الحكم والنصيحة والعبرة.

والقرآن الكريم حفل بهما جميعاً، فكانا أسلوباً راقياً من الأساليب التربوية، التي استعملها القرآن في الدعوة إلى التقليد وتهذيب النفس، والاعتاظ وتوضيح المقصد، وأنواع شتى من الأغراض الإنسانية.

فمن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:

١ - ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا﴾^(١) يُضْرَبُ لِمَنْ عَرَفَ مَا يَرِيدُ فحُطِّطَ لَهُ، واتجه لتحقيقه لا يحيد عنه.

٢ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢) يضرب لمن كانت عقوبته سبباً في تحقيق المصلحة العامة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

- ٣ - ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ^(١) يضرب للدلالة على أن النفع قد يكون من القلة، لا من الكثرة.
- ٤ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢) يضرب للحض على الخير.
- ٥ - ﴿فَمَثَلُهُ... كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ ^(٣) يضرب للخسيس لا فائدة منه.
- ٦ - ﴿... وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ^(٤) يضرب للتهوين من مكر الخبياء، وأن مكرهم مردود عليهم.
- ٧ - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ^(٥) يضرب للتسليم بقضاء الله.
- ٨ - ﴿... إِنَّمَا بِعَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ^(٦) يضرب لمن يقع في شر أعماله.
- ٩ - ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ^(٧) يضرب للمقر بذنبه المعترف بخطئه.
- ١٠ - ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾ ^(٨) يضرب للدلالة على الوضوح والجلال.
- ١١ - ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْزِرُ مَا يُعْزِرُ حَتَّىٰ يَغْزِبُوا مَا بَأْسِهِمْ﴾ ^(٩) يضرب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٨) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٩) سورة الرعد، الآية: ١١.

لحُضِّ المتراخين على المبادرة، وعدم الاعتماد على الآخرين في إنجاز أمورهم.

١٢ - ﴿... وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) يُضْرَب لمن أوقع نفسه في شرِّ أعماله.

١٣ - ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِرَةٍ...﴾^(٢) يضرب لمن يشي عمله بحاله.

١٤ - ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) يضرب للدلالة على تفاهة علم الإنسان، وضالته كلما رأى جديداً من العلوم الدالة على علم الله الواسع.

١٥ - ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا...﴾^(٤) يضرب للاعتذار عن خطأ ارتكَب، أو رغبة لم يستطع صاحبها تنفيذها لضعفه.

١٦ - ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥) يضرب لذي الفهم والإدراك يتفتق ذهنه دائماً عن فوائد فيعزو ذلك إلى الله تعالى.

١٧ - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾^(٦) يضرب للسيء تحاول تقويمه فلا تفلح.

١٨ - ﴿... وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكُبُوتِ...﴾^(٧) يضرب لبيان الضعف الشديد.

١٩ - ﴿... وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ...﴾^(٨) يضرب لمن وصل إلى هدفه دون عناء.

(١) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

٢٠ - ﴿... وَلَا يَنْتَظِرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(١) يضرب للدلالة على صدق الخبر وصحته، ودقته.

٢١ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾^(٢) يضرب لحصر المسؤولية بمن فعل.

٢٢ - ﴿... وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ...﴾^(٣) يضرب لمن يهتم بصلاح نفسه فينال الخير.

٢٣ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾^(٤) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٤﴾ يضرب هذا المثل لانتفاء تساوي المتناقضات.

٢٤ - ﴿... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٥) يضرب للياس ممن لا يعي ولا يعقل.

٢٥ - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٦) يضرب للحث على الوصول إلى المرتبة العالية، والسعي لها بهمة وجدل.

٢٦ - ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِلِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾^(٧) يضرب للتهديد والوعيد.

٢٧ - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨) يضرب لبيان الفرق بين الشيتين المتناقضين.

٢٨ - ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٩) يضرب لمن يفقد، فلا يتأثر لفقده أحد.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٦١.

(٧) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٩) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

٢٩ - ﴿... وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَوْءِ الْحَيَاةِ﴾ (١) يضرب
للتبئيس، والاستحالة.

وهكذا فالمثل والحكمة يؤديان دوراً مهماً في التعليق على الحدث
وإصدار الحكم، وإلقاء الضوء عليه، مما يوضح الفكرة، ولا يترك مجالاً
للإبهام أو الوهم، ويتركز القارئ على المحجة البيضاء فيرى ما يناسبه
للوصول به إلى جنة المأوى ورضوان الله تعالى، والسعيد من كتب الله
تعالى له السعادة فبصره وهدهاه إلى سبيله.. اللهم اجعلنا من هؤلاء.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

التعليل

أن تأمر أحدهم بفعل شيء ما سهل وبسيط، والمأمور ينفذ الأمر دون أن يسألك السبب.

أ - لأنه يثق بك وبحكمتك.

ب - أو لأن الأمر نفسه لا يحتاج إلى إبداء الأسباب.

ج - أو لأنه يهاب أن يسألك، خوفاً أو احتراماً..

د - أو أنه لا يعنيه معرفة السبب من قريب ولا بعيد.

وقد تُصدر حكماً، فإما أن يكون الحكم عن هوى أو عن معرفة، وأحكام الهوى غالباً ما تكون خاطئة إن لم نقل دائماً.. أما الأحكام القائمة على الدليل والبرهان، فالصواب فيها كبير والخطأ فيها قليل.

والذي نزيده هنا، أن القرآن الكريم حين يأمر، أو يحض، أو ينهى، أو يعظ، أو يخبر، فإنه يعلل ويبسط السبب، فلماذا؟ هناك دواعٍ عديدة منها:

١ - أن يكون المعنى على بينة ووضوح.

٢ - البراءة والإعذار.

٣ - أن يتحمل المعنى مسؤولية ما يفعل، أو يقول.

٤ - أن يكون صاحب القرار الأخير في ذلك.

والقرآن الكريم حرص على تعليل كل أمر أو نهي، فنتبه إلى النتيجة في كل منهما، ووضح العاقبة، وترك بعد ذلك الخيار لهؤلاء وأولئك، فكلٌ يعمل على شاكلته.

فمن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾

أ - كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

ب - وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

ج - إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾

د - إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوَى وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾

وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا

وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ... ﴿٣﴾

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴿٤﴾

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَكَتْنَا مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ آيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

النَّاسَ جَمِيعًا... ﴿١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَمَّا دُلِّكُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٢﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَحْيَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ اتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّبِعُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَإِنَّمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه مريباً معلماً: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ ﴿٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّ يَلْبَسُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۗ وَإِن هُمْ إِلَّا خَوْضُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿٥﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿٦﴾.

وقوله سبحانه:

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٢ - ٧٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ ﴿١٦٤﴾﴾ (١).

وانظر إلى رعاية الله سبحانه للمسلمين إذ قال جلَّ شأنه في غزوة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً

أ - لِيُطَهِّرَكُم بِهِ

ب - وَيَذْهَبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ

ج - وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ

د - وَثَبَّتَ بِهِنَّ الْأَقْدَامَ ﴿١٦٥﴾﴾ (٢).

وقوله محذراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ لِلصَّيِّدِ ﴿١٦٦﴾﴾ (٣).

وقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَوْ أَشْرَىٰ حَتَّىٰ يَتُخَّرَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَأْمَرُهُ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (٥).

وقوله سبحانه محرضاً على القتال ومبيناً نتائجه: ﴿فَنَلْتَمِسْهُمْ

١ - يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

٢ - وَيُخْزِيهِمْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٦.

۳ - وَنُصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ

۴ - وَيَسِفْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

۵ - وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ... ﴿١﴾.

وقوله سبحانه نافيًا العفو عن المنافقين: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَقَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ (٣).

وحين نادى نوح ربه أن ابنه كنعان من أهله وسأله أن ينجيه من النار قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْتَحُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ﴿٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِنُقْوِمُوا رِبِّكُمْ ثُمَّ نُؤْتُوا إِلَيْهِ

أ - يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

ب - وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةَ إِيَّائِكُمْ... ﴿٥﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٥) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢.

أ - فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا

ب - إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ (٢)

وقال تعالى من الأيمان: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ

أ - فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا

ب - وَتَذُقُوا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

ج - وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ (٣)

أما الوصايا التي نجدها في سورة الإسراء فتعليل كل آية في خاتمتها تدل على رفق الله سبحانه بعباده ورحمته بهم فهو الذي خلقهم وهو الذي يدفعهم إلى سبيل الحق ودروب الهداية والمغفرة (٤).

وقوله تعالى: ﴿... وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءَهُمْ قَالُوا قَابِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْسْتُمْ قَالُوا لَيْسْنَا بِيَوْمٍ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ فَابْعَثُوا إِلَيْهِمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ (٥)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٤) انظر: سورة الإسراء، الآيات: ٢٢ - ٣٩.

(٥) سورة الكهف، الآيات: ١٩، ٢٠.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَحْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٩﴾

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٣٠﴾

إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣١﴾ ﴿٢﴾ .

وقوله سبحانه معللاً سبب نزول القرآن منجماً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾

كَذَلِكَ لِنُنشِئَ بِهِ قَوْلًا مَّوَدَّعًا وَرَقْلًا تَرْيِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

أ - الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ رَبِّي ﴿٧٨﴾

ب - وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾

ج - وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾

د - وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الْيَوْمِ ﴿٨٢﴾ ﴿٤﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةَ الْكُوكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ ﴿٥﴾ .

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٨ - ١١١ .

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢ .

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢ .

(٥) سورة الصافات، الآيات: ٦ ، ٧ .

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ

إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ (١).

وقوله تعالى يمدح المؤمنين: ﴿إِنَّ السَّيِّئِينَ فِي جَنَّتِ وَعِيُونَ ﴿١٥﴾ عَالِحِينَ مَا عَالَتْهُمْ رَيْبٌ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ

أ - كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ ﴿١٦﴾

ب - كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾

ج - وَإِلَّا لَأَسْخَرُوا لَهُمْ سِتَّافِرُونَ ﴿١٨﴾

د - وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلسِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبُؤَ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأُوتَ كَيْبِيَّةٍ ﴿٢٥﴾

وَلَرَأُوتَ مَا حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾

بَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ ﴿٢٧﴾

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾

خَذَرُهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾

فَرَّ الْجَحِيمِ صَلْوَةٌ ﴿٣١﴾

فَرَّ فِي سَلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٩.

وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا حَطَبْتَنَّهُمْ خُغِرُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿٢٥﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَرْمِلُ ﴿١﴾ قُرَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَقَ الْقُرْمَانَ تَرْبِيلًا ﴿٤﴾

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ (٣).



(١) سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ - ٣٤.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٦.

الأمر والنهي

أمره بشيء: كلفه به وحثه عليه.

نهاه عن الشيء: حرّمه عليه، ومنعه أن يعمل به.

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٤٤) ﴿١﴾.

وقال أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) ﴿٣﴾.

هذه الآيات الثلاث مفتاح هذا الباب، ونظرة متفحصة لها تجد أن الأمر جاء أولاً والنهي ثانياً وهذا يعني:

أ - أن الأمر هو الأصل لأنّ فيه دفعا إلى العمل، ولا حياة بلا عمل، هذا العمل الذي ينشأ حياة تسعد الإنسان.

ب - أن النهي ينقي الخير من شوائب الحياة التي تعترض سبيله.
فإذا الأمر والنهي طريق معبّد لمن يبغي الوصول بسلامة إلى حياة طيبة في الدارين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

وسنلقي الضوء إن شاء الله في هذا الأسلوب على:

- أ - الأمر والنهي معاً، فقد جاء في القرآن على الغالب متلازمين.
ب - الأمر حين جاء وحده وهو وافر.
ج - النهي حين جاء وحده، وهو قليل.
د - الأمر بـ «قل».

أ - الأمر والنهي معاً:

ففي سورة المدثر نجد الأمر بالدعوة، وتوحيد الله وتعظيمه، وتطهير الثوب فلا صلاة بغير طهارة، والابتعاد عن المنكرات ففي ذلك تهذيب النفس وتطهير لها، وإعطاء الناس من خير ما أعطاك الله دون من، والصبر على طاعة الله فهي زاد في هذه الحياة، والصبر على أذى المعاندين المستكبرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيُنِيُّ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَيَا أَيُّهَا فَطْحِرٌ ۝٤ وَالرُّحْرَ فَأَهْجِرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَسْكَتُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾^(١).

وفي سورة الإسراء نجد وصايا رائعة يتشابه الأمر والنهي فيها، فإذا هما لحمة متماسكة ذات بناء عقدي، إيماني موحد، يجمع إليه الإحسان إلى الوالدين، والأهل وذوي الرحم والمساكين، دون تمييز ولا إسفاف، ولا تقتير ولا إجحاف، وينهى عن قتل الأولاد خوف الفقر، فالله هو الرزاق، وعن الزنى فهو مدمر للمجتمع والأسرة، وعن قتل النفس التي حرم الله قتلها، وعن أكل مال اليتيم، وعن التدخل فيما لا يعني، وعن التكبر، ويأمر بالعدل في إيفاء الكيل والوزن الصحيح، ليصل الناس إلى حقوقهم.. قال تعالى: ﴿لَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا ۝٢٢﴾

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسِنَّا ۚ إِنَّمَا يَبْغُونَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا أُنْفِيَ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣

(١) سورة المدثر، الآيات: ١ - ٧.

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
 رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
 وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرُ تُبْدِيرًا ﴿٢٦﴾
 إِنَّ الْمَعْدُورِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
 وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ آيَةً رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَكُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ﴿٢٨﴾
 وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾
 إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مِّنْ نَّرْفِهِمْ وَإِن كُنْتُمْ مِّنْ خَطَاةٍ
 كَبِيرًا ﴿٣١﴾

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
 لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾
 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
 الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُ وَزِنَاؤُ بِالْقَيْسَارِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ
 عِنْدَهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾
 كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾
 ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ (١)

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٢٢ - ٣٩.

ففي هذه الآيات الثماني عشرة نجد أحد عشر أمراً، وثمانية عشر نهياً، تشكل لنا تلك المجموعة الرائعة من التشريعات التي تنشئ مجتمعاً إسلامياً متماسكاً.

- وهذا لقمان عليه السلام يوصي ابنه وصايا سامية، ترفع من مستوى الإنسان وتجعله مثلاً يُحتذى فيقول: ﴿يٰٓبُنَيَّ أَقِرَّ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾

وَلَا تُصَبِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرِحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾
وَأَقِصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾^(١).

أ - أمره بالصلاة لتكون صلته مع الله تعالى قوية تساعد على التصدي للدعوة.

ب - ثم أمره بجماع الخير، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ج - ولكي يكون قدوة للناس نهاه، وأمره. نهاه عن التكبر على الناس والمشي بخيلاء واستعلاء، وأمره بالاعتدال في سيره وغيض صوته.

- ولكي يكون المسلم من أهل الإحسان - وهي درجة عظيمة - قريباً إلى الله تعالى فليتنه عن الفساد وليدعُ الله خائفاً من عذابه طامعاً في رحمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾^(٢).

- وينهى الله تعالى نبيه أن ينظر إلى ما متع به بعض الكفار، فإنه أعطاه أعظم منها وأشرف وأكرم - وإنزال القرآن عليه أعظم منة وكرماً - ينهاه أن يحزن لعدم إيمان الناس به ويأمره أن يتواضع للمؤمنين وضعفائهم. قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾^(٣).

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

- وحين جاء الأمر بإغراق الكافرين من قوم نوح قال تعالى له: ﴿وَأَصْنَعِ
الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (١)

ولكن نوحاً حسب أن ابنه من أهله فصاح الله تعالى له الانتماء قائلاً:
﴿يَنسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي
أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

- والمسلمون أهل عهد وذمة يلتزمون بعهودهم ولا ينقضونها.
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ (٣)

- والله سبحانه يعلمنا أن نكون دعاة نستعمل الحكمة في دعوتنا، فإن
من الحكمة اللطف واللين في المحاجة، فإذا كان المجادل من أهل الكتاب
غليظاً ظالماً فالتعامل معه بطريقته نفسها من الحكمة كذلك ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤)

فإذا نبهناهم إلى أننا نؤمن بما أنزل إلى موسى وعيسى - وكانوا
منصفين - آمنوا بمحمد ﷺ رسولاً، خاصة أن الإله الذي ندعو إلى توحيده
هو إلههم، سبحانه أن يكون هناك إله غيره.

ب - الأمر وحده:

ونجده في هذه الآية يأمرنا بأمرين بالغي الخطورة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

- والجهاد ذروة سنام الإسلام، فالالتزام به فرض يبدأ به الرسول ﷺ

(١) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

بنفسه أولاً ويدفع إليه المسلمون ثانياً، وعلى كلِّ قائد أياً كان حين يسُنّ تشريعاً أن يطبقه على نفسه، فتعرف الرعية أنه صادق فينفذونه مرتاحين مطيعين، وبالجهاد يصل المسلمون إلى العزة، ودفع الأذى وليس هناك سواه طريق. قال تعالى: ﴿فَقَنْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (١).

- ويؤكد هذه الفكرة في الآية الكريمة التالية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُؤْا الَّذِينَ

يَلُؤْنَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

إذا لا بدّ من قتال الكفار دون هوادة، فهم لا يكفون أذاهم عنا إلا إذا وجدوا فينا شدة.. لكنّ النصر منعقد لواؤه بالتقوى فهل نحن متقون؟! .

- وإذا لم يستجب أهل الفساد والعناد للدعوة إلى الله، ونأوا بأنفسهم عنها فما على الرسول وتلاميذه من أهل الدعوة إلا البلاغ، فلا إكراه في الدين، ولا حاجة إلى أن يبخع نفسه ألا يكونوا مؤمنين ﴿قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٣) وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

- وانظر معي إلى هذا النداء الحبيب من الله تعالى فيه من الدرر والجواهر أوامر خمس من ركيزة التعامل مع الله تعالى ورسوله الكريم والحياة من حولنا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

١ - أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

٢ - وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾ (٥)

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

٣ - وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

٤ - وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

٥ - وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسَانُ فَتَأْتِيَكُمْ وَيَدُّكُمْ بِضُرِّهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ (١).

- والمسلم يصدع بالحق فإن قيل منه الحق كان له خيراً من حمر النعم، وإن جوبه بالرفض والإنكار، فله من الله الثواب في رفضهم لما دعاهم إليه وتحمل أذاهم، أما الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد عصمه الله منهم ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ (٢).

فإذا شعر بالضيق مما يحوكه المشركون، والحزن مما يقولون، فليلجأ إلى الله تعالى فهو نعم الملاذ، فسبحان الله تملأ الميزان وفي السجود يكون العبد قريباً إلى ربه، والعبادة والدعاء سلاح المؤمن إلى أن يلقي ربه ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يُضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

أ - فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

ب - وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

ج - وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ (٣).

وأخيراً يقول الله تعالى:

أ - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

ب - وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ (٤).

وكيف يعلم أنه لا إله إلا الله؟... إنه يعرف ذلك بالتفكير والتدبر

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.

واتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، والعمل بما أمر الله، والانتهاه عما نهى عنه.

كما أن الاستغفار اعتراف بالتقصير والعجز، وإقرار بالضعف ولجوء إلى الله تعالى الذي يغفر الذنوب، ولو كانت كموج البحر تدافعاً وتلاطماً.

ج - النهي وحده:

يركز القرآن الكريم على علاقة المسلم بأهل الكتاب، من يهود ونصارى، فهم وإن كانوا يعيشون في كوكبنا هذا وبين ظهرانينا، فليسوا منا ولسنا منهم.

نحن موحدون لله تعالى - وهم مشركون.

نحن نحتكم إلى شريعته - وهم يتبعون أهواءهم.

ولا بد من العلاقة المادية، أما أن نحبتهم ونسكن إليهم ونتخذهم أولياء أوفياء، فهذا من الوهم والخيال.. تاريخهم القديم الأسود، والجديد القاتم أكبر دليل على كرههم لنا وكيدهم للمؤمنين. والقرآن الكريم فضحهم فقال: ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١).

وقال: ﴿إِنْ يَفْقَهُوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوَى وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢).

وفي هذه الآية الكريمة التي نحن بصدها نجد النهي الواضح أن نتخذهم أهل ودّ ومحبة، وإلا كنا مثلهم - فالطيور على أشكالها تقع - وظلمنا أنفسنا!! قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (١).

وهؤلاء - أهل الكتاب النصارى - عَلُوا في نبيهم عيسى، فجعلوه ابن الإله وبعضهم جعله الإله نفسه، وغلا اليهود في أمر عيسى فجعلوه ابن ضلال وغي!! وكل الفريقين يتبع في عقائده أسلافه الذين ضلوا فأصلوا من بعدهم، وابتعدوا عن الطريق المستقيم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٢).

- وهذه صيحة مدوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، تنبه الناس أن عدوهم الأول الشيطان الذي أخرج آدم وحواء من الجنة ﴿يَسْتَفِيءَ آدَمَ لَا يَفِينَنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

- وانظر معي إلى هذا التحذير المتناهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤).

فالبراءة من الأهل مهما كانوا قريبين إن لم يكونوا مؤمنين، وأين الجامع إذا كان فريق في الجنة وفريق في السعير؟! وهل يكون محبباً إلينا مَنْ فَضَّلَ الكفر على الإيمان؟ لا والله فمن فعل ذلك فقد ظلم نفسه، والظلم ظلمات يوم القيامة.

- وينهى القرآن عن تصرفات لثيمة تهدم المجتمع وتنقضه من أساسه، والإسلام دين البناء والأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

لَا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ . . . يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوفُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ
وَمَنْ لَمْ يَنْبَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

- هل يكذب إلا مفسد أفاك؟ وهل يسيء إلا كل مداهن كثير الحلف
ذو نفس وضيعة؟ وهل يسعى بالنميمة إلا كل معتد عتل متكبر...؟ فابتعد
أبيها المسلم عنهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُوا لَوْ تَدُهُنُ
يَدُهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَذَا مَشَامٌ بِنَيْمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلْحَرِّ
مُعْتَدٍ أَبِييٍ ﴿١٢﴾... ﴿٢﴾.

د - الأمر بـ «قل»:

جاء في القرآن الكريم وافراً مطرداً لأغراض بلاغية كثيرة منها:

١ - التحدي: كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ
اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴿٣﴾.
وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا لَا إِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضُ
بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرْتَضُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة القلم، الآيات: ٨ - ١٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

٢ - التوبيح والسخرية: كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٣) ﴿١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ

قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) ﴿٣﴾.

٣ - التقيح والتبكيث: كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) ﴿٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ آمَانِيهِمْ

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) ﴿٥﴾.

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٢) ﴿٦﴾.

٤ - توحيد الله: كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿٧﴾.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٧) سورة الإخلاص.

وكقوله تعالى: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهَيْكُمْ لِتَنبَهُوا
أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخْرَى﴾

قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١﴾

٥ - اللجوء إلى الله تعالى: كقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ
﴿١﴾ مِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ (٢).

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (٣).

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ
اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (٤).

٦ - دحض الافتراء: كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ حَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ
يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلَ
قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرَأْتَهُمْ

بُيُوتَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَلَمَّوْا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤَكُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة الفلق.

(٣) سورة الناس.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ (١)

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِيَّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾

قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْزَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ (٢)

٧ - جواب سؤال: كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ

قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (٣)

وقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

أ - قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ

ب - وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

ج - وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

د - قُلِ الْعَفْوَ... (٤)

وقوله عز وجل: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ... (٥)

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ... (٦)

٨ - ردة الأمر إلى الله تعالى: ومثاله قول الله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ

لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَشَاءُ يُوحَىٰ إِلَيْكَ (٧)

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٩٣، ٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) ﴿١﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥)

قُلْ إِنَّمَا أَلَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴿٢﴾.

وهناك أغراض كثيرة فتدبر كتاب الله فيها، إن كنوزه غالية تبدى لمن يخلص له سبحانه جعلنا الله منهم.



(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

السؤال

هو من الطرق الأصيلة في تحصيل العلم، فقد تجد معلماً ينصحك، ويفيدك علماً، ويوضح لك أموراً، وقد يشكل عليك أمر فتسأله، وتستفسره، فيجيبك، ويزيل الإبهام من نفسك، وللسؤال فوائد مهمة منها:

١ - اكتساب معرفة، وازدياد علم، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

٢ - إزالة شك، ودفع ريبة، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٢).

٣ - استشهاد على موقف وتعزيز له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (٣).

وسؤال الرسول الكريم ﷺ، لليهود المدينة، لعلمهم بالحادثة مما لديهم في التوراة، ليظهر لعامة اليهود وعلماهم صدق ما ذكره الرسول ﷺ.

٤ - التعظيم والإجلال، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٤).

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة النساء، الآية: ٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

وهل يُسأل عن عظمة الله سوى الله سبحانه؟! .

٥ - التبكيك والتوبيخ، فقد أنسى العذاب الشديد في جهنم الكفار والمشركين المدة التي لبثوها في الدنيا ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٢) ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَايِينَ﴾ (١١٣) (١).

٦ - التذكير والاعتبار، قال تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١١٦) (٢).

٧ - التحدي. ومثاله ما حدث لإبراهيم عليه السلام، من تحدّد لقومه حين كسّر أصنامهم، فسألوه عن الفاعل، فنبههم إلى أن هذه الآلهة المزعومة لا تستطيع دفع مضرة عن نفسها. فكيف تنفع الآخرين.. إنها لا تتكلم ولا تسمع.. قال تعالى: ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٣).

٩ - تنبيه الغافل كي لا يقع في الخطأ، فقد نبه الله سبحانه المؤمنين أن لا يكونوا كاليهود الذين سألوا موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة فضلّوا، قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٢٨) (٤).

١٠ - السخرية والتهكم. ومثاله قول الله تعالى: ﴿سَأَلْتَهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠) (٥) يسخر من الذين يسوون المطيع بالعاصي، والمؤمن بالكافر، ويتقولون على الله تعالى ما لا يعلمون، فيطلب الله تعالى إلى رسوله الكريم، أن يسأل هؤلاء المكابرين: أيهم كفيل وضامن بهذا الذي يزعمون.

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٠.

والذي نريده في هذا العنوان «السؤال» الفائدة الأولى اكتساب معرفة وازدياد علم.

- فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ حَيْثُ قَلَّوَالَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ﴾^(١) فنبههم بأسلوبه الحكيم، إلى صلة الأرحام، وعلى رأسهم الوالدان، ثم مساعدة الآخرين المستحقين.

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَرَامِ فَقُلْ فِيهِ قُلٌّ قِتَالٌ فِيهِ كَثِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾^(٢) وصحيح أن القتال في الأشهر الحرم كبيرة لا يرضاها الله تعالى، لكن هناك ما هو أشد وأنكى، منها: أ - اتخاذ كل الأساليب الخبيثة لصد الناس عن دين الله.

ب - وما تبعه من فتنة المسلم ليرتد عن دين الله إلى الكفر.

ج - وصد من آمن من العرب عن بيت الله.

د - وإخراج المسلمين من أهل مكة عنها.. كل هذا أشد وأعظم وزراً من القتال في الأشهر الحرم..

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا قُلٌّ فِيهِمَا كَثِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾^(٣) إن في الخمر والميسر منافع مادية ضئيلة، ولكن ضياع العقل، وذهاب المال، وتعريض البدن للمرض في الخمر، وما يجره القمار من خراب البيوت، ودمار الأسر، وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين،.. كل ذلك محسوس مشاهد إذا قيس الضرر الفادح بالنفع التافه لهذين المنكرين الخبيثين.

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ حَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

فَاِخْوَانُكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ ﴿١﴾ . ماذا يفعلون بأموال اليتامى؟ فكان الأمر أن يخلطوا أموالهم بأموال السائلين، وينمّوها بالتجارة، لأنهم إخوانهم في الدين، وهذه الأخوة أقوى من رابطة النسب وحذّره الله تعالى من الخيانة وإفساد أموال اليتامى، أو أكلها، فهو مَطْلَعٌ يعلم المفسد من المصلح.

- وقوله سبحانه: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ

قُلْ هُوَ أَدْنَى

أ - فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ

ب - وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ

ج - فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ

د - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴿٢﴾ فيتن الله تعالى حقيقة المحيض، وأمر المسلمين اعتزال نسائهم في حيضهن، والمقصود عدم المعاشرة، لا عدم التقرب منهن ومؤاكلةهن ومجالستهن، كما يفعل اليهود إذا حاضت نساؤهم، فإذا تطهّرن فالمعاشرة في المكان الذي أحله الله، وهو القبل مكان الولد والنسل، فالله يحب التائبين المنتزهين عن الفواحش والأقذار . .

- وقول عز وجل: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أَرَأَيْتَ لَكَ مِنْ أَجَلٍ مُّسَمًّى قُلْ أَجَلٌ لَّكُمْ الَّذِي تَبْتَغُونَ وَمَا

عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴿٣﴾ فالله تعالى أحلّ المستلذات وما ليس منها بخبيث، وحرّم كلّ مستقذر، وأحلّ لنا ما تصطاده الجوارح من كلاب وطيور نعلّمها كيف تصطاد. فإن أكلت منها فلا نأكل منها، وإذا اصطادت هذه الجوارح كما علّمناها ذكرنا اسم الله تعالى عليها . .

- وقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا

لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ ﴿٤٤﴾ ﴿٤﴾ فلا يعلم أحد متى تكون الساعة إلا خالقها، وهو سبحانه الذي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

يأمر بها في الوقت الذي حدده لها، إنها الغيب الذي استأثر به سبحانه نفسه .

- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ

قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

أ - فَأَتَقُوا اللَّهَ

ب - وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

ج - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ حين اختلف المسلمون في غزوة بدر على الأنفال، فجمع بعضهم الغنائم من أرض المعركة، وتابع بعضهم فلول المنهزمين من المشركين، وكانت العادة أن من جمع الغنائم فهي له، فاختصم المسلمون فيها، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمهم أن همهم يجب أن يكون في الجهاد فقط، فجعل الأنفال كلها لله ورسوله، وليس للمسلمين شيء، فلما أذعنوا لأمر الله ورسوله قسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين على السواء، فكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين .

- وقوله عز وجل: ﴿وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ (٢) سأل المشركون رسول الله ﷺ عن أهل الكهف وذي القرنين، فأجاب عنهم حين نزل جبريل بآيات توضح حالهم، وسألوه عن ماهية الروح وحقيقتها، فكان الجواب أنها من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البرية سبحانه وتعالى، وما علم الناس إلا ذلك العلم الضئيل الذي يناسب عقولهم وقدراتهم .

- وقوله تعالى: ﴿وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلِ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٨٣﴾ (٣)، فوضح لهم في الآيات [٨٤ - ٩٨] (٤) أنه رجل صالح

(١) سورة الأنفال، الآية: ١ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٣ .

(٤) سورة الكهف .

ملك المشرق والمغرب فسمي ذا القرنين. وقد وضحت كتب التفسير قصته وأظهرت العبرة فيها.

- ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١١٧﴾﴾^(١) فالجبال يوم القيامة غير الجبال في الحياة الدنيا، فهي الآن شاهقة، ذراها تناطح السحاب، وصخورها صماء، وجذورها ذاهبة في الأرض. أما يوم القيامة فإن الله تعالى يفتتها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها فيذرها أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء، ولا انخفاضاً ولا ارتفاعاً.. سبحانه الله ما أعظمه.. قادر على كل شيء.



(١) سورة طه، الآيات: ١٠٥ - ١٠٧.

التعجب

روعة تأخذ الإنسان عند استنظام الشيء... وقد يكون إنكار الأمر لقلّة اعتياده إياه.

وهو ردة فعل محمودة العواقب إن كانت إيجابية عن تفكر وتدبر. ومذمومة العواقب إن كانت سلبية عن رفض للحقيقة ناتجة عن المعاندة والاستكبار...

وفي القرآن الكريم أنواع من التعجب تدلّ على كلتا الحالتين.

- فمن أمثلة الحالة الأولى ما صورّه القرآن الكريم لحالة التعجب عند السيدة سارة، زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام، حين بشرتها الملائكة بولدها إسحاق، وهي امرأة عجوز عقيم ﴿فَأَبَلَتْ أَنْرَأْتُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ فأجابتها الملائكة أنه لا رادّ لقضاء الله وكرمه ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠) ﴿٢﴾.

وتتوضح الصورة أكثر في الآية التالية:

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٦١) ﴿١﴾
 ﴿قَالَتْ يَنْوِتْلَنِي أَيْدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٦٢) ﴿٢﴾
 ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٣٠.

- ومن أمثلته قوله تعالى على لسان فتى موسى عليهما السلام:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ
أَنْ أَذْكَرُمْ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٣) (٢).

ولكن موسى لم يتعجب، لأنه يعلم أن الرجل الصالح سيلاقيه في المكان الذي يختفي فيه الحوت، فعادَ وفتاه أدراجهما إلى الصخرة فلقيه. قال: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آفَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٦٤) فوجدنا عبداً من عبادنا ما أئبنا رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) (٣).

- ومن أمثلته ما قاله زكريا عليه السلام حين بشره جبريل بيحيى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ نَكُ شَيْئًا﴾ (٩) (٤).

وما قالتها مريم عليها السلام حين فوجئت بالملك، فتعوذت بالله أن يضرها ف ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٥) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٢١) (٥).

- ومن أمثلته قصة قارون الذي رزقه الله أموالاً طائلة، فكفر بأنعم الله وادعى أن ذكاهه وعبقريته كانا السبب في هذا الثراء الفاحش، وأنكر فضل الله عليه وكان ضعفاء الإيمان يتمنون أن يكون لهم مثل ماله، والعلماء الواعون منهم ينبهونهم إلى أن ثواب الله وفضله ورضاه خير لهم.

(١) سورة هود، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الكهف، الآيات: ٦٤، ٦٥.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٨، ٩.

(٥) سورة مريم، الآيات: ١٩ - ٢١.

وحين خسف الله به وبداره الأرض على حين غرة من صلفه وتكبره، انتبه أولئك متعجبين من قدرة الله العجيبة التي ذهبت بالمتكبر المغرور، ومتعجبة كذلك من هوان قارون على الله، ومتعجبين ثالثاً من غفلتهم عن الحقيقة التي كان عليهم أن يدركوها سابقاً، وهي فضل الله عليهم أن حفظ لهم إيمانهم وحسن عاقبتهم.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُ لَّا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ (١)

- ومن أمثله تعجب الناس من مريم وهي تحمل طفلها، ولما تزوج، وحسبوا أنها زنت فقالوا: ﴿يَتَأَخَذَ هُنُورٌ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَعِيًّا ﴿٢٨﴾ (٢)، وحق لهم أن يقولوا ذلك ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ (٣).

فقال بلسان مبین يسمعه الجميع، وهو يدافع عن أمه التهمة الباطلة، ويبرئها مما ظنوه بها.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ (٤).

- ومن أمثله أسلوب التعجب في مدح ذاته سبحانه «أفعل به» في

(١) سورة القصص، الآية: ٨٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٣٠ - ٣٣.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ لَدُنِّي وَلَا تَتَرَكَّ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (١).

وقوله سبحانه يصور كآبة منظر الكفار يوم القيامة.

﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾ (٢).

- ومن أمثلة الحالة الثانية تعجب الكافرين من أمرين اثنين:

الأول: أن يكون النذير رجلاً منهم وهم يظنون أنه ينبغي إن جاءهم أن يكون ملكاً، أو يأتي بملك معه ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا نَجْوٌ مِّنْ عِبْدٍ﴾ (٣).

وقولهم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ (٤).

وقولهم: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ...﴾ (٥).

﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَسٰهِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٦) ﴿أَوْ يُلَاقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٧).

الثاني: أ - الإيمان بالنشور ويوم البعث:

قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعٰهِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَيْسٌ﴾ (٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٩).

وقال سبحانه: ﴿أَوَدَا مِنَّمَا وَكُنَّا تُرَابًا... ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (١٠).

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٨.

(٣) سورة ق، الآية: ٢.

(٤) سورة ص، الآية: ٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢.

(٦) سورة الفرقان، الآيتان: ٧، ٨.

(٧) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٨) سورة ق، الآية: ٣.

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذْ دَا كُنَّا تَرْتَابًا أَوَلَمْ يَلْقَى خَلْقَ جَدِيدٍ﴾ (١) فهم يسخرون من الحياة بعد الموت، ويظهرون التعجب، والأولى أن نتعجب نحن من تعجبهم هذا، فلو أنهم فكروا قليلاً لسألوا أنفسهم مَنْ خلقنا؟ من جعلنا على هذه الصورة؟ أوجدنا عبثاً؟

وإذا عرفوا أن هناك مَنْ أوجدهم من عدم أيقنوا أنه سبحانه قادر على أن يبعثهم من وجود، وهذا أسهل عليه وكلُّ شيء عليه سهل - سبحانه - وأن الناس خلق بسيط إذا ما قورنوا بخلق السموات والأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ب - توحيد الله سبحانه:

فهم يعتقدون أن مع الله آلهة أخرى فهم يستنكرون وحدانيته، وعقولهم القاصرة ترى أن الكون الضخم يحتاج إلى آلهة كثيرة تديره وتدبر أمره..!! ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًّا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٣).

وفي سورة النجم من الآية الثالثة والثلاثين، حتى الآية الثامنة والخميس، يؤكد القرآن الكريم على وحدانية الله.

أ - فهو القادر على كل شيء.

ب - وإليه المنتهى.

ج - وكل شيء من صنع يديه.

د - وأن الآلهة التي يعبدونها من مخلوقاته.

هـ - وقد أهلك الكفار لكفرهم وأن يوم القيامة قادم لا محالة.

ومع ذلك فهم يتعجبون من هذا الكلام، ويسخرون، والله يعنفهم ويوبخهم بقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَى هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ﴾ (٤) ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُونَ سَمِيعُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الرعد، الآية: ٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٥.

(٤) سورة النجم، الآيات: ٥٩ - ٦١.

ومن العجب أن تتقبل العقول عبادة ما صنعوه بأيديهم، وينسون عبادة من صنعهم بيديه!! ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ﴾ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾!؟ (١).

﴿الذُّعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾!؟ (٢).

والإنسان العاقل يعبد ما ينفعه ليكسب منه، ومن يخافه ليحذر عقابه، ومن بيده مقاليد الأمور.. أما عبادة ما لا ينفع، ولا يضر، ولا يعي، ولا يعقل، فانحطاط، ما بعده من انحطاط.. قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦) (٣).

والله سبحانه وتعالى ينبه الإنسان إلى خطئه بلطف مشوب بالتحذير ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَبِيرُ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (٤).

ويُعلمه أنه قادر ليس على إعادة خلقه فقط، بل إنه سبحانه قادر على أن يعيد خطوط بصماته التي لا يشابهه فيها بصمات الناس الآخرين، وهذه قِمة في الدقة والعظمة ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢) بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيْهِ أَنْ سُورَىٰ بِأَنفِهِ ﴿٤﴾ (٥).

أما الكافر المشرك فإنه حجب عن قلبه نور الإيمان، ورضي بقلب الحقائق ليرضي نزواته، ويرضي من حوله ليبقى مهيباً في أعينهم. لكن الله سبحانه له بالمرصاد.. ولئن تركه في الدنيا لعذاب الآخرة أشد وأبقى. ومن أمثلة هؤلاء الوليد بن المغيرة، الذي رزقه الله مالاً وبنين فلم يعرف

(١) سورة الصافات، الآيات: ٩٥، ٩٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٢٥، ١٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الانفطار، الآيات: ٦ - ٨.

(٥) سورة القيامة، الآيات: ٣، ٤.

نعمة الله عليه، واختلق الأكاذيب ليشوّه مقام النبوة، ويصمه بالسحر والكذب، ويدعي أنه أولى من الرسول الكريم بالرسالة. . . إن أمره عجيب، وتفكيره غريب. . . فالله أعلم حيث يجعل رسالته:

﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِدًا ١١﴾

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢﴾

﴿وَبَيْنَ شُهُودًا ١٣﴾

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤﴾

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥﴾

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنِيدًا ١٦﴾

﴿سَأُهِقُهُمْ صَعُودًا ١٧﴾

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾

﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾

﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ٢٣﴾

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ٢٤﴾

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥﴾

﴿سَأُحْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ (١)

وهكذا كان التعجب أسلوباً يحث السامع أو المخاطب ليعيد التفكير، ويمحص القول، ويروّز الأمر ليصل إلى الحقيقة، وما أقل من يفعل ذلك.



(١) سورة المدثر، الآيات: ١١ - ٢٦.

التنبيه

يكون التنبيه إلى أمر ما لأسباب عدة منها:

- أ - جذب الاهتمام به لشرفه ورفعة شأنه وتعظيمه.
- ب - الاستعداد لفهمه ومعرفته، والتأهب له ومقارنته بوضده.
- ج - أن لا يضيع شيء مما يكون منه، فلا يُضطر قائله إلى الإعادة.
- د - تفتين الغافلين للشيء، ووقفهم عليه، والتفكير فيه.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى على نبيه الكريم ليقراه على الناس، مبشراً ونذيراً فهو - القرآن الكريم - رسالة إلى الخلق من ربهم ليتفكروا فيه، ويعملوا به، فلا بد أن يكون التنبيه متواتراً متلاحقاً بأساليب وطرق متعددة، منها:

١ - الاستفهام بـ «هل أتاك»: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَنشِيَةِ ۗ﴾^(١) وليس الرسول الكريم عارفاً بهذا الحديث، ولا السامعون، فلم كان هذا الاستفهام؟! إنه لتعظيم خطره والتنويه إلى أهميته، فيصاخ السمع، وتأهب النفس مستعدة لتلقيه.

ومثاله كذلك: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَبِيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۗ﴾^(٢) والرسول الكريم لا يعرف قصة الملائكة الثلاثة الكرام: جبريل وميكال

(١) سورة الغاشية، الآية: ١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٤.

واسرافيل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهذا الاستفهام ليس للتذكير إنما لجلب الانتباه والتركيز فيما يأتي من خبر.

وعلى هذا المنوال نفهم قوله تعالى:

أ - ﴿هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾؟﴾^(١).

ب - وقوله سبحانه: ﴿وَهَلْ أُنذِرُكَ نَبَأَ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٦١﴾؟﴾^(٢)،
وقوله:

ج - ﴿هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾؟﴾^(٣).

٢ - الاستفهام بـ «أرأيت»: وذلك للتفكير والتدبر والمقارنة دون الحاجة إلى الإجابة اللفظية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَحَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...﴾^(٤).

وكقوله جل شأنه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أُنذِرَكُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾؟﴾^(٥).

وكقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ ﴿٥٩﴾﴾^(٦).

وقوله سبحانه: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾^(٧).

وقوله جل شأنه: ﴿أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي فَشَرْتُمْ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾^(٨).

وقوله جل شأنه: ﴿أَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ

(١) سورة طه، الآية: ١٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢١.

(٣) سورة البروج، الآيات: ١٧، ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٤٧.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٥٨، ٥٩.

(٧) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣، ٦٤.

(٨) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨، ٦٩.

حَسَنُ الْمُنِشَوْنَ ﴿٧٧﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمَرْيَمَ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ﴿٢٠﴾﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا...﴾ (٣).

٣ - اذكر: فعل الأمر الذي خرج عما وضع له إلى التنبيه، لأمر نبيه شريف يستحق أن يُقلد أو يتخذ مثلاً يحتذى.

كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصِبْ

وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ (٥).

وكقوله جل شأنه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (٦).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴿٧﴾﴾، وقوله

تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَّرْكُمْ ﴿٨﴾﴾.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

٤ - التكرار: وهو سمة ظاهرة في القرآن الكريم، أفردنا له عنواناً

خاصاً. ولأن من أغراضه التنبيه ننوه إليه - هنا - باختصار:

أ - تكرر جملة بعضها من أول السورة إلى آخرها، كقوله تعالى في سورة

الرحمن: ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٨.

(٤) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٥) سورة ص، الآية: ٤١.

(٦) سورة مريم، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٧) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

وكقوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾^(١)

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾^(٢) وذكرت سبع مرّات في سورة الشعراء بعد كل قصّة للأنبياء الكرام، عليهم صلوات الله وسلامه، مع أقوامهم.

ب - تكرار تعبير بعينه للتنبيه إلى خطره، كقوله تعالى:

﴿سَأُصَلِّبُ سَفَرًا ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٧﴾﴾^(٣)

وقوله سبحانه: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾^(٤)

وقوله سبحانه: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾^(٥)

ج - تكرار ألفاظ بعينها، مثال ذلك: «كلًا» في سورتي المدثر والمطففين، و «يوم الفصل» في سورة المرسلات، و «ليلة القدر» في سورة القدر.

٥ - النداء: وهو من أهم الأساليب في التنبيه الوارد كثيرًا في القرآن الكريم، من أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾^(٦)

وقوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا ... ﴿٧٧﴾﴾^(٧)

وقوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٨٨﴾﴾^(٨)

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١).

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٣.

(٥) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ١٥.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

ولا بدّ من جوابٍ للنداء نلحظه من الأمثلة السابقة: (اعبدوا ربكم)،
(إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)، (إنما المشركون نجس).

٦ - حروف القرآن الكريم: والمقصود بها الحروف التي تصدّرت كثيراً
من سور القرآن الكريم ليُتَبَّه إلى أمور منها:

أ - أن القرآن كلام الله المعجز، وهو مؤلف من هذه الحروف التي
تقرأونها في أول السور، فمن شك أنه من عند الله فليأت بمثله!..

ب - أن هذه الحروف فواتح السور، لها أسرارها العظيمة الجليلة.

- وقد تبدأ بعض هذه السور بحرف تسمى به، كسورة «ق» وسورة «ص».

- وقد تبدأ بحرفين وتسمى بهما كسورتي «يس» و «طه» وقد لا
تسمى بهما، كسورة النمل فقد بدأت بالحرفين «طس» وسورتي
غافر، وفصلت، وأخواتهما الشورى، والزخرف، والدخان،
والجاثية، والأحقاف فقد بدأت بالحرفين «حم».

- قد تبدأ بثلاثة أحرف، كسورة البقرة وأخواتها آل عمران
والعنكبوت، والروم، ولقمان والسجدة، فقد بدأت بـ «الم».

وسورتي الشعراء والقصص اللتين بدأتا بـ «طسم».

وسورة هود وأخواتها يوسف، ويونس، وإبراهيم، والحجر، التي
بدأتا بالحروف «الر».

- وقد تبدأ السورة بأربعة أحرف، كسورة الرعد التي بدأت بـ «ألمر».

- وقد تبدأ السورة بخمسة أحرف كسورة مريم التي بدأت بـ
«كهيعص».

ولعلّ المتفحص لآيات القرآن الكريم يجد كثيراً من أدوات التنبيه التي
تحرك الوجدان والمشاعر، وتشجّد القلب والعقل، وتدفع إلى التفكير
والتدبّر، وترقق الأحاسيس، وتذكر بالله - سبحانه - وعظّمته.



الإصرار

أسلوب شديد في التأكيد يدل على:

- ١ - ثبات في التصور، وقوة التوجه.
- ٢ - إصرار على الاستمرار في تحقيق الهدف.
- ٣ - التحدي في إنفاذ ما يراد...

وإذا وجد مؤمنون بقضية ما فيهم هذه الصفات فهذه قضية نافذة بإذن الله، وأصحابها واصلون إلى ما يصبون إليه، فما بعد العزيمة والإصرار من تراجع أو انحسار، وهكذا أصحاب المبادئ، وهكذا يجب أن يكونوا.

والأمثلة في القرآن الكريم على هذا الأسلوب وافرة جداً، نقتطف من رياضه طاقة وافية إن شاء الله.

- فالكفار يوم القيامة حين يرون العذاب يتمنون الخلاص منه - وأتى لهم ذلك - وعلى الرغم من أنهم بخلاء، كانوا يسلبون الناس أموالهم وأراضيهم، ويقتلون من يقف أمام رغباتهم المتوحشة في امتلاك كل شيء، . . . ولو أنهم امتلكوا المال الكثير، والذهب الوفير، لقدموهما وأضعاف ذلك بكثير كي ينجوا من النار، لكن إرادة الله تعالى كتبت على هؤلاء الشقاء، ولا بد من العقاب الدائم الأبدي، لكل من طغى وتجبر واستكبر

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾ (١)

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ - ٣٩.

- وتأمل الإصرار في إظهار دين الإسلام، دين الحق على كل الأديان المحرّفة، والشرائع الممسوخة، على الرغم من تأمر المتأمرين، ومكر الماكرين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ (١)
وليس بعد هذا الإصرار من إصرار، والنصر حليف المسلمين إن شاء الله .

- وحين أصر الكفار من قوم نوح على الإشراك بالله، وعبادة الأصنام، وكان أحدهم يمسك بيد ابنه، ويأخذه إلى نوح فيقول له: يا بني! إن جدك أخذ بيدي إلى هذا الرجل الكاذب!! وحذّرني منه، والآن أنا أحذرك منه فلا تؤمن به، وحين أصروا على اتخاذ الأوثان آلهة فقالوا: ﴿لَا تَدْرَأُ الْهَتَكَ﴾

وَلَا تَدْرَأُ وَدَاً وَلَا سِوَاكَ وَلَا يَعْوَتُ وَيَعُوقُ وَشِرْآ (٢٢)

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ .. ﴿٢﴾ .

أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً أن يصنع سفينة، ليحمل فيها أهله المؤمنين ومن آمن معه، فقد كتب الله على الكافرين الغرق .. ونهاه أن يحدثه في نجاة الذين ظلموا. ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣٧) ﴿٣﴾ .

- إن ديننا دين البرّ، ودين الاعتراف بأولي الفضل والإحسان إليهم، والوالدان صاحبا المنة والفضل على أبنائهما بعد الله سبحانه وتعالى، وقد أمرنا الله عزّ وجلّ في أماكن عدة في كتابه الكريم، بعد الأمر بتوحيده وعبادته، أن نحسن إلى آبائنا ولو كانوا كافرين، وأن نطيعهم فيما يأمرونا به، ونرفق بهم مع الإصرار على الإيمان بالله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) سورة الصف، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٧.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾

وَأَنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمَهُمَا

إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ (١)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ

أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

وَأَنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمَهُمَا

وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿٢﴾

فالإحسان إلى الوالدين أمر مشروع، لكن الطاعة في العقيدة لله فقط سبحانه.

- وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يقسم أن يحطم الأصنام، في أول

فرصة تسنح له ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (٣)

وأصرَّ قبل إلقاءه في النار، وبعد إنقاذه منها أن يلجأ إلى الله، فهو

غوث المستغيثين ﴿فَرَأَى إِلَهَ الْهِنَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَبْطِقُونَ ﴿٩٢﴾

فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا فَالْقُوْةُ فِي الْجَبْرِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾﴾ (٤)

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ٩١ - ٩٩.

وباهتمامه عليه الصلاة والسلام وإصراره على نشر الحق كان أمةً وحده
وصار خليل الله وصاحب الملة السمحاء...

- وهذا سيدنا موسى عليه السلام، أحد الأنبياء الخمسة أولي العزم،
يصرّ على مرافقة الرجل الصالح ليتعلم منه، فهو ينطلق مسرعاً إلى مكان
اللقاء مزمماً على ذلك، ولو سار الدهر كله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ
أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتَّبِعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (١٦) ﴿١﴾،

ولما لقيه عزّفه بنفسه، وسأله أن يسمح له بمرافقته للتعلم منه فاعتذر
الرجل الصالح، فلن يستطيع أحد أن يرضى بما لا يعرف لحدوثه سبباً، ولا
يسأل عن السبب، فأصرّ موسى على التعلم منه، ووعدّه أن يصبر فلا يسأل،
ثم لا يعصي له أمراً يريدّه، فنزل الرجل الصالح على إصراره على أن يختبره
في الأمور الثلاثة الأولى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا
﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ﴿١٨﴾
قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾﴾ (٢).

- ثم إننا نرى الإصرار الذي ينبع من الإيمان العظيم لسيدنا موسى،
بدينه وقضيته حتى يقف أمام فرعون ذلك الجبار المتكبر غير هيباب ولا
وجل، يجادله ويحاجه فكرةً بفكرة.

﴿فَأَيُّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾
قَالَ: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَقَعَلْتَ
فَعَلْنَاكَ آتِيًّا فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾
قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيَّْ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٦٩.

قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣)

قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤)

قال: ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥)

قال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٢٦)

قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧)

قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ (٢٨)

قال: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرَ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ (٢٩)

قال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)

قال: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ

مُتَبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَمْرُؤَهُ إِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾

قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ عَلَيْكَ﴾ (٣٤) (١)

فالقارىء يرى ويسمع ذلك الحوار الساخن بين نبي الله المؤمن بدعوته المتحمس لها، المعتمد على الله سبحانه، وبين ذلك المتأله المتغطرس الذي يأنف أن تنزع الألوهية منه وتعود إلى صاحبها - الله سبحانه - إنه إصرار رائع على وضع الحق في نصابه .

- ونرى أحد إخوة يوسف يقف محتاراً، فقد وعدوا أباهم أن يعودوا بأخيهم بنيامين إلى فلسطين، وها هو يسرقُ ويُستعبدُ حين انكشف، ولن يصدق أبوهم هذه القصة فهو - الأب - يعرف أن ابنه رجل صالح لا يسرق . . .

فكيف يعود هذا الأخ دون أخيه، فيصرّ على أن يبقى في مصر، ولا يخلف وعده، إلا إذا سمح له أبوه بالعودة ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٢) .

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ١٦ - ٣٤ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠ .

- أما مؤمن (يس)، فقد علم بتكذيب أهل المدينة الأنبياء الثلاثة، فانطلق من مسكنه البعيد في الطرف الآخر من المدينة يسعى لنصرة أنبياء الله، ويعلن إيمانه على الرغم من هياج الكفار وتهديدهم الرسل و غضبهم منهم، ويصل الرجل المؤمن، ويصدق بكلمة الحق، ويصرّ عليها، فيقتلونه في سورة هياجهم، ويدخل الجنة، وهذا ما يصبو إليه.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥﴾

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾

ءَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا وَلَا يُفِيدُونِ ﴿٢٨﴾

إِنِّي إِذَا أُلْفِيَ ضَلَلْتُ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾

إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٣٥﴾

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿١﴾

- وهؤلاء المسلمون في المدينة، تحيط بهم الأحزاب من كل جهة... أخافوا واستسلموا أم ازداد إيمانهم وثبتوا؟.

قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من المحنة والابتلاء، ثم النصر على الأعداء، والله صادق الوعد، ورسوله صادق البشرى.. وأصرروا على الجهاد والثبات فنالوا ثمرة ذلك الصبر والإصرار والنصر، والله المنة والفضل.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) سورة يس، الآيات: ٢٥ - ٢٧.

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ

وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴿١﴾

فبالثبات والإصرار يبلغ المجتهد مأربه وينال رغبته.



(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٢٢، ٢٣.

التأكيد

الأصل في الحديث أن يكون ابتدائياً «ليس فيه تأكيد»، لافتراض أن يكون المتحدث صادقاً، والسامع سليم الصدر لا يشك في القائل وصدقه، فإن شك صار على المتحدث لزاماً أن يكون كلامه طليياً «مؤكداً» وكلما كان الشك أكبر، كان التأكيد أكثر.

وللتأكيد في القرآن الكريم طرق كثيرة، نراها في كل صفحة من صفحاته المشرقة.

ولا أكاد أبالغ إذا قلت إنك تراها في كل آية من آياته الشريفة بأساليب متعددة منها:

١ - القسم: والله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء لأنه الخالق لها، المتصرف فيها، وليس لنا إلا أن نقسم بالله سبحانه فقط، تعظيماً له، واعترافاً بألوهيته.

أ - فقد أقسم بالزمن: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) ﴿وَالْيَالِ عَشْرِ﴾ (٢) (١).

﴿وَالضُّحَى﴾ (٣) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٤) وغير ذلك.

ب - وأقسم بسمائه وكواكبه ونجومه: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (٥) (٣).

(١) سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة الضحى، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة الطارق، الآية: ١.

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ (١)

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ (٢)

وأقسم بملائكته: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَسَّطُّا ﴿٢﴾﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا ﴿٣﴾ فَالَّتِي نَقَعَتْ سُبْحًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ (٣)

وأقسم بالرياح: ﴿وَالذَّارِبَاتِ دَرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ (٤)

وأقسم برسول الله ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (٥)

وأقسم سبحانه بأمر كثيرة، وليس هنا مجال للحصر إلا أنه حين أقسم «حكاية» على لسان الإنسان أقسم بالله فقال: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُزَيِّنَ ﴿٦﴾﴾

٢ - المبالغة في التصوير:

أ - كقوله تعالى في تقريب التصور ليثبت في أذهان الإنسان: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَفِئِدَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (٧)

وقوله في الفكرة نفسها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُومُنْ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (٨)

ب - وكقوله تعالى ينفي دخول الكفار الجنة مطلقاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَحَلُ فِي

(١) سورة الشمس، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ١.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ١ - ٥.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٣.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٥٦.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٨) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

سَوَّ الْفِيْاطِ وَكَذَلِكَ تَجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٥﴾ (١).

وهل يدخل الجمل بحجمه الضخم في ثقب الإبرة؟! هذا مستحيل..
وكقوله سبحانه ينفي نجاتهم من العذاب يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءٌ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٣٦) (٢).

وهذا مستحيل أيضاً فليس المقصود من الآية إلا الذهب، فهل يملك
الإنسان بحجم الكرة ذهباً؟! وقل أي شيء مهما كان رخيصاً ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا
وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ أَوْلِيَّكَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٩١) (٣) نعوذ
بالله من مصيرهم.

٣ - تعزيز الموقف بالإحالة إلى طرف ثالث: قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ
فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٩٤) (٤).

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أول المؤمنين بما أنزله الله عليه لا
يسأل أحداً إلا الله، لكن هذه الآية نزلت على الفرض والتمثيل، وقال
العلماء: الخطاب للنبي والمراد غيره. وذلك لدفع الشك عن قصص القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥) (٥).

وقد قال النبي ﷺ: والله لا أسأل... صدق الله، وكذب اليهود.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

وكقوله سبحانه وتعالى على لسان أبناء يعقوب عليه السلام، يؤكدون أقوالهم وينزعون الشك من نفس أبيهم ويدللون على صدقهم.

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١)

٤ - أسلوب الحصر: كقوله تعالى: ﴿وَإِن أَنْتَ إِلَّا نَحْرُصُونَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ (٣).

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٤).

ففي هذه الأمثلة جاء التأكيد بالنفي والاستثناء، نفي كل صفة إلا واحدة، وكل عمل إلا واحداً.

٥ - أسلوب القصر: وقد يكون:

أ - باستعمال إنما:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ (٥)

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٦)

ففي الآية الأولى أثبت بشرية رسول الله ﷺ كسائر الناس إلا أنه يوحى إليه، ولا يوحى إليهم، فهو بذلك رسول الله إليهم.

وفي الآية الثانية سألوه عن موعد الساعة، فقصر العلم بها على الله سبحانه وتعالى، وقصر على نفسه الرسالة.

ب - بتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٦) سورة تبارك، الآية: ٢٦.

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ (٢).

ففي الآية الأولى أكد أن التوكل لا يكون إلا على الله، وفي الآية
الثانية قصر العبودية على الله والاستعانة عليه.

٦ - التكرار: سمة ظاهرة في القرآن، كما بينا ذلك حين أفردنا له
عنواناً خاصاً بل التكرار من أبرز الأساليب في القرآن، من أمثلته قوله
تعالى:

﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٣).

﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ (٤).

﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (٥).

﴿سَلِّمْ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (٦).

ثم أكد القرآن الكريم في هذه السورة «الصفات» أنهم مرسلون فقال:
﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ (٧).

ومن أمثلة التكرار قوله تعالى: ﴿فَأَنْبِئْ سَبِيحًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ...﴾ ﴿ثُمَّ
أَنْبِئْ سَبِيحًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ...﴾ في قصة ذي القرنين ...

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة الصفات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٤) سورة الصفات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

(٥) سورة الصفات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٦) سورة الصفات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

(٧) سورة الصفات، الآية: ١٨١.

وسنأتي بأمثلة كثيرة إن شاء الله في باب التكرار.

٧ - التأكيد بالحروف: وحروف التوكيد عديدة منها: إن، أن، لام

التوكيد، قد، نون التوكيد.

فمن الأمثلة قوله تعالى [إن واللام]: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مَّكَدِّينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾^(١) ومن أمثلة التوكيد [باللام ونون التوكيد] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾^(٢)

ومن أمثلة التوكيد [بقد] قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾﴾^(٣)

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمُ ﴿٤﴾﴾^(٤)

٨ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُم لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾^(٥) ما أشد

التأكيد في هذه الآية وما أسعد المسلمين به؟! إن فيها أحد عشر توكيداً على حفظ هذا الدين العظيم ومن الذي يحفظه؟ إنه الله تعالى وأعظم به حافظاً.

أ - الأول والثاني إننا (إننا ونا ضمير العظمة).

ب - الثالث: نحن (ضمير العظمة).

ج - الرابع والخامس: نزلنا (تضعيف الفعل ونا ضمير العظمة).

د - السادس: الذكر (ال العهدية).

هـ - السابع والثامن: إننا (إننا ونا ضمير العظمة).

و - التاسع: له (تقديم ما حقه التأخير).

ز - العاشر والحادي عشر: لحافظون (لام التوكيد ثم واو العظمة).

وطرق التوكيد كثيرة يلحظها المتفحص للآيات المتابع لها.

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٨ - ٥١.

(٢) سورة النكاثر، الآية: ٨.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

التكرار

ظاهرة تربوية وأسلوب تعليمي أصيلان.. يدخل إلى النفوس والقلوب من أبواب متعددة، تفتحها بطرق مختلفة قوية حيناً، وبسيطة حيناً، مخيفة تارة ومحبية تارة أخرى.

والتكرار في القرآن الكريم لم يكن زيادة لفظية دون معنى، كما في الكتب البشرية التي بين أيدينا، إنما جاء ليحقق أهدافاً معنوية، وأهدافاً نفسية، وأهدافاً فكرية كذلك.

أ - وقد يكون التكرار في تعبير ذي جمل متعددة.

ب - وقد يكون في جملة بعينها خبرية أو إنشائية.

ج - وقد يكون كلمة أو حرفاً أو فعلاً.

وقد ألمحنا إلى هذا في أسلوب التنبيه والتأكيد.

أما هنا فإننا نقف على الأغراض البلاغية التي أفادها التكرار.

من هذه الأغراض التي قادني إليها جهدي المتواضع:

١ - التعظيم والتفخيم وكمال القدرة:

كقوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ

أ - تُوَقِّئُ الْمُلُوكَ مِنْ نَشَأِهِ

ب - وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ نَشَأِهِ

ج - وَعِزُّ مَنْ نَشَأُ

د - وَتُدِلُّ مَنْ نَشَأُ

يَبْدَكَ الْحَيِّرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي
الَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَوُكُنَّ مَنْ نَشَأُ بِعَبْرٍ
حِسَابٍ ﴿٢٧﴾^(١) فالمشيئة لله تعالى والملك بيده، والليل والنهار من
عمل يده.

ومثال ذلك تكرار كلمة «ومن آياته» في ست آيات في سورة الروم^(٢)،
تدلُّ على عظمته وقدرته في مخلوقاته وعجيب صنعه.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾^(٣) فذكرُ ليلةِ القدر ثلاث
مرات تفخيم لأمرها وتعظيم لشأنها.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾^(٤)
فالقسم بالطارق، وهو النجم الثاقب من آيات الله الفخمة، الباهرة، الدالة على
عظم خالقها وقدرته. «فكرر الطارق مرتين».

٢ - التهويل والتخويف:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾^(٥) «كرر كلمة الحطمة مرتين» فما بعدها يؤكد شدة وطأتها
على أعداء الله ومكوئهم فيها وعذابهم، وإغلاق أبوابها عليهم ﴿نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ أَلَّتْ تَطَلَّحُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَذَابٍ

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) انظر: الآيات: ٢٠ - ٢٥.

(٣) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.

(٤) سورة الطارق، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الهُمزة، الآيتان: ٤، ٥.

مُتَدَدِيمٌ ﴿٩﴾ ﴿١﴾ .

ومثاله قول الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ والقارعة: يوم القيامة شديد الأهوال .

بل إن سورة الحاقة تخوفنا من القارعة نفسها: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَعدِ الْبَاقِرَةِ ﴿٤﴾﴾ (٣) والحاقة: ساعة الهول يوم القارعة .

وكقوله تعالى يذكر يوم الفصل مرتين: ﴿... يَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدرَكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ (٤) فهو يوم رهيب مخيف يعجز اللسان عن وصفه .

٣ - الترغيب والترهيب:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَذِ الْقَمَرِ ﴿١٥﴾﴾ عشر مرات في سورة المرسلات يهدد المعاندين المستكبرين، ويرغب في الإيمان بالله تعالى، والعمل لمرضاته سبحانه وتعالى .

ومثاله قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ ففي قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾﴾ تهديد وتخويف، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ ترغيب في الإيمان، والذكر، فقد كررت هذه الآيات مرات عديدة (٥) .

(١) سورة الهمزة، الآيات: ٦ - ٩ .

(٢) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣ .

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٤ .

(٤) سورة المرسلات، الآيات: ١٣ ، ١٤ .

(٥) سورة القمر، الآيات: (١٦ - ١٧) ، (٢١ - ٢٢) ، (٣٠) (٣٢) (٣٧) (فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) (٤٠) .

٤ - التوبيخ والتشنيع:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ
يَعْتَبِرُ حَتَّىٰ وَيَقْتُلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿١١﴾﴾^(١)، فتكرار فعل يقتلون تشنيع للأمر فهو فظيع يدل على
الهمجية والاستكبار وكذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾^(٢) في سورة الأنفال كررها مرتين توبيخاً لهم وتشنيعاً
على كفرهم وفسادهم.

وكذلك نجد في الآية الكريمة التالية: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُمُ
بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾^(٣) تكرير كلمة
الكتاب لاستهجان ما فعلوه من تحريف لكتاب الله سبحانه وبهتان عليه.

وكذلك نجد الاستنكار الشديد أربع مرات متتالية في قوله تعالى:
﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ في سورة النمل، يطرق الله سمعهم وأبصارهم وأفكارهم
في جميل صنعه، وفائق قدرته، وبديع خلقه^(٤).

٥ - التفصيل بعد الإجمال:

فحين يعاقب الله تعالى الكفار، يوضح لنا أن طرق عقابه إياهم كانت
متعددة، فهو القادر على كل شيء ويبدأ بكل نوع بكلمة «فمنهم من».

قال تعالى:

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾

أ - فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

(٤) انظر: سورة النمل، الآيات: ٦٠ - ٦٤.

ب - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

ج - وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

د - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا

وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥١﴾ (١).

وفي سورة الجن نجد «أَنْ وَأَنَا» ذكرتا في بداية الآيات ست عشرة مرة، وتعددت «قل إني»، «قل إنما»، وكذلك ترددت منها أربع مرات في تقسيم الناس إلى صالحين وغيرهم، ومسلمين وقاسطين.

٦ - التأكيد والتنبيه إلى خطر عظيم وأمر مهم:

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (٢) كررت «أَلَا إِنَّ» مرتين للتأكيد على هيمنة الله تعالى على السموات والأرض، وتصرفه التام بكل ما فيهما.

ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٣) فتكرار «لقد علمنا» تأكيد على واسع علمه وشموليته.

وقوله تعالى: ﴿فَقُرْآءًا إِلَى اللَّهِ إِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ (٤) فتكرار «إني لكم منه نذير مبين» تنبيه إلى خطر العاقبة وسوء المصير.

٧ - التنوع في المعنى والاختلاف في القصد:

فمثاله قول الله تعالى: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ٥٠، ٥١.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لِمَن وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٢﴾ .

ففي الآية الأولى منهما يخاطب الكفار، وفي الآية الثانية يخاطب
المسلمين ويحثهم على الإنفاق في سبيل الله .

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الكهف، مرة «فأتبع سبباً»، ومرتين
«ثم أتبع سبباً» في قصة الرجل الصالح الذي عاش مئتي سنة. ففي المرة
الأولى سلك طريق المغرب، وفي الثانية سلك طريق المشرق، وفي الثالثة
سلك طريقاً متوسطاً بينهما. فتنوعت الأسباب وتكررت الألفاظ تبعاً لذلك .

وانظر إلى اختلاف القصد في اسم الإشارة «هذا» في الآيات التالية من
سورة (ص) ﴿٣﴾ :

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٩﴾﴾ هذا الذي قصصناه عليك يا
رسول الله .

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾﴾ هذا جزاؤكم الذي وعدتم به في
الدنيا .

﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَائِدٍ ﴿٥٤﴾﴾ هذا النعيم عطاؤنا لأهل الجنة لا
يتفد .

﴿هَذَا وَإِلَى الطَّاغِيَةِ لِسُرِّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾﴾ هذا بمعنى أما بعد، انتهى
الحديث بها عن أهل الجنة .

﴿هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ هذا هو العذاب فليذوقوه .

﴿هَذَا فَوْجٌ مُتَنَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴿٥٨﴾﴾ هذا جمع كثيف اقتحم النار لا
مرحباً به .

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٩ .

(٣) سورة ص، الآيات: (٤٩)، (٥٣)، (٥٤)، (٥٥)، (٥٧)، (٥٩) .

فأنت ترى أن هذا التكرار جاء لمعنى يراد به أن يثبت في الذهن، ويدخل القلب، وتتمثله الأفكار ليعرف الإنسان من أي صنف يريد أن يكون.

ونجد في قوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ فَكَّرْتُمْ وَقَدَّرْتُمْ ۖ فَكُنْتُمْ قُلُوبًا مَّغْلُوبَةً ۗ كَيْفَ مَقَّرْتُمْ ۗ﴾^(١) أن قدر الأولى للإخبار، وقدر الثانية مع الكلمتين اللتين سبقتاها تهكم بالاستهزام، وقدر الثالثة معهما أيضاً للذم والتقييح.

٨ - التحيّة والثناء والتعليل:

وأكمل مثال يعبر عن هذه الأمور الثلاثة متتابعة ما وجدناه مكرراً في سورة الصافات في قوله تعالى:

﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۗ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾^(٢) ﴿إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(٣)

﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾^(٤) ﴿إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(٥)

﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۗ وَهَارُونَ ۗ﴾^(٦) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾^(٧) ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(٨)

﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾^(٩) ﴿إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(١٠)

ويؤكد ذلك المعنى في ختام السورة نفسها: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۗ﴾^(١١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١٢) فهو سبحانه يحييهم ويصفهم بالإحسان مادحاً إياهم، ويعلل السلام والمدح بأنهم من عباده المؤمنين.

(١) سورة المدثر، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

(٦) سورة الصافات، الآيات: ١٨١، ١٨٢.

٩ - للتنبيه إلى كثرة نعم الله ووجوب شكرها:

مثاله في قوله تعالى: ﴿قَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٣) ﴿١﴾.

فالمخاطب في هذه الآية الثقلان: الجن والإنس. والله تعالى ينهبهما إلى عظيم فضله، وجزيل خيره الذي يزيد بالشكر.

١٠ - تلخيص فكرة سابقة أو مشهد سابق:

فيكون التكرار هنا ختاماً لتلك الفقرة وتمهيداً لفقرة تالية.

هذا ما نراه في سورة الشعراء بعد قصص موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٨) ﴿٢﴾.

أ - ففي نهاية كل قوم معاندين مأساة.. فهل من معتبر.

ب - وتأکید على أن أكثر الناس - على مرّ الأيام - لا يؤمنون بالله، إنما هواهم إلههم.. ومن أضل ممن اتبع هواه؟.

ج - وأن أخذه - سبحانه - للعصاة المجرمين أخذٌ عزيزٌ، فإن فاءوا إليه سبحانه فهو الرحيم بهم، الودود لهم.

١١ - تقرير معنى في النفوس وتمكينه في القلوب:

ومثاله قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) ﴿٣﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦) ﴿٣﴾ فليس للمؤمن أن يئس، فما بعد العسر إلا اليسر، ولن يغلب عسر يسرين.

١٢ - كلا:

دقات قوية تهز الوجدان، وتنبه الغافلين، وتزلزل المتكبرين، وتزجر

(١) سورة الرحمن: ذكرت إحدى وثلاثين مرة للتعجب من إنكار الثقلين فضل الله تعالى؟.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١).

(٣) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

المعاندين... ثم هي ترفع معنويات المؤمنين وتبشرهم بالجنة والنعيم والفوز الكبير.

ففي سورة المطففين:

- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾^(١) تهديد ووعيد.
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) توبيخ وهزاء.
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٣) طرد وإبعاد.
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾^(٤) مدح وبشرى.
وفي سورة المدثر: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِآيَاتِنَا عَمِيًّا﴾^(٥) ذم وتهديد.
﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾^(٦) وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ﴾^(٦) تأكيد ووعيد.
﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٧) ذم واحتقار.

وفي سورة النبأ:

- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٨) تُؤْ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٨) تأكيد وتثبيت ووعيد.

وفي سورة التكاثر:

- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٩) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٩) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾^(٩) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٩) تهديد ووعيد.

-
- (١) سورة المطففين، الآية: ٧.
(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٥.
(٤) سورة المطففين، الآية: ١٨.
(٥) سورة المدثر، الآية: ١٦.
(٦) سورة المدثر، الآيتان: ٣٢، ٣٣.
(٧) سورة المدثر، الآية: ٥٣.
(٨) سورة النبأ، الآيتان: ٤، ٥.
(٩) سورة التكاثر، الآيات: ٣ - ٦.

التفصيل

أهناك فائدة من الحديث إن كان مبهماً، أو ملخصاً لا يفي بالغرض؟ وهل ينقذ الأمر إن لم يكن واضحاً مفهوماً؟ وإن نفذ دون توضيح وتفصيل أ يصل إلى الغاية المنشودة والهدف المقصود؟.

كلما كان الأمر واضحاً مفصلاً، دقيقاً منظماً، كان التعامل معه مريحاً بيناً. ومثاله في القرآن الكريم كثير كثير، بل إن القرآن الكريم يقوم عليه ويدعو إليه فهو يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^(١)، ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفْصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوَقُّونَ﴾^(٣).

وهذا يدعونا إلى السير على هداة لنبلغه للناس كما يريد ربنا سبحانه. فمن هذه الأمثلة قوله تعالى في آية الدين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

١ - إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

٢ - وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

٣ - وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بِيخْسَ مِنْهُ شَيْئاً

٤ - فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.

فَلْيَسْتَلِدْ وَلْيُذِ بِالْعَدْلِ

٥ - وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضُونَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَفْضَلَ إِحْدَهُمَا فَنُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا

٦ - وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا

٧ - إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا

٨ - وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ سُوْءٌ بِكُمْ

٩ - وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُكَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٧﴾

١٠ - وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ

١١ - فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ

١٢ - وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٨﴾ ﴿١﴾

أرأيت إلى هذا التفصيل الذي لم يترك شاردة ولا واردة؟، هكذا يكون التعامل شاملاً، دقيقاً، واضحاً لا لبس فيه ولا ثغرة فتحفظ الحقوق وترتاح النفوس ويسلم الدين.

- ومثاله كذلك هذا الشمول في تفصيل الشهوات، والإشارة إليها:

﴿رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

أ - مِنَ النِّسَاءِ

ب - وَالْبَنِينَ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٢، ٢٨٣.

ج - وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

د - وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ

هـ - وَالْأَنْعَامَ

و - وَالْحَرَبَ ﴿١﴾ .

- ومثاله قول الله سبحانه في وصف المنافقين المفسدين، وفضحهم
الساخر ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١ - لَا تَدْخِدُوا بَطَانَةٌ مِنْ دُونِكُمْ

٢ - لَا يَأْتِيكُمْ خَبَالًا

٣ - قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ

٤ - قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

٥ - هَتَأْتُمْ أَزْوَاجًا خَائِبِينَ وَلَا يُجِيبُونَكُمْ

٦ - وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ

مِنَ النَّيْطِ قُلْ مُؤْمِنًا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

٧ - إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا

٨ - وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴿٢﴾

- ومثاله في التعامل مع اليتامى وأموالهم، والسفهاء، والتعامل مع
النساء قوله تعالى:

١ - ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

٢ - وَمَا تَوْأَمَتُنَّ مِنْكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَحْدِلُوا فِيهَا بِطَبَعٍ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١١٨ - ١٢٠.

- ٣ - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾
- ٤ - وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاَلْبِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَىٰ وَتِلْكَ وَرُيِّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا لَمَلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾
- ٦ - وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتِهِنَّ بِخَلَّةٍ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن مَّتَىٰ مِنْهُ فَكُلُوا مِنْهُ حَيْثُمَا مَرَيْتُمْ
- ٧ - وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْفُوعًا ﴿٥﴾
- ٨ - وَأَبْلُوا الِئْتِمَانَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا
- ٩ - وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴿١﴾

- ومن الأمثلة الدقيقة الشاملة المفضلة في سورة النساء:

- ١ - آيات الموارث من الآية السابعة وحتى الآية الرابعة عشرة.
- ٢ - آيات التوبة [١٦ - ١٨] في أن المشركين لا يعمرن مساجد الله، إنما المؤمنون فقط مع ذكر سمات المؤمنين.
- ٣ - أصناف النساء المحرمات الآيات [٢٣ - ٢٤].
- ٤ - صنفا المنافقين الآيات [٨٨ - ٩١].

ومن الأمثلة في السورة نفسها قوله تعالى في القتل الخطأ:

- ١ - ﴿وَمَا كَانَتْ لِإِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾
- ٢ - وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
- أ - فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا
- ب - فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ

(١) سورة النساء، الآيات: ١ - ٦.

ج - وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ
أَهْلِيهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً

٣ - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

٤ - وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (١)

- ومثاله كذلك قوله سبحانه يبين فضله وكرمه، ويوضح سمات دينه
العظيم، وألوهيته، وربوبيته:

١ - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

٢ - وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٦﴾

٣ - قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّمَّا تَمَلَّهٖ آبَاؤُهُمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾

٤ - قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾

٥ - لَا شَرِيكَ لَمْ وَيَذَلِكْ أُزْمِتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٩﴾ (٢)

- ومن الأمثلة توضيح ما حرمه الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي

١ - الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

٢ - وَاللَّيْمَ وَالْبَغْيَ بَعْدَ الْحَقِّ

٣ - وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا

٤ - وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿١٢٣﴾ (٣)

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٢، ٩٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٠ - ١٦٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

٢ - وَإِذَا قُلِّتْ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

٣ - وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

٤ - الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

٥ - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

١ - دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

٢ - وَمَغْفِرَةٌ

٣ - وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ (١)

- وتعرف إلى عوامل النصر التي فرضها الله، هل هي محققة فينا جميعها أو بعضها، أو هي بعيدة عنا بعد السماء عن الأرض؟

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

١ - فَاتَّبِعُوا

٢ - وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

٣ - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٤ - وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ

٥ - وَأَصِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴿٦﴾

٦ - وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْشُونَ مُحِيطٌ ﴿٧﴾ (٢)

- وتابع تصوير المنافقين في سورة التوبة، بدءاً من الآية الثامنة والثلاثين إلى آخر السورة، لتكتشف فساد عقيدتهم، وسوء تصرفهم،

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

وكرههم للمسلمين، وحبهم للمشركين، وأثرهم الهدام في المجتمع الإسلامي، وضعة نفوسهم بشكل مفصل واضح شامل دقيق..

- وكذلك نجد التفصيل في سورة الكهف حين قتل الرجل الصالح الغلام، وخرق السفينة، وأقام الجدار، وعلل بعد ذلك ما فعله مفضلاً، شارحاً، معتذراً عن متابعة صحبته لموسى عليه السلام.

- وفي سورة الحج لم يقل الله تعالى للرسول الكريم: إن تكن قد كُذِّبَتْ فقد كُذِّبَ الأنبياء قبلك بل فصل القرآن قائلاً: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾^(١) فذكر عدد من الأنبياء.

- ومن الأمثلة على التفصيل وصف المؤمنين في سورة (المؤمنون)، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

- ١ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
- ٢ - وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
- ٣ - وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكْوَةِ فَعِلُونَ ﴿٤﴾
- ٤ - وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
- ب - أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
- فَمَنْ أَتَّبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾
- ٥ - وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
- ٦ - وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
- ٧ - أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾^(٢).

(١) سورة الحج، الآيات: ٤٢ - ٤٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١.

- وتعال معي كذلك نقف على صورة من صور المنافقين البائسين . . .
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ

- ١ - لَيْنَ أَخْرَجَكَ لِنَخْرُجَكَ مَعَكُمْ وَلَا نَطُوعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
 - ٢ - وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرْكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
 - ٣ - لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ
 - ٤ - وَلَيْن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
 - ٥ - وَلَيْن نَّصُرُوهُمْ لَيُوَلَّنِ الْأَعْدَىٰ نُدًّا لَا يُصْرُونَ ﴿١٢﴾
 - ٦ - لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾
- وحين يوبخ الله تعالى المطففين يوضح السبب فيقول: ﴿وَيَلِّ
لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ
يُبْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَبْظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ (٢)

- نَقَضَ الْيَهُودُ الْمِيثَاقَ، وظلموا وكفروا وكذبوا . . . فكان عذابهم أليماً
قال تعالى:

- ١ - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ
أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
- ٢ - ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ
سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
- ٣ - وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِبَشَائِرِهِمْ
- ٤ - وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

(١) سورة الحشر، الآيات: ١١ - ١٣.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

٥ - وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَظِيمًا ﴿١٥٣﴾

٦ - فِيمَا

أ - نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ

ب - وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

ج - وَقَوْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ بِمَظْهَرٍ حَقٍّ

د - وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾

هـ - وَكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

و - وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعٌ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ . . . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

ز - فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَعَتْ أُجَلَّتْ لَهُمْ

ح - وَبَصَلَتْهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾

ط - وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ

ي - وَأَكَلْتُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ . . . ﴿١﴾

- إن عودةً إلى القرآن الكريم بنباهة ويقظة توقفك على تفاصيل تدلُّ على عظمة قائله سبحانه وتعالى وعز من قائله .

وأن على الإنسان أن يفضل ويوضح ويزيل اللبس والغموض .



(١) انظر: سورة النساء، الآيات: ١٥٣ - ١٦١ .

الاستقصاء

استقصى فلان المسألة: بلغ الغاية في البحث عنها.

وأقصدُ كذلك بالاستقصاء: ذكر الاحتمالات وما قد يخطر على البال منها، وإيرادها لمعرفة أولاً، وللدرد عليها، أو إلقاء الضوء عليها ثانياً.

وعلى هذا فالاستقصاء غير التفصيل^(١) وإن كان يلتقي معه في سد الثغرات والإحاطة بالمسألة (الأمر)، وبينهما خيط دقيق، يتوضح إن شاء الله من سرد الأمثلة المناسبة.

- قال الله سبحانه وتعالى مستقصياً ما يجري حين تقوم الساعة، فيعرف الإنسان حينئذ ما قدم من خير أو شر كإنا غائبين عن فكره وعينه:

- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾
 وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
 وَإِذَا الْخُيُوطُ حُسِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْإِيعَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾
 وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾
 وَإِذَا الصُّفُوفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾
 وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِقَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَتْ ﴿١٤﴾﴾^(٢)

(١) راجع أسلوب التفصيل.

(٢) سورة التكوير، الآيات: ١ - ١٤.

فهلاً فُكِّرَ الإنسان وتُدبَّرَ وعمل لذلك اليوم، فقدم على ربه كما يقدم الضيفُ الكريم، راجياً كريم المشوى، وسعادة المأوى.

- وانظر إلى الاستقصاء الدقيق الذي لم يترك شاردة ولا واردة، في الدفاع عن سيّد المرسلين، ونفي التهم الباطلة التي أرادها له الكافرون، المبطلون، ودحض افتراءاتهم في التّقول على الله ورسوله، قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا جَاهِلِينَ﴾ (٢٩) **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبْرِئُصْ بِهِ رَبِّ السَّنُونِ** (٣٠) **قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ** (٣١)

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ۚ

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) ۚ

أَمْ يَقُولُونَ لَقَوْلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** (٣٤)

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ۚ

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)

أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٦)

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ۚ

أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ (٣٧) ؟

أَمْ لَهُمْ سُلُّوا يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعْمِلُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٣٩) ۚ

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) ۚ

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) ۚ

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢)

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) . . . (١)

أرأيت معي إلى «أم» المعادلة، هذه التي تكررت تستقصي ما قد

(١) انظر: سورة الطور، الآيات: ٢٩ - ٤٣.

يجول في نفوس المشركين من كذب وادعاء، فتسخر منهم وتردُّ بهتانهم، وتفضح أسرارهم.. هل تركت شاردة أو واردة من احتمالات إلا أوردتها؟...

- والقرآن جاء واضعاً النقاط على الحروف، موضحاً للمؤمنين ما يجب أن يفعلوه، منبهاً إلى تكذيب الكفار واستكبارهم، لكن عاقبتهم خزي وندامة، لأنهم سيعرفون - في وقت لا تنفع فيه المعرفة - أن كل ما جاء به حق لا تشوبه شائبة.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩)

وَإِنَّهُ لَحَصْرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ (١)

- والقرآن حين ذكر السابقين إلى الخيرات استقصاهم عدداً ومكانةً وهيبةً وتكريماً فقال:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٥) ﴿أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ﴾ (١١) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (١٢)

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ (١٥) مُتَّكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧)

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ (١٩)

وَفَلَكِهِمْ مِمَّا يَتَخَوَّذُونَ (٢٠) وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ (٢١)

وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَلِ الذُّرَى الْمَكُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ (٢)

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٨ - ٥١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ٢٦.

واستقصى أصحاب اليمين كذلك، هيئة ومكانة وتكريماً، فقال:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾

في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾

وَفَكَهْمٍ كَثِيفٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُوشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾

إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عَرَبًا أَعْرَابًا ﴿٣٧﴾

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾^(١).

- والإنسان بطبعه ناقص ضعيف، يظهر نقصه وضعفه في شدة حرصه، وواسع طمعه، يخاف خوفاً شديداً إن مسه الشر، يمنع رفته إن اغتنى وكثر ماله. ولكن هذا لا ينطبق على المؤمن الذي استقصى الله تعالى صفاته فقال فيه:

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّوتَ الَّذِينَ

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَدَابِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْزُقِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْزُقِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَرْوًا فَاعْتَدِكَ هُمْ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾

أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ﴿٣٥﴾^(٢).

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٤٠.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ٢٢ - ٣٥.

فما مكاننا من هؤلاء الذين مدحهم الله تعالى؟ وأين أعمالنا من أعمالهم؟
 فإن قارنا حالنا بحالهم فوجدنا خيراً فلنحمد الله، وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا.
 - وتأمل معي هذه:

[أ] الاحتمالات في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ
 أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْتُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصِدُّونَ ﴿٤٦﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْكَمَ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (١)
 ثم تأمل:

[ب] النفي المتبوع بأسلوب الاستثناء المؤكد والنفي بالاستفهام
 والدعوة للتفكير ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ
 وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ،
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلَكَ ،
 إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (٢)
 ثم تأمل معي:

[ج] الإصرار على عبادة الله وحده، والتبرؤ من الكافرين، والإصرار
 على متابعة الحق، وما على الرسول إلا البلاغ.
 قل: ﴿إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 قل: لَا أَلْبِغُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴿٥٦﴾﴾

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

قل: إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُونَ بِهِ إِنْ
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾

قل: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ (١).

وإسناد كل شيء إلى الله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ
مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾

وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ (٢).

تجدد دقة في عرض الاحتمالات والإجابات والمناقشات والإقرار
بربوبيّة الله وحده.. أليس هذا استقصاء رائعاً للأفكار، وشفاء للنفس الطيبة
في الاستقرار إلى كنف الله سبحانه وتعالى؟!.

- والمشركون لا يفتأون يعاجزون ويعاندون ويستكبرون عن الإيمان
بالله، ذلك الإيمان النقي من كل شائبة وضلال فهم، يريدون معجزات
كثيرة، ليفكروا بعد ذلك أيؤمنون أم لا؟! وفي الآيات التالية فضح لموقفهم
المتعنت ﴿وَقَالُوا

١ - لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾

٢ - أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

٣ - أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ طَائِفَةٌ مِّنَّا كِسْفًا

٤ - أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ سِيقًا ﴿٩٢﴾

٥ - أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُرُوفٍ

(١) انظر: سورة الأنعام، الآيات: ٥٦ - ٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

٦ - أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَكِنْ نُؤْمِنُ لِرُفَيْكَ حَتَّى نُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾! ﴿١﴾.

فاستقصى القرآن سناً من أحابيل المشركين ثم دحض افتراءاتهم كلها حين أمر رسوله الكريم أن يعلن رسالته وبشريته فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

- ثم انظر إلى أنواع العذاب الذي أصاب الله به من كفر ﴿وَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾

١ - فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

٢ - وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

٣ - وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

٤ - وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ (٢).

- ولما جاءت وافدة النساء إلى الرسول ﷺ تسأله حقَّ النساء وواجهن نزل القرآن يجعلهن والرجال في الطاعات والعبادات والمسؤوليات سواء بسواء، فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ (٣).

فكانت هذه الصفات العشر للرجال والنساء مجتمعين.

- وأخيراً، اقرأ معي دعاء سيدنا نوح في سوره: ﴿رَبِّ

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ - ٩٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

أ - أَعْفِرْ لِي

ب - وَلِوَالِدَيَّ

ج - وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا

د - وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴿١﴾ .

فقد استفاد نوح عليه السلام لنفسه في هذا الدعاء ثلاث مرات:

١ - اغفر لي .

٢ - ولمن دخل بيتي مؤمناً فهو مؤمن .

٣ - وللمؤمنين وهو منهم .

واستفاد والداه ثلاث مرات كذلك:

١ - لوالديّ .

٢ - ولمن دخل بيتي مؤمناً ووالداه مؤمنان .

٣ - وللمؤمنين فوالده منهم، والمؤمنات فأمه منهنّ .

استقصاء رائع... والأمثلة في القرآن كثيرة محكمة رائعة .



(١) سورة نوح، الآية: ٢٨ .

الإيجاز بالحذف

لغتنا العربية - لغة القرآن - تمتاز بالبلاغة والبيان ولن تجد لغة تضاهيها فصاحة وجمالاً.. فالله سبحانه وتعالى وقأها حقها حينما أنزل القرآن الكريم بها ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) وحين وصفها: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢).

ومن عوامل بيانها وجمالها ذلك الإيجاز بالحذف، الدالُّ على الإيحاءات البلاغية التي تغطيكَ زخماً من المعاني الكثيرة بالجمل القليلة، فلا تحتاج إلى الإسهاب والإطناب في صياغة الفكرة والمعنى، وإن كانا من عوامل جمالها أيضاً.

والإيجاز بالحذف متعدد، فقد تُسقط كلمة، أو جملة، أو جُملاً دون الإخلال بالمعنى بل يزيد هذا الحذف المعنى وضوحاً.

ومن فوائد الإيجاز هذا:

- ١ - إيراد المعنى الواسع بلفظ قليل.
 - ٢ - التنسيق الموسيقي.
 - ٣ - التخلص من التكرار الممل.
 - ٤ - تعويد العقل على استجلاء المعنى، واستنباطه، والتمتع فيه.
- أ - ومن أمثلة حذف الكلمة أو الكلمتين، قوله تعالى:

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(١) فحذف كلمة صراط قبل «غير» للعلم به وكأنه يقول غير صراط المغضوب عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾^(٢) وكأنه يقول: وقال اليهود كونوا هوداً تهتدوا.
وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا.

أرأيت إلى هذا الإيجاز بالحذف الذي زاد المعنى روعة؟.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْهُمْ اللَّهُ﴾^(٣) أي يكفيك شرهم.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٤) والمحذوف فأفطر كأنه يقول: فمن كان مريضاً فأفطر أو على سفر فأفطر.. فهل ترى خللاً في المعنى أم قوة وحسن سبك؟..

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(٥).

والمعنى: هتك الشهر الحرام تُقابل بهتك الشهر الحرام فأنت تجزم أن الجملة في الآية الكريمة أكثر وضوحاً وأكثر متانة وإيحاءً.

وقوله سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٦) والمقصود: كان الناس أمةً واحدة على الإيمان متمسكين بالحق فاختلَفوا فبعث الله... .

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٧) فهم يسألونك عن شرب الخمر وتعاطي الميسر.

(١) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ﴾^(١) والمعنى: ليس علينا في أكل أموال الأميين سبيل..

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢) والمعنى: تذكروا ثواب الله وعقابه..

وقوله سبحانه مخاطباً فرعون الغريق الذي قال وهو يلفظ أنفاسه: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنفُسِيَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْفٰسِقِينَ﴾^(٣) والمقصود: آلآن تقرُّ بوحداية الله وقد عصيت... .

والأمثلة على هذا كثير، وأنت ترى معي أن المعنى مفهوم من السياق وأن الحذف لم يضيعه بل زاده إشراقاً وترك الفكر يحدده ويلتذّه.

ب - حذف كلمات عدة أو جملة.

مثاله قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٤) والمعنى: فانتظروا عاقبة البغي والتكذيب وأنا من المنتظرين هلاككم ودماركم..

وقوله سبحانه: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٥) والمعنى: ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن من الحقوق.

ومثاله أيضاً قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٦) والمقصود: يسألونك عن الأنفال التي غنمتها في غزوة بدر لمن هي؟ قل... .

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْمُحْكِمِينَ﴾^(١) والمعنى: أن ابني من أهلي وأنت وعدتني بنجاتهم وإن وعدك الحق..

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(٢) والمعنى: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً وأوحينا إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادِنِيَوْمَ مَنَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣) والمقصود: ومن آياته منامكم بالليل وقيلولة النهار وابتغواكم في النهار من فضله.

وقوله سبحانه: ﴿... وَالَّذِينَ آوَاوَا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٤) والمعنى: والذين آووا رسول الله والمهاجرين إليهم ونصروهم أولئك...

والأمثلة كثيرة جداً، إن عدت إليها في القرآن الكريم وجدت من الكنوز ما تقرُّ بها عينك.

ج - حذف جمل عدة.

كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِمْ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْحَبِيبِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) حذف هنا عدة جمل، والمعنى: وحين ألقوه في الجب، وأصابه الهم والحزن، وتملكه الخوف أوحينا إليه...

وقوله تعالى: ﴿... أَنَا أَنْتِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾^(٦) والمحذوف: فأرسلوني إلى السجن لآتيكم

(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٥.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

بالتأويل الصحيح، فأرسلوه، فدخل على يوسف وقال له: يوسف أيها الصديق.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾ (١) والمقصود: وقال الملك: اتنوني به فانطلق الرسول إلى السجن ليخرجه منه ويحمله إلى الملك، فأبى أن يخرج إلا بريئاً فقال للرسول: ارجع إلى ربك فاسأله...

إنها معانٍ يستشققها القارئ من خلال السطور، فيعجب لوضوح المعنى دون أن يشعر أن هناك شيئاً محذوفاً..

وهذه الجمل المحذوفة ليست من أركان الجمل الأصلية، بل هي إطناب يمكن الاستغناء عنه وتبقى الجمل مكتملة المعنى.

د - حذف أصل من الجملة يفهم من السياق وقد يكون خبراً أو جواب شرط، وما شابه ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ أَلْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعاً...﴾ (٢) والمحذوف هنا جواب الشرط «لو» ولو أن قرأنا سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى (لكان هذا القرآن) بل لله الأمر جميعاً.

وكقوله سبحانه: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ (٣) والمحذوف: الخبر (كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تملك من الأمر شيئاً)...

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَن زَيْنَ لَمْ يَسُوءْ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَبًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ...﴾ (٤) والمحذوف: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً (كمن استقبحه وتجنبه واختار طريق الإيمان).

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٨.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) والمحذوف: (أعرضوا واستكبروا).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ (٢) والمحذوف: (هل تقدر على هدايته لا).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٣) والمحذوف: (كمن هو أعمى القلب معرض عن الإسلام؟).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَنْفِي يَوْجَهُهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤) والمحذوف: (كمن هو آمين من العذاب؟).

وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (٥) والمحذوف: (سيجازون بكفرهم جزاء لا يوصف).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (٦) وَمَنْزَةَ النَّاسِثَةِ الْآخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ (٦) والمحذوف: (هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء حتى زعمتم أنها آلهة!!؟).

والأمثلة على الإيجاز بالحذف إشراق في التعبير، يدلُّ على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد سبحانه وتعالى.

كما أنه يحرك العقول فتقتنص فرائد المعنى، وتستمتع بجمال العبارة، وتذكرنا بالقاعدة الذهبية «خير الكلام ما قلَّ ودلَّ».



(١) سورة يس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٤.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

المقارنة والاختيار

خلق الله سبحانه الإنسان، وكرّمه على بقية المخلوقات بما حباه من عقل يفكر به، فينقد ما يراه ويسمعه، ويصل إلى الاختيار الصحيح والقرار الصائب.

وفي القرآن الكريم عشرات الآيات، تضع بين يدي الإنسان طرقاً مختلفة، ونتائج كل منها ليختار ما يريد بعد المقارنة بينها ودراستها - على بينة وليتحمل نتائج هذا الاختيار، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ولعلنا في هذا العرض نقف على عوامل عدة لهذا الأسلوب منها:

١ - التنبيه إلى العمل الصحيح:

فقد ظنّ المشركون في مكة أنهم حين يسقون الحجيج ويضيفونهم ويخدمونهم فقد أذوا حق الله تعالى. فينبههم القرآن الكريم إلى خطأ هذا الاعتقاد وأن العمل الصحيح الذي يرضاه الله منهم الإيمان الحق به، وتوحيده، والإيمان باليوم الآخر، ونشر الدين بالجهاد في سبيل الله. وشتان بين قوم يعملون دون أساس العقيدة، وقوم وضعوا نصب أعينهم الإيمان بالله وحده ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟!﴾

لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ (١).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٩.

- ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، فالكافر كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة منكساً رأسه لا يرى طريقه، يخبط خبط عشواء يتعثر كل ساعة فيخر على وجهه.

والمؤمن سويّ صحيح البعد يمشي منتصب القامة، يرى طريقه ولا يتعثر في خطواته.

والكافر يحشر ماشياً على وجهه إلى دركات الجحيم.

والمؤمن يمشي إلى الجنة سويّاً على الصراط المستقيم ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾^(١) حقاً إن الإيمان نور وثقة يوصل إلى الهدف المنشود، ويرشد إلى الطريق السوي والسبيل الرشيد.

٢ - التحفيز إلى اختيار الكمال:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَلْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠﴾﴾

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾﴾^(٢).

فمن كانت الدنيا همه رغب أن تكون منحة في الدنيا خاصة، وليس له في الآخرة نصيب ومن طلب خيري الدنيا والآخرة - وهو المؤمن العاقل - فقد فاز بسعادة الدارين، وله حظ وافر مما عمل من الخيرات.

ومثلها قوله سبحانه وتعالى:

أ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ

ب - نُرَجِّعْهَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴿٧﴾﴾

(١) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١.

ج - وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

د - فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ (١)

فالذي يريد بعمله الدنيا فقط، ولها يسعى ويعمل ليس له هم سواها أعطياه ما نريد، لا ما يريد، وليس له في الآخرة سوى جهنم يدخلها حقيراً مطروداً من رحمة الله.

أما الذي يسعى إلى النعيم المقيم، وعمل له بما يليق من الطاعات، وهو مؤمن صادق الإيمان فقد جمع الخصال الحميدة من الإخلاص، والعمل الصالح، والإيمان فكان عند الله تعالى مقبولاً.

٣ - التحذير والترغيب:

تعال معي أيها الأخ الحبيب لتلقي نظرة على مشهد من مشاهد يوم القيامة، فترى المؤمنين يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم، فإذا هم من السعداء. وترى المجرمين يأخذون كتب أعمالهم بشمالهم فإذا هم من الأشقياء، واسمع ما يقوله المؤمن السعيد، وما يقوله الكافر الشقي واختر ما تراه مناسباً للإنسان العاقل:

أ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بَيَّنَّنَا فَيَقُولُ

- هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَيْفَا ۗ ﴿١٩﴾

- إِنْى ظَنَنْتُ أَنْى مَلِكٍ حَسَابِيَهٗ ﴿٢٠﴾

- فَهٗوَ فى عِشَّةٍ رَّاضِيَهٗ ﴿٢١﴾

- فى جَنَّةٍ عَالِيَهٗ ﴿٢٢﴾

- قُطُوفُهَآ دَابَّةٌ ﴿٢٣﴾

- كُلُّوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فى الْآبَاءِ لَعَالِيَهٗ ﴿٢٤﴾

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨، ١٩.

ب - وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كَيْبَهُ بِسَعَالِهِ فَيَقُولُ

- يَلْتَنِي لَوْ أَوْتِ كَيْبِي ۖ ﴿٢٥﴾

- وَلَوْ أَدْرِي مَا حِسَابِي ۖ ﴿٢٦﴾

- يَلْتَنِي كَأَنِّي الْفَاضِي ۖ ﴿٢٧﴾

- مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ ﴿٢٨﴾

- هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۖ ﴿٢٩﴾

- خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ (١).

- وهذا مشهد آخر شبيه بما سبقه، فالأشقياء في جهنم مستقرون هناك لهم من شدة كربهم زفير وشهيق يترددان بشدة، أصواتهم في النار كصوت الحمار، أوله زفير وآخره شهيق، ماكثون فيها على الدوام.

أما السعداء ففي الجنة مستقرون فيها لا يخرجون منها أبداً تنهال عليهم الخيرات والعتاء دون انقطاع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾

خَلِيلِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا سَاءَ رُبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ

خَلِيلِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا سَاءَ رُبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ بَجْدُوْرٍ ﴿١٠٨﴾ (٢).

٤ - تحديد العقاب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ

(١) سورة الحاقة، الآيات: ١٩ - ٣١.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨.

حَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيءُ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ بل يا رب من يأتي آمناً يوم القيامة، ونعوذ بك أن نكون وقود النار.

- وانظر معي إلى المصير الرائع للسابقين إلى الإيمان، الراغبين رضا الرحمن.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (٢)
 ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَاحَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ (٣)

أما الكفار فانظر إلى نهايتهم المأساوية: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُورٍ مَّجْمُورٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْتُمُونَ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ (٤)
 وفي آخر هذه السورة «الواقعة» يجمع القرآن الكريم عاقبة أمر هذه الفئات الثلاثة:

أ - ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾
 ب - ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَلْوَةٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٦﴾﴾
 ج - ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٧﴾ فَزُلٌّ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٨﴾ وَتَضَلُّةٌ ﴿٩٩﴾﴾ (٥)
 فمع مَنْ تريد أن تكون... يا أخي العزيز؟

٥ - تقسيم الناس:

- مرّ قبل قليل في سورة الواقعة أنّ الناس ثلاثة أقسام:

- (١) سورة الصافات، الآية: ٤٠.
- (٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ١٢.
- (٣) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٣٣.
- (٤) سورة الواقعة، الآيات: ٤١ - ٤٤.
- (٥) سورة الواقعة، الآيات: ٨٨ - ٩٤.

السابقون: هم المقربون من الله في أرفع منازل الجنة.

أصحاب اليمين: أهل الجنة في مقام أقل من السابقين.

أصحاب الشمال: أهل النار المشركون والكفار والمنافقون.

- وفي سورة فاطر نجد تصنيفاً لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

أ - فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

ب - وَ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ

ج - وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ (١).

الظالم لنفسه: العاصي من رجحت سيئاته على حسناته.

المقتصد: من استوت سيئاته وحسناته.

السابق: من رجحت حسناته على سيئاته.

- ولا شك أنك تريد أن تكون من السابقين.

- وفي سورة الجن نجد نوعين من الناس، قال تعالى:

أ - ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ

ب - وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ (٢)

أ - فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾

ب - وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ (٣).

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) القاسطون: الكافرون الجائرون عن الحق.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ١٤، ١٥.

٦ - المشاكلة:

يقول سبحانه وتعالى في سورة النور مؤكداً أن الكلمة الخبيثة تخرج من النفس الخبيثة، وأن الكلمة الطيبة تخرج من النفس الطيبة، وأن الرجل الصالح يرزقه الله الزوجة الصالحة، وأن الخبيث منهم له الخبيثات منهن ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

والله سبحانه وتعالى يجعل نساء النبي ﷺ أفضل النساء وأمهات المؤمنين لأنهن في كنف المصطفى عليه الصلاة والسلام أفضل الرجال، قال تعالى: ﴿يُنْسَأُ النَّبِيُّ لَشَأْنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ إِنِ اتَّقَىٰ﴾^(٢).

٧ - حصر العلاقات:

فقد حدد الله سبحانه وتعالى التعامل بين الزوجين في قضية الطلاق، فقد كان للرجل أن يطلق ما شاء دون أن تبين زوجته منه، وهذا ظلم لها، فقال موضحاً: ﴿أَطْلَقَ مَرَّتَانٍ فَمَا سَآءُ مَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣).
أما مصارف الزكاة فهي طرق لا يمكن تجاوزها وهي ثمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾^(٤).

٨ - العطف إلى قدرة الله تعالى:

من قدرته سبحانه وتعالى أن جعل البحار متلاصقة، متجاورة بحيث لا يتمازجان على الرغم من تلاقيهما، فلكل بحر ماء تختلف خصائصه عن ماء

(١) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

البحر الآخر. وكذلك فهو يخرج المياه العذبة في المياه المالحة، فلا يغلب أحدها على الآخر ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣) (١).

والله تعالى المالك لكل شيء لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه:
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾

أ - يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِشًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ ﴿٤٩﴾

ب - أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِشًا

ج - وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا

إِنَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (٢).

وفي غزوة بدر أغرى المشركين بالمسلمين حين صوَّروهم أكلةً جزور والجمال يكفي مئة نفر فقط، فكأنما استقل المشركون المسلمين فهاجموهم معتقدين سهولة القضاء عليهم.

وبالمقابل صور المشركين قلائل في أعين المسلمين كي لا يهابوا كثرتهم، فيصمدوا أمامهم ثم تنقلب الدائرة على المشركين قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا وَقَلَّ لَكُمُ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٤) (٣).

٩ - ضرب المثل:

كلمة الإيمان «لا إله إلا الله» كالشجرة الطيبة أصلها راسخ في الأرض، وأغصانها ممتدة نحو السماء، تعطي ثمارها بإذن الله وتيسيره دائماً، وهذه الثمار العمل الصالح يصعد إلى السماء، فينال بركته وثوابه في كل وقت. وكلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة، استؤصلت من

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، لا خير فيها، فلا يقبل
 عمل الكافر مهما عمل، لأن عمله ليس له أساس ﴿الْم تَرَّ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ
 مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوِّقَ
 أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
 وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
 قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴿١﴾

والمسلم مع هذا يفكر ويتدبر ويحسب لكل أمرٍ حسابه، ولا يعمل إلا
 ما يدخله الجنة ويبعده عن النار. . ويختار آخرته لأن فيها رضى الله تعالى .
 نسأل الله حسن الختام والبعد عن الزلل. . إنه سميع مجيب الدعاء.



(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

ذكر الأهم فالأقل أهمية

يبدأ الدين في العقيدة والعبادات بالأهم ثم الأقل أهمية، وكلها مهمة. فينطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم يبدأ الصلاة، والصلاة صلة بين العبد وربّه وأكبر دليل على تعلقه به سبحانه.

ثم يؤدي الزكاة العبادية المالية، وقد قرنت بالصلاة كثيراً سواء في النص القرآني أم في السنة النبوية...

ثم يأتي الصوم.

وأخيراً يحج من استطاع إلى الحج سبيلاً.

- ذلك أن الإنسان حين يبدأ بالأهم الأوجب يسهل عليه ما بعده، فيفعله دون حرج، بل يستسيغه ويلتذ به لأنه ترجمة لما هو أعظم منه ولا يقبل في غالب الأمور فعل ما هو أقل أهمية لأنه بناء قائم على ذلك الأساس فإن لم يكن الأساس موجوداً فعلاً يقوم البناء. أما في الأمور المعيشية كتعلم الحرفة، أو الكتابة أو التربية البدنية فالارتفاع فيها درجة إثر أخرى يوصل إلى الإتقان والإبداع.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

وَالْحَرِيثُ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَادِ ﴿١٤﴾ (١)

أ - بدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، والالتذاذ بهن أكثر، وفي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء» (٢).

ب - ثم ذكر ما يتولد منهن فقال «والبنين» وإنما ثنى بالبنين لأنهم ثمرات القلوب وقرّة الأعين، كما قال الشاعر حطان بن المعلا:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض
وقدّموا على الأموال لأن حب الإنسان لولده أكثر من حبه لماله.

ج - ثم بدأ بالقناطر المقنطرة من الذهب والفضة، وإنما كان المال محبوباً لحصول غالب الشهوات به، ﴿وَيَحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًا﴾ (٣).

ثم قدّم الذهب على الفضة لأنه أهم منها، والاثنان أصل التعامل.

د - ثم قدّم الخيل الأصيلة الحسان، ففي ركوبها الزهو وقتال العدو وسرعة الجري.

هـ - ثم جاءت الأنعام من إبل وبقر وغنم فمنها المركب والمطعم والزينة.

و - ثم جاء الزرع والغراس لأن فيه تحصيل الأقوات.

لكن هذه الشهوات متاع الحياة الزائل، وما عند الله خير وأبقى، فليكن هم الإنسان كسب ما عند الله سبحانه.

- ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى:

أ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) أخرجه البخاري.

ب - وَأُمَّنُكُمْ آلَتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعَهُ

ج - وَأُمَّنُكُمْ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُضُونِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَّتْ أُمَّنُكُمْ أَلَّتِي مِنْ أُمَّنِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

د - وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴿١﴾

١ - هناك حرمة بالنسب وهي الأقوى.

٢ - وهناك حرمة بالرضاع ثانياً.

٣ - وهناك حرمة المصاهرة ثالثاً.

٤ - وهناك حرمة المتزوجات رابعاً.

أما حرمة النسب فقد بدأ بالأصل، ومن الجنة تحت قدميها، الأم ثم البنت، فأنت أصلها وهي فرعك، ثم الأخوات المساويات لك عند والديك، ثم العمات ونسبهن أقرب من نسب الخالات، ثم تأتي بنات الأخ وهن أقرب من بنات الأخت، أما الجدة فكالألم والحفيدة مثل البنت، ولذلك لم تذكر.

وأما حرمة الرضاع فبدأ بالأمهات المرضعات ولم تذكر البنت في الرضاع، وهي بعد الأم من الرضاعة تجنباً للتكرار، وذكر الأخت من الرضاعة ولم يذكر العممة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت من الرضاعة تجنباً للتكرار كذلك، وقد ذكرت السنة النبوية أنه «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٢).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) متفق عليه.

وأما حرمة المصاهرة فتحرم أم الزوجة حرمة أبدية لأن مجرد العقد على البنت يحرم الأم، ولا تحرم البنت إلا بالدخول على الأم، وكذلك تحرم ابنة الزوجة الربيبة بعد الفراق، أما أخواتها فتحرم من حرمة مؤقتة، وكذلك عماتها وخالاتها وبنات إخوتها وبنات أخواتها. ويحرم من المصاهرة زوجة الأب وزوجة الابن.

كذلك يحرم أن يتزوج الإنسان امرأة متزوجة، فلا يجوز إلا عقد واحد، وهؤلاء يسمين المحصنات، إلا ما ملكت من النساء بالسي فيحل وطؤهن بعد الاستبراء لانقطاع عصمة الكافر، أما غير ذلك من النساء فيجوز للمسلم أن يعقد على أربع نساء إن أراد. وهكذا نجد القرآن يشرع حرمة النساء الأهم فالأقل أهمية، وكلهن مهمات.

- ويقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ...﴾ (٢).

فلماذا قدم السارق على السارقة في الآية الأولى، وقدم الزانية على الزاني في الآية الثانية؟

الجواب: أن الرجل على السرقة أجراً، لأنه يرى نفسه مكلفاً بالإنفاق فقُدّم في الآية الأولى.

والمرأة هي الشهوة، ومنها الإغراء، فهي السبب الأول الداعي إلى الزنى، فقدّمت في الآية الثانية.

- وقال الله تعالى في توزيع الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

وَالْمَعْمِلِينَ عَلَيْنَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ فِي الرِّقَابِ وَالْعَدِيمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ ﴿١﴾ فحصر الله تعالى الصدقات في ثمانية أصناف.

وقدمت الأصناف الأربعة الأولى للتمليك، فكل منهم يأخذ نصيبه بيده، وأخرت الأصناف الأربعة الثانية لأن الدفع يكون عنهم لغيرهم.

أما الأصناف الأربعة الأولى فأولهم الفقير الذي لا شيء له، وثانيهم المسكين الذي له بلغة من العيش قليلة، أما الموظف الذي يجبي الزكاة فله منها أجره، والقسم الرابع لا يعمل في الزكاة، ولا يحتاج إليها، لكن الحاكم يعطيه منها لأنه شريف في قومه، يتألف قلبه للإسلام، فيؤمن ويؤمن من معه وراءه كما فعل رسول الله ﷺ مع صفوان بن أمية وغيره.

أما الأصناف الأربعة الثانية فهم: العبيد تدفع لأسيادهم فيعتقونهم، والغارمون الذين ثقل عليهم الدين وفي تجهيز المجاهدين والمرابطين في سبيل الله، وتجهيز المنقطع بدابة تحمله، وزاد يتبلغ فيه في سفره وعدة السفر.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (٢).

والترتيب كما يلي:

- أ - أن لا تشرك بي شيئاً: واجعل بيتي العتيق خالصاً لوجهي.
- ب - طهّره من الأوثان والأقذار لمن يتعبد فيه بالصلاة.
- ج - ذكر من أركان الصلاة أهمها: الركوع والسجود، والركوع يكون قبل السجود.

وحين يصبح البيت الحرام جاهزاً للعبادة:

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

أ - يؤذن إبراهيم عليه السلام، ويبلغ الله تعالى صوت نبيه إلى أصلاب الرجال، وأرحام النساء فيجيئون: ليك اللهم لييك.

ب - يأتي الرجال على أقدامهم وراكبين على نوقهم، ولأن الحاجين على أقدامهم أكثر قدموا على الراكبين.

- ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلْيَصْرِنَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَا يُدِينُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيكَ غَيْرَ أُولَى الْإِزْيَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الذَّكَرِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...﴾ (١).

فالزوج يرى كل ما يريده من امرأته لأنها حلال له.

والأب: يصون عرض ابنته، فهي شرفه وعفته.

والعم أبو الزوج، يحفظ على ابنه ما يسوءه، ويحرص على حفظ شرفه.

والأبناء يعتزون بشرف أمهاتهم، فهم من لحمهن ودماثهن.

وأبناء الأزواج يعتبرون زوجات آبائهم كأمهاتهم، ويحفظون آباءهم في زوجاتهم.

والإخوان هم الذين كانوا يحرصون على أخواتهم قبل زواجهن وما يزالون كذلك.

وأبناء الأخوة لا يرون في العمات إلا صنو الأمهات وأخوات الآباء.

وأبناء الأخوات لا يرون في خالاتهم إلا شرف أمهاتهم.

ثم تأتي نساء المسلمات الشريقات العفيفات اللواتي يحفظن شرفهن، وشرف أخواتهن المسلمات أين كنَّ وأيان كنَّ.

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

أما الإماء المشركات فيجوز لسيدتهن أن تظهر زينتها أمامهن لأنهن ملك اليمين. وكذلك العبيد فمكانتهم الدونية تمنعهم من التطاول إلى التفكير في المرأة الحرّة التي تملكهم وتتصرف فيهم كما تشاء.

أما نساء غير المسلمين فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تظهر زينتها أمامهنّ لفسادهن، ولأنهن يصفن المسلمات لأزواجهن غير مباليات بدين، ولا حرمة ولا شرف.

ثم يأتي الجواز للنساء أن يظهرن أمام العتّين، الذي لا يشتهي النساء أو الأبله والمغفل الذي لا يهमे إلا بطنه.

وأخيراً يجوز للمرأة أن تظهر زينتها أمام الطفل، الغريب الذي لا يميّز ولا يعرف حاجة الرجال إلى النساء.

كما أن على المرأة أن تمشي بأدب، دون أن تتلوى أو تظهر زينتها بشكل عفوي مقصود...!!.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية الآية الحادية والستون من سورة النور، التي تبيح الدخول إلى بيوت الأقارب دون حرج.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدِينَةِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ

أ - اَعْبُدُوا اللَّهَ

ب - وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ

ج - وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾^(١).

فإذا عرف العبد ربه عبده، وخاف الحساب يوم القيامة أحسن وعاف الفساد...

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٦.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾

أ - أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ

ب - وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

ج - وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ

د - وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

هـ - وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ (١)

ويتضح الترتيب:

أ - يرسل الرياح فتسوق السحاب مبشرة بنزول المطر والإنبات والرزق.

ب - ثم ينزل الغيث الذي يحيي البلاد والعباد.

ج - وتحرك الرياح السفن فتسير إلى المكان الذي يريده المسافرون.

د - ويتاجر التجار طالبين الرزق من الله تعالى.

هـ - فيرزقهم فيشكرون الله تعالى على فضله ومنه وكرمه.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبُوبَا

بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

تُخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ (٢)

ذكر سبحانه التحليق قبل التقصير لأنه أفضل ثواباً.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَوَّكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً

وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ آيَاتِهِمْ وَالسُّوءَ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ (٣)

يوضح الله تعالى خبيثة أعدائنا فهم حين يضعفون يتظاهرون بالودِّ

والصداقة، وإن يظفروا بنا ويتمكنوا منا.

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

- أ - يظهروا عداوتهم لنا.
 ب - يقتلوا ويدمروا ويسبوا ويشتموا.
 ج - ويتمنوا من كل قلوبهم أن يؤدي بنا فعلهم هذا ويطشهم إلى أن نرتدَّ عن ديننا.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُجْرِئُكُمْ تَيْنَ عَلَابٍ ۚ الْإِيمُ ﴿١٤﴾

- أ - تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 ب - وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ج - يَفْقِرَ لَكُمْ دُونِكُمْ
 د - وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
 هـ - وَأَخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرًا مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحًا قَرِيبًا وَيُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (١).

- عُدَّ إِلَى الآيات مرة أخرى لترى الترتيب كما ذكرناه مسلسلاً، وتدبر ذلك.
 - والمثال الأخير في هذا العرض، قوله تعالى: ﴿إِنْ نُؤَيَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدَ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
 أ - فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
 ب - وَجِبْرِيلُ
 ج - وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ
 د - وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ (٢).

تدبر هذه الآية مرة أخرى لترى ذلك الترتيب.

(١) سورة الصف، الآية: ١٣.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.

التدرج

التدرج في التربية أسلوب يدل على حكمة صاحبه، وقدرته على التلطف في مخاطبة العقول والأفهام، فينتقل من فكرة إلى فكرة، معتمداً على المحاكمة العقلية، والحجة المقنعة، والبرهان الواضح.

والإنسان يحمل أفكاراً يؤمن بها - ولو كانت باطلة - ويعتقد بصحتها - وإن كانت زائفة - فإذا جبهته بخطئه أنكر دون وعي، ودافع دون هودة، وهاجم دون بينة واتخذ منك عدواً يجب قراعه ومصاولته، وبذلك ينقطع حبل الوصال بينك وبينه، فلا تصل معه إلى نتيجة.

وكثير من الناس يعيشون في أرض مليئة بالهوام السامة، وهم معرضون للدغة ثعبان أو لسعة عقرب . . فماذا يفعلون . . إنهم يستقون السم لتصبح أجسادهم معتادة عليهم، فتتحمل أذى تلك الحشرات. ولكنهم حين يتناولون هذا السم يأخذونه أولاً جرعات خفيفة، ثم يزيدها إلى قدر معلوم . . ولو أخذوه دفعة واحدة لماتوا سريعاً، فقضوا على أنفسهم قبل أن تقضي عليهم سموم الحشرات والحيوانات . . .

والقرآن الكريم سجل لنا كثيراً من وقائع هذا الأسلوب الحكيم.

- فهذا سيدنا إبراهيم أراه الله تعالى مرة بعد مرة خلق السموات، والأرض، من بديع النظام وغريب الصنع، وجلّى له بواطن أمورها وظواهرها ليزداد يقينه بالله تعالى حين يعرف سننه في خلقه، وآياته الدالة على ربوبيته، ليقم بها الحجة على المشركين الضالين.

وأراد سيدنا إبراهيم أن يزيل الغشاوة عن عيون قومه، والران عن قلوبهم، فيعبدون الله وحده، وينبذون الآلهة المزعومة الأخرى، فرآهم يعبدون كوكب المشتري الذي لا يضر ولا ينفع، فقال مثلما يقولون: هذا ربي وهو موقن أنه ليس ربا، لكنه يريد أن يستدرجهم لسماع حجته على بطلان عبوديتهم لهذا الكوكب، فأوهمهم أنه موافق لهم - على زعمهم - فلما غاب هذا الكوكب نقض ربوبيته، فما ينبغي لإله أن يغيب عن عبيده، فغيابه نقص فيه، وضعف شديد. وسيبحث العباد عن إله غيره يبقى معهم ويرعاهم، لكنه لم يقل هذا ليس إلهاً لأنه أراد أن يعرض بجهل قومه دون أن يستفزهم، وينبههم إلى ما غاب عنهم من تفكير صحيح وتقدير سليم دون أن يحرك مشاعر العداة نحوه، فقال: لا أحب الأفلين..

وبهذا رمى بذرة الشك في نفوسهم... وقوله عليه السلام صحيح، فالإله الذي يحتجب لا يدري شيئاً من أمر عباده.

ثم انتقل في الليلة التالية إلى القمر، فضوئه أسطع، وحجمه حسب ما يروونه أكبر فهو على هذا الأساس أحق أن يعبد.. فلما أفل هذا أيضاً قال إبراهيم مسمعاً من حوله من قومه: لئن لم يهدني ربي ويوفقني لإصابة الحق في توحيدِه فسوف أكون كبقية الناس ضالاً، بعيداً عن عبادة الله الحق. وهذا تعريض يقرب من التصريح بضلال قومه، فالناس الليلة الماضية أنسوا بقدره في الإله الأول وتعريضه به، وما عرض إبراهيم عليه السلام هذه الليلة بضلالهم إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعه إلى آخره، وازدادت بذرة الشك نمواً في نفوسهم، فالإله الغائب لا يدري حقاً بما يحل بعباده، بل إنه أصلاً ليس إلهاً.

وحين بزغت الشمس وملاً ضوءها المكان وخرج الناس إلى أعمالهم، وامتألت الطرقات بالناس، والحقول بالمزارعين، قال إبراهيم مشيراً إليها: الذي أراه الآن ربي أليس كذلك، إنه أكبر من النجم والقمر، وأشد تأثيراً.

قال هذا يجاريهم حتى يستأصل بعد ذلك الإشراك من نفوسهم.. فلما غابت كعادتها قال كلمته التي يريدونها دون أن يخاف ردة فعلهم الشديدة،

فغياب الشمس أشدّ وحشة من غياب المشتري والقمر، فالظلمة بعد النور الساطع أشدّ وأقسى من الظلمة بعد الضوء الخفيف. قال: يا قوم إني بريء مما تشركون.

ألا ترون أنه حاور وداور وتلطف في القول، وأرعى لخصمه العنان حتى وصل إلى ما أراد بالطف وجهه، وأحسن طريقه، متبرئاً من تلك المعبودات التي جعلوها أرباباً وآلهة مع الله..

وبعد أن تبرأ من معبوداتهم وترك في نفوسهم الشك فيها، أعلن اتجاهه إلى الله تعالى وحده، ثم تبرأ من المشركين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾^(١).

- وهؤلاء إخوة يوسف أرادوا أن يقنعوا أباهم أن الذئب أكله، وحسبهم أنه إذا لم يقتنع فسوف يرضى بالأمر الواقع، والزمن كفيل أن ينسي الأب ابنه الحبيب فماذا فعلوا؟ وكيف خططوا؟

١ - جاءوا أباهم في الليل.. والليل يستر النظرات الكاذبة والحركات المصنعة..

٢ - تصنعوا البكاء منذ دخلوا الدار وسمع أبوهم حركاتهم وأصواتهم، فدخل في روعه أن هناك مصيبة حصلت، وأن عليه أن يتجمل لها.

٣ - فلما دخلوا عليه هكذا، ورأوا منه تلهفاً ولم يجد يوسف بينهم تحببوا إليه بقولهم «يا أبانا»، وهذه كلمة سحرية تستدر عطف الآباء ومغفرتهم لأبنائهم.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٥ - ٧٩.

٤ - لم يرموا بالخبر فوراً إنما بدأوا بمقدمات توصل إلى المقصود، فقد ذهبوا يستبقون، ونيتهم سليمة تجاه أخيهم، وباعتباره صغيراً فقد تركوه عند متاعهم يحرسها، وجاء ذئب فأكله. ولما كنا بعيدين لم نسمع استغاثته وصراخه.

٥ - فلما ألقوا إليه بالخبر أرادوا أن يقطعوا الشك باليقين فقالوا مؤكداً صدقهم مستبشرين اعتراضه، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا ولو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك؟ ولك العذر في هذا لغرابة ما وقع، وعجيب ما انفق لنا في ذلك الأمر.

ولما أرادوا أن يزيدوا ما فعلوه حبكة وتأييداً وقعوا في مأزق فضحهم وكشف كذبهم وادعاءهم.

فقميصه ملطخ بدم لم يتغلغل في كل قطعة منه، وكان الذئب كان مؤدباً عاقلاً، فجعله يخلع قميصه قبل أن يأكله، فلم يتمزق كي ينتفع به، فعلم الوالد أنها مؤامرة وصرح لهم بذلك، ثم وكل أمره إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَرَكَّعْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعُونَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿١٨﴾﴾ (١).

- وهذا موسى عليه السلام يظن - لكونه نبي عصره - أنه أعلم أهل الأرض في زمانه. فلما قيل له: إن الرجل الصالح «الخضر» أكثر منه علماً أراد أن يلقاه فيتعلم منه، إلا أن الخضر اعتذر إليه، فلا يمكنه مصاحبته، إذ أنه سيقوم بأعمال يعترض عليها موسى لأن ظاهرها غير مقبول، وليس الخضر مستعداً دائماً أن يشرح له ما يفعله. لكن موسى أصر على صحبته والاستفادة منه، وتعهّد أنه لن يعترض إلا أن يشرح له الخضر نفسه في الوقت الذي يريد، وأسقط في يد الرجل الصالح، فاعتذاره لم يُجدد، فموسى نبي الله، ومن أولي العزم الكرام عليهم صلوات الله جميعاً وسلامه،

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٦ - ١٨.

فانطلقا، وركبا في السفينة، وخرقها الخضر قبل أن ينزل، فاعترض موسى على سوء العمل هذا، فكيف نجزي أهل الخير شرًا؟! ذكره الخضر قائلاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، أجابه موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، وحين قتل الخضر الولد اعترض موسى فهذا عمل منكر لا يفعله المسلم، ذكره الخضر، فزاد «لك» في الجملة التالية: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟﴾ أجابه موسى، وقد شعر بالحرَج هذه المرّة: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُمْ بِعَدَاهَا فَلَآ تُصِغْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا﴾ (٧٦) وحين دخلا قرية بخيلة لم تستضفهما أقام الخضر جداراً مائلاً كاد يقع فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وهنا كان من حق الخضر أن يفارق موسى، وعلى موسى أن يرضى الفراق لأنه لم يستطع الالتزام بالسكوت. فافترقا بعد أن قص الخضر عليه أسباب أفعاله السابقة. فكان التدرج عند الخضر في جوابه كل مرّة بما فيه من عتاب. وكان التدرج عند موسى في إجاباته عقب كل حادثة بما فيه من إقرار^(١).

- ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَّخِذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَوْلِيَاءَ فَإِنَّمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (٢).

فالجهد الحربي يتطلب قتالاً عنيفاً وخشونة وغلظة في التعامل مع العدو.

- ١ - وأول القتال ضرب يقطع الهامات ويقتل العدو حيث كان فلا رحمة مع الأعداء الذين إن ظهروا علينا فلن يرحمونا..
- ٢ - فإذا انكشف الأعداء وظهر الضعف فيهم وبدأوا الهرب أو الاستسلام وخضدت شوكتهم فلا بأس من اتخاذ الأسرى، فحربنا ليست لإيادة الناس، إنما لإخضاعهم، فيسمحوا لنا بنشر ديننا دون مضايقة.

(١) يمكن مراجعة الآيات في سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٨٢ تركتها لطولها ولمعرفة عامة الناس بها.

(٢) سورة القتال (محمد)، الآية: ٤.

٣ - ويظل هؤلاء الأسرى في بلاد المسلمين حتى تنتهي المعركة وهنا يمكن لنا تسريح الأسرى حسبما يقتضي الأمر:

أ - فإما مبادلة أسرانا بأسراهم .

ب - إن لم يكن لنا أسرى عندهم أخذنا من بعضهم الفداء، ومنثا على الآخرين بحريتهم دون مقابل .

إذا فالقتل أولاً لكل من يقف أمام جيش المسلمين، ثم الاحتفاظ بالأسرى حتى الغلبة، ثم فكك الأسرى بطرق مختلفة .

- يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَهُمَا فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١).

والمؤمنون إخوة متراحمون لا يجوز القتال بينهم، فإن حصل لأمر ما فيجب:

أولاً: الإصلاح بين الطرفين .

ثانياً: قد يرفض أحد الطرفين الصلح، ويرى نفسه صاحب حق ولا يرضى بحكم الأمير، ويصر على القتال دونما حق .

ثالثاً: يكون المسلمون كلهم يداً واحدة على الباغين، ويقاتلونهم ليعودوا إلى الحق ويفيئوا إليه .

رابعاً: على الحاكم أن يعدل حينما يصلح، دون التأثير بإساءة من لم يعودوا إلى الحق إلا مرغمين .

- وحين هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، وحصل بعد صلح الحديبية أن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط جاءت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ، فخرج في إثرها أخوها عمارة والوليد يقولان للنبي ﷺ ردها علينا

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩ .

بالشرط. فقال: كان الشرط في الرجال لا في النساء. فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة موضعاً ما يجب على المسلمين أن يفعلوه مع النساء إن جنن مهاجرات: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَمَمَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاوَهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاوَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَتَسَكَّرُوا بِهِنَّ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ يَبْتَئِكُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ (١).

انظر معي إلى التدرج:

١ - جاءت المهاجرة فاستحلقت أنها ما هاجرت بغضاً لزوجها، ولا طمعاً في زوج أو دنيا، وأنها ما خرجت إلا حباً لله ورسوله، وربة في دين الإسلام.

٢ - إذا تحققت من إيمانهن بعد امتحانهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، فلا تحل المرأة المؤمنة للمشرك، ولا للمؤمن نكاح المشركة.

٣ - وحتى لا يجتمع على الرجل الكافر خسران الزوجة والمهر، يُعطى مهرها الذي دفعه لها إذا أسلمت.

٤ - للمسلم بعد ذلك أن يتزوجها بعد أن يدفع مهرها.

- ونقف عند هذه الآية الرائعة في المسامحة والمغفرة، يقول الله تعالى: ﴿... وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾

العفو: أن تمتنع عن عقوبة من أساء دون أن تنسى الإساءة، أو تتناساها.

الصفح: أن تمتنع عن عقوبة من أساء وتتناسى الإساءة دون أن تنساها.

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

المغفرة: أن تمتنع عن عقوبة من أساء، وتنسى أنه أساء إليك.

وهذه مقامات لا يرتفع إليها إلا ذوو الفضل والإحسان.

فالعفو مطلوب، وأحسن منه الصفح، وأحسن منهما المغفرة، نسأل الله أن يجعلنا أهلاً لعفوه وصفحته ومغفرته، إنه سميع الدعاء.

- وأخيراً نتأمل الطريقة الحكيمة في تدرج تحريم الخمر.

فقد كان الجاهليون يعتبرون شربها من صفات الوجهة التي تدل على غنى من شربها وعلو كعبه وكانوا يصرحون بشربها.

فهذا طرفة يجعلها من أسباب رغبته في العيش فيقول:

ولولا ثلاث هنَّ من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كُمَيْتٍ متى ما تُعلَّ بالماء تُزبد
وهذا عنتره يفخر أنه يشربها ويتلذذ بها، ويستهلك ماله فيها دون أن يتعته السكر ويفقد وعيه:

فإذا شربتُ فإنني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم
فلما جاء الإسلام ورأى تعلق العرب بها حرّمها على فترات.

فلما عرف المسلمون أن الخمر لا تليق بالمسلم الحق سألوا عن مكانها في عالم المسلمين، لكن القرآن عرف أن غالبية من أسلم يصعب عليهم تركها، فكان الجواب: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١). والمسلم مثال الاتزان - هكذا يجب أن يكون - فالأحرى به أن يتخفف منها لا سيما أن الإثم أكبر من النفع، فكانت هذه الخطوة الأولى.

ثم جاءت الخطوة الثانية، فالصلاة خشوع، وفهم، وتدبر لما تقرأ، ووقوف بين يدي الله تعالى، والخمر تذهب الفكر والعقل، فهل يليق بالمسلم أن يقف بين يدي الله سبحانه يصلي ولا يعرف ما يقول؟! إذا لا بد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

من تجنبها في أوقات الصلاة، فما عاد راغبها يشربها إلا بعد صلاة الفجر
وصلاة العشاء فهناك متسع بعد هاتين الصلاتين وهكذا انحصر تعاطيها.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (١).

وحين يريد المسلم أن يصلي صلاة الضحى أو يقوم الليل فعليه أن
يبعد الخمر عن تفكيره، فأصبح المسلمون زاهدين فيها وصاروا جاهزين
لقبول تحريمها، فأنزل الله تعالى تحريمها قائلاً:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ يَجْسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٩١) قال المسلمون: انتهينا يا رب انتهينا.

فالخمر كما يصنفها القرآن مع غيرها من الموبقات:

١ - خبث ونجس وقدر من الشيطان، وعلى المسلم أن يعصي الشيطان
ويبتعد عن القدر والنجس.

٢ - إن متعاطي الخمر يذهب عقله، ولاعب القمار إذا ربح ساء أدبه، وإذا
خسر اشتاط غضبه، وفي الأمرين ذهاب العقل، ومن ذهب عقله لم
يدر ما يفعل ولا ما يقول وقد يؤدي الآخرين ويصبح مطية للشيطان -
وهو عدو للإنسان - فيزرع العداوة والبغضاء في المجتمع وتزداد الإحـ
وتكثر الشحناء.

٣ - الاستفهام ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل وقد تلى
عليكم ما فيها من المفسد التي توجب الانتهاء، فهل أنتم منتهون أم
باقون على حالكم؟

فكان جواب المسلمين: انتهينا يا رب انتهينا يا رب وسفحوها في أزقة
المدينة.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠ - ٩١.

حسن الخاتمة

ما منا إلا من استمع إلى محاضرة، أو خطبة، أو قصة، أو محاوره بين اثنين، أو أكثر، وخرج منها بفائدة تقل، أو تكثر.

والفائدة القليلة قد يكون سببها المحاضرُ أو المتلقي أو كلاهما، وهذا ينطبق على تحصيل الفائدة الكثيرة كذلك.

فإن كان الأثر قليله وكثيره من المتلقي فلأنه واع مدرك أو عاديّ بليد، منتبه مركّز أو غافل لا، حريص على الفائدة أو زاهد فيها، مضطر إليها أو راغب عنها.

وإن كان الأثر قليله وكثيره من المتحدث فلأنه مرتب أفكاره منسّقها أو مبعثرها مخلخلها، متمكّن منها، أو ضعيف فيها، صادق، أو كاذب فيها. متابع للمتلقي مركّز انتباهه عليه، أو منشغل بأوراقه وتعاييره. يلون الخطاب تبعاً للأفكار ليجذب المتلقي، أو يمشي على نسق واحد ممل. يقف عند آخر كل فكرة ملخصاً ومنهياً، ورابطاً الأفكار بعضها ببعض، أو مازجاً فكرة بأخرى دون التنبيه إلى ذلك...

والقرآن الكريم مثال للإيجابيات كلها، وحسبه أنه كلام الله تعالى. وستقف من هذا كله على خواتيم الأفكار والمقاطع، نبرهن أنها جاءت منبهة إلى أهمية ما قيل قبلها، تحمل العبرة والعظة، تلخص الفكرة وتدعو إلى التفكير والتدبر، تؤكد كل صدق، وتنفي كل ادعاء. وقد تكون الخاتمة هذه آية أو آيتين أو أكثر من ذلك وفق مقتضى الحال.

ففي سورة آل عمران نجد في الآيات [١٣٠ - ١٣٧] المعاني التالية:

١ - نداء الله الخالد للمؤمنين .

أ - أن يتعدوا عن الربا .

ب - أن يتقوا الله تعالى ففيها الفلاح .

ج - أن يتقوا النار المعدة للكافرين .

د - أن يطيعوا الله سبحانه ورسوله الكريم .

هـ - أن يسارعوا إلى مغفرة الله .

و - أن ينفقوا أموالهم في حالي اليسر والعسر .

ز - أن يكظموا غيظهم، ويعفوا عن الناس .

ح - أن يتركوا الفواحش، ويذكروا الله .

ط - أن يتوبوا عن المعاصي، ويصروا على تركها .

٢ - ومن يفعل ذلك فله عفو ربه وجنات تجري من تحتها الأنهار .

٣ - من لم يفعل ذلك كانت نهايته سيئة كالأمم السابقة التي عوقبت، وأثار دمارها واضحة في أماكن هلاكها .

ثم تأتي الخاتمة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١)

وأنت ترى في اسم الإشارة «هذا» عودة إلى المعاني التي ذكرناها، وطريقاً واضحاً على المؤمنين أن يسلكوها، وفي آثار الهالكين موعظة تدفع المتقين أن يعتبروا بها .

- وفي سورة النساء نرى الآيتين [الحادية عشرة والثانية عشرة]

تحملان:

١ - وصايا وقواعد في الميراث:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

- أ - فللذكر مثل حظ الأنثيين .
 ب - الورثة الوحيدة لها نصف الميراث .
 ج - اثنتان فما فوق لهما الثلثان .
 د - يرث كل من الأبوين السدس مع وجود الأولاد .
 هـ - للأم الثلث إن لم يكن للميت أولاد .
 و - الوصية والذبيقُ مقدمان على الورثة .
 ز - للزوج نصف مال زوجته إن لم يكن لها ولد .
 ح - إن كان لها ولد فللزوج الربع فقط .
 ط - للزوجة الربع إن لم يكن للزوج ولد .
 ي - إن كان له ولد فللزوجة الثمن .
 ك -
 ل -

٢ - الخاتمة جاءت مشيرة إلى هذه القواعد بأنها حدود الله وعلى المؤمنين طاعته والعمل بها ليفوزوا بجنته ورضوانه فإن عصوه فلهم النار والعذاب المهين ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾^(١).

- فإذا توقفنا في سورة الأنعام أمام قصة سيدنا إبراهيم مع قومه:

- في الآيات [٧٤ - ٨٧] وجدنا المعاني التالية:

أ - إنكار إبراهيم على أبيه عبادة الأصنام.

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

- ب - معرفة إبراهيم سلطان ربه الباهر.
- ج - تدريج إبراهيم الذكي في إبطال عبادة الأصنام.
- د - البراءة من قومه وشركهم.
- هـ - تخويف قومه إياه من آلهتهم، وإبطال إبراهيم حججهم، ودحض افتراءهم.
- و - المؤمنون الموحدون آمنون.
- ز - إكرام الله إبراهيم أن جعل الأنبياء في ذريته.
- ح - إن الهدى من الله سبحانه وتعالى.

٢ - ثم تأتي الخاتمة تشير إلى أن الطريق المستقيم من فضل الله، وأن الشرك يبطل العمل، وإن يكفر مشركو مكة ومن بعدهم فإن الله عبادة يحملون رسالته ويحافظون عليها ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ اللَّهُ بِعَثَمٍ ﴿٨٨﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ (١)

فكانت الخاتمة تنبيهاً إلى أهمية الدعوة إلى الله، والتبرؤ من الشرك، ومدح حاملي الرسالة إلى الناس.

- وتعال معي نتدبر معاني الآيات التالية في سورة الأعراف [١٣٨ - ١٧٣]، ففي هذه الآيات سرد لما فعله قوم موسى بعد أن أنقذهم الله سبحانه وتعالى من فرعون، وصاروا آمنين.
- ١ - أ - رأوا قوماً يعبدون أصناماً، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه.

ب - خرج موسى للقاء ربه ليعود بالشرعة في ألواح إلى قومه وأمر

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

هارون أن يخلفه فيهم، وبعد خروجه بقليل رأيناهم اتخذوا من حليهم عاجلاً جسداً له خوار إلهاً يعبدونه.

ج - اختار موسى سبعين رجلاً لم يسجدوا للعجل يأتون إلى الجبل ليعتذروا عن قومهم بسبب اتخاذ العجل، فلما وصلوا الجبل قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فماتوا من الصعقة. هؤلاء خيار بني إسرائيل فكيف شرارهم؟.

د - أكرمهم الله كثيراً، فقد قسمهم موسى اثني عشر قسماً، وجعل لكل قسم منهم عين ماء، وأنزل الله عليهم المن والسلوى، لكنهم رفضوا هذا، وطلبوا القثاء والثوم والبصل، وما شابه ذلك.

هـ - ولكي يغفر الله لهم أمرهم أن يدخلوا القدس ساجدين ويقولوا «حطّة» أي حطّ عنا يا ربنا ذنوبنا، فبدّلوها إلى «حنطة» ولم يدخلوها ساجدين، بل يزحفون على أستاهم، فأرسل الله تعالى الطاعون عليهم بظلمهم.

و - نهاهم الله عن الصيد في السبت، فتحايلوا على ذلك فمسخهم الله قردة وخنازير.

ز - أمرهم الله أن يحكّموا شريعته فأبوا، فاقتلع جبل الطور ورفعهم فوقهم فلما أيقنوا أنهم ميتون لا محالة قبلوا حكم التوراة خائفين.

ح - وفي خلال هذه القصص عن بني يهود أحكام وتشريعات وتنبهات فيها براهين وحجج دامغة.

٢ - ثم تأتي الخاتمة: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤) (١).

وقد فصل الله تعالى الآيات ليتدبرها اليهود في عهد النبي ﷺ، ويعتبروا بما حصل لأجدادهم فيرجعوا عن غيهم، وفسادهم، ولا يكونوا مثل أجدادهم ضلالاً وكفراً...

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٤.

إذا جاءت الخاتمة عبرة وعظة ودعوة إلى الإيمان.

- وإذا أمعنا النظر والتفكير في الآيات التالية من سورة الأعراف نفسها.

- الآيات [١٧٩ - ٢٠٢] نجد المعاني التالية:

أ - إن الذين يكفرون بالله من الجن والإنس كالأنعام لا يعقلون وهم في جهنم خالدون.

ب - لله الأسماء الحسنى، ولا يجوز العدول عنها إلى دعاء غيره سبحانه.

ج - من يكفر يستدرجه الله ثم يهلكه.

د - الرسول منذر وليس مجنوناً.

هـ - وجوب التفكير في ملكوت الله.

و - الضال متحير متردد، لا يستقر على حال.

ز - قيام الساعة غيب لا يعلمه إلا الله.

ح - كل شيء بأمر الله، والإنسان ضعيف عاجز.

ط - لا يرضى الله تعالى أن يكون له شركاء.

ي - هذه الآلهة المزعومة لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع.

ك - الله تعالى وليُّ المؤمنين الصالحين.

- وهناك نصائح قيمة ووصايا ذهبية:

أ - اليسر في معاملة الناس.

ب - الأمر بالمعروف والعمل الحسن.

ج - عدم مقابلة المسيء بإساءة.

د - الاستعانة بالله على نزغات الشيطان.

الخاتمة: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

فجاءت الخاتمة تؤكد أن هذا القرآن الكريم بما فيه من حجج بينة، وبراهين نيرة يغني عن غيره من المعجزات، فهو بمنزلة البصائر للقلوب يُبصر الحق، ويُدرِّكُ، وبه يهدي الله المؤمنين، ويرحمهم من زيغ الضلالة وفساد العقيدة.

- وفي سورة هود عليه السلام قصة إغراق قوم نوح مصورة تصويراً رائعاً، تبدأ بصنع السفينة فإذا ما اكتمل صنعها ركب فيها المؤمنون جميعاً، وأهل نوح إلا من كفر، ومن كل من المخلوقات زوجان اثنان، ذكرٌ وأنثى.

وسكبت السماء ماءها، وارتفع الماء يملأ الوديان والهضاب، ثم المرتفعات والجبال فلما غرقت المخلوقات.

أقلعت السماء وغاز الماء، ووقفت السفينة فوق جبل الجودي، . . لم يكن ابن نوح معه، فقد غرق لأنه كفر، لكن عاطفة الأب استنجزت وعد الله أن ابن نوح من أهله، فنبه سبحانه أنه ممن سبق عليه القول، وهو ليس من أهله، وإن كان من صلبه لأنه كافر. . . قصة تأخذ بالألباب وتشده العقول، وتقرر حقائق يتناساها الإنسان، لم يكن الرسول ﷺ يعرفها لكن الله سبحانه وتعالى أخبره بها ليتأسي بصبر نوح وليعلم أن العاقبة للمتقين. ﴿تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

حملت هذه الخاتمة في طياتها:

- ١ - قصة نوح قبل أن تُتلى كانت من الغيب.
- ٢ - أن رسول الله ﷺ نبي يوحى إليه، حاشاه أن يفترى على الله كذباً، فهو الصدوق الأمين.
- ٣ - أن مَنْ صبر ظفر.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٩.

- كما نجد الخاتمة في سورة يوسف تركز على الفقرتين الأولى والثانية،
 فقصه يوسف من الغيب والرسول الكريم ﷺ نبي يوحى إليه ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ
 النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا تَشَاءُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾﴾^(١)، ونلاحظ أن الخاتمة في سورة يوسف كانت آيات متعددة بل
 إنها تستمر إلى الآية /١٠٨/ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ
 عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾.

- وفي سورة إبراهيم نجد في الآيات [٤٢ - ٥١].

١ - الأفكار التالية:

- أ - النهي عن سوء الظن في الله، والأمر في الاستمرار بالإنذار.
- ب - توبيخ المشركين يوم القيامة، وتذكيرهم بما فعلوا في الدنيا.
- ج - مكر الكفار بالرسول والدعاة.
- د - إيفاء الله وعده لرسله بالانتصار لهم.
- هـ - تغير الدنيا يوم القيامة.
- و - ذل الكافرين في النار.
- ز - كل ينال نصيبه يوم القيامة إن خيراً وإن شراً.

٢ - الخاتمة: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ
 أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾^(٢)

إذا تضمنت الخاتمة ملخصاً للأفكار:

أ - فالرسول ﷺ مبلغ.

ب - وهناك إنذار ووعيد.

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

ج - لا إله إلا الله وحده .

د - العاقل من يتعظ .

- وقد تتكرر الخاتمة بعد كل فقرة كما ذكرنا، ومثال ذلك ما جاء في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾^(١) جاءت هاتان الآيتان مكررتين سبع مرّات، بعد كل قصة من قصص الأنبياء الكرام، تركزان على العبرة العظيمة من كل قصة، وعلى تسلية النبي ﷺ، والتسرية عنه، مع الوعيد للكفار المعاندين .

- والشيء نفسه نجده في سورة الصافات بعد كل قصة من قصص الأنبياء الكرام: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾﴾^(٢) جاءت هذه الآيات الكريمة أربع مرّات باللفظ نفسه إلا حين تحدث عن إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ففي هذه الخاتمة نجد التعظيم للأنبياء الكرام، والمدح والثناء والثواب الوافي والدعوة إلى السير على طريقهم في الدعوة إلى الله، والثبات على المبدأ .

- أما قصة قارون فقد كانت خاتمتها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَنْ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمَنْقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾^(٣) .

وقد جاءت قاعدة لمن يريد الجنة ورضى الله سبحانه وتعالى، فيها:

أ - التنبيه إلى طلب الآخرة .

ب - الأمر بالتواضع .

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١) .

(٢) سورة الصافات، الآيات: (٧٩ - ٨١)، (١٠٩ - ١١١)، (١٢٠ - ١٢٢)، (١٣٠ - ١٣٢) .

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٣ .

ج - العبرة بالعواقب .

فقد بغى قارون على قومه حين رزقه الله الأموال الطائلة، فكفر نعمة الله، وأمره قومه بما يلي :

أ - أن يكون متواضعاً لا متكبراً بطراً .

ب - أن يعمل للدار الآخرة فهناك النعيم المقيم .

ج - أن ينال قسطه من الدنيا دون الانغماس فيها .

د - أن يشكر نعمة الله بالإحسان إلى عباده .

هـ - أن لا يطلب بهذا المال التطاول على عباد الله والفساد .

وكان خروجه الفاخر البطر فتنة لضعفاء الإيمان، فلما خسفت الأرض به انتبه أولئك إلى أن نعيم الدنيا زائل .

- وأخيراً نقف في سورة القلم على خاتمة لقصة أصحاب الجنة حيث يقول الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣) (١) .

فصاحب البستان المسلم كان يتصدق كثيراً على الفقراء والمساكين، فلما مات ورثه أولاده الثلاثة وأبوا أن يعطوا الفقراء بخلاً وضناً، فانطلقوا في الليل إلى البستان ليقطفوا ثمره دون أن يشعر بهم المساكين والفقراء، لكن الله عاجلهم فأرسل عليه ناراً من السماء وهم نائمون، فأحرق البستان، أرضه، وثماره، وأشجاره، فلما استيقظوا ذهبوا إليه، فما عرفوه، ثم أحسوا بخطئهم وأنهم نالوا عقوبتهم، لكنه سبحانه ينهنا إلى أن هذه العقوبة وإن كانت كبيرة فهي عقوبة دنيوية، أما عقوبة الآخرة فهي أشد وأنكى، فتاب الأولاد إلى الله وأنابوا وقد وجدنا في الخاتمة تهويلاً في التهديد والوعيد .



(١) سورة القلم، الآية : ٣٣ .

الجمال الموسيقية

الموسيقا في القرآن حركة متناغمة، تتولد عن التناسق في الجمل، والفواصل القرآنية، فتتحرك لها القلوب، وتطرب لها الجوارح، فتؤلف مع المعنى تساوقاً، تهتز له النفوس الواعية فهماً وتآلفاً، والنفوس العادية تآلفاً فقط..

فالسور القصيرة تتجلى فيها الجمال الصغيرة التي تمتاز بما يلي:

- ١ - الوزن الواحد أو المتقارب.
 - ٢ - القافية الواحدة أو المنسجمة^(١).
 - ٣ - الحروف المتقاربة همساً، وجهراً وقلقلة، وصغيراً.. وتكراراً، وليناً.
- فالمثال على الميزة الأولى سورة الأعلى في قوله:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾	﴿١﴾
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾	﴿٢﴾
﴿وَنَبَّهَهُ رَبُّكَ لِلْيُسْرَى﴾	﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾	﴿٣﴾
﴿سَيَذَرُكَ مَنْ يُخَشَى﴾	﴿وَيَنْجَنِبَهَا الْأَسْفَى﴾	﴿٤﴾

-
- (١) كالميم والنون.
 - (٢) سورة الأعلى، الآيات: ١ - ٤.
 - (٣) سورة الأعلى، الآيتان: ٨، ٩.
 - (٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٠، ١١.

وكذلك سورة الغاشية:

﴿٩﴾	رَاضِيَةً	لَسَعِيهَا	﴿٨﴾	يَوْمَئِذٍ	نَاعِمَةٌ
﴿١١﴾	فِيهَا	لَعِينَةٌ	﴿١٠﴾	عَالِيَةً	جَنَّةٍ
﴿١٤﴾	مَوْضُوعَةٌ	وَأَكْوَابُ	﴿١٢﴾	جَارِيَةً	عَيْنٍ
﴿١٦﴾	مَبْنُوتَةٌ	وَزَرَائِفُ	﴿١٣﴾	مَرْفُوعَةٌ	سُرُرٍ
			﴿١٥﴾	مَصْفُوفَةٌ	وَنَارُفُ

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾

﴿١٨﴾	وَالِىَ السَّمَاءِ	كَيْفَ رُفِعَتْ	﴿١٧﴾	إِلَى الْإِبِلِ	كَيْفَ خُلِقَتْ
﴿٢٠﴾	وَالِىَ الْأَرْضِ	كَيْفَ سُطِحَتْ	﴿١٩﴾	وَالِىَ الْجِبَالِ	كَيْفَ نُصِبَتْ
﴿٢٢﴾	لَسْتَ عَلَيْهِمْ	بِمُعِظٍ	﴿٢١﴾	فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ	مَذْكُرٌ
﴿٢٤﴾	فَعَذَابُ اللَّهِ	الْأَكْبَرُ	﴿٢٣﴾	إِلَّا مَنْ تَوَلَّى	وَكَفَرَ
﴿٢٦﴾	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا	حِسَابَهُمْ	﴿٢٥﴾	إِنَّا لَإِنَّمَا	إِيَّاهُمْ

- والمثال على الميزة الثانية، سورة الإخلاص التي تنتهي فاصلاتها بحرف واحد هو الدال، وهو حرف متفجر شديد، فيه قلقلة كبرى.

وسورة الناس، التي تنتهي بحرف السين في كل آياتها وهو حرف همس، فيه صفير متقطع يوحى بالاستمرار لتعده، ويساعد على التنفيس.

وسورة الفلق التي تراوحت فاصلاتها بين القاف والباء والدال، وهي من حروف القلقلة، وفيها انفجار بعد احتباس، جاءت أولاً بحرف القاف، وهو حرف استعلاء يخرج من أعلى الحلق وآخره، ثم حرف الباء من الشفة مع ملء الفم بالهواء ثم تفجيريه، ثم الدال يخرج من بين القواطع الأمامية ومقدمة اللسان، وقد جاءت القاف وهي الأقوى أولاً ثم الباء وهي الأوسط في الانفجار والقوة، ثم الدال... ترتيب بديع...

(١) سورة الغاشية، الآيات: ٨ - ٢٦.

- والمثال على الميزة الثالثة سورة الكوثر فيها الراء المتصفة بالتكرار وكأنها عجلة تدور، وسورة العصر مثلها.

وسورة الفيل المنتهية كل آياتها بحرف اللام وهو حرف لَيْنٌ يسبق حرف لين (مدّ) مما يوحي بكثرة الفيلة، وشدة التضليل، وكثافة الأبايل من الطيور، والحجارة المقذوفة، والأثر الشديد الذي خلفه الرمي في «مأكول».

وسورة الهُمزة تتقارب فيها مخارج حروف الفاصلة. فالزاي والبدال والميم مخارجها إما من الشفة أو قريباً من مقدّمة الفم، وتتراوح بين صفير الزاي، ودمدمة الميم، وقلقلة الدال.

وسورة الماعون فيها حرف الشين المعروف بالتفشي في كلمتي قريش، الشتاء، كما أن فاصلتها تتراوح بين التاء والفاء، وهما حرفا رخاوة وهمس.

فإذا جئنا إلى السور المتوسطة فإنها لا تقل موسيقية عن السور الصغيرة ففيها يشيع القسم، والتناسق في الوزن، وحجم السورة، وأحياناً وحدة الفاصلة كقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ فَالْمُقَسَّمَاتِ آمْرًا ۝٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ وَإِنَّ الْبَلَدَيْنِ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ۝٧﴾ إِنَّكَ لَنفَى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ ۝٩﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكَتَابٍ مُّسْتَوٍ ۝٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ۝٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾^(٢).

ففي هذه الآيات فواصل متشابهة وأوزان متقاربة أو واحدة مما يولد الموسيقا الداخلية في وجدان السامع فينفع مع الكلمات وزناً ومعنى وهذا أسلوب من أساليب التعليم التي بدأ العلماء يتحدثون فيها وقد سبق القرآن إلى ذلك بأكثر من قرون وأباد.

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٩.

(٢) سورة الطور، الآيات: ١ - ١٠.

وسورة الشعراء مثال صارخ على توافق أوزان الجمل، وعلى تقارب الفاصلة، فالسورة على ضخامة عدد آياتها (٢٢٧) آية تجد الفاصلة فيها تتراوح بين النون والميم، وهما حرفا إذلاق وتوسط في الرخاوة. أما السور الكبيرة الطوال: فمثالها سورة الأعراف التي تجد فاصلتها تتراوح بين النون وهو الأكثر والميم.

ولا نغوص كثيراً فيها إلا أننا نقف بك على أواخر سورة البقرة من الآية ٢٨٢ إلى آخر السورة، فإنك تستطيع أن تقف عند كل معنى من آية الدين مثال ذلك:

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

﴿وَلَا سَعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾

﴿وَأَذِّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن يَضَعُوا أَسلِحَتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . . . وهكذا دون أن تشعر بانقطاع المعنى وتلمس موسيقا واضحة تتبع من الداخل.

واقراً الآية الأخيرة من سورة البقرة لتلمح بوضوح الموسيقا الداخلية:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ، إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (١)

﴿وَأَعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا﴾ (٢)

فأنت تلاحظ تقطيعاً عروضياً والعروض موسيقا صدحت - من خلاله - شعراء العرب، فكان الشعر بحق - كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه -

(١) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) مكرر الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

ب - ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا لِحَاقَةُ ﴿يَوْمٍ﴾ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِحَاقَةُ ﴿يَوْمٍ﴾ (٣) ﴿(١)﴾، ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (٤) مَا الْقَارِعَةُ ﴿يَوْمٍ﴾ (٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿يَوْمٍ﴾ (٦) ﴿(٢)﴾ وأمثالهما كثير.

ج - تكرار بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى النَّبِيِّينَ﴾ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴿(٣)﴾.

ولو كنت ذا أذن موسيقية لرأيت في القرآن الكريم من هذا المنوال كمًا هائلًا وموسيقا رائعة، فكن من الذين يتدبرون القرآن بكل أحواله تجد العجب العجيب.

- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١، وفي مدح إبراهيم ١٠٩ - ١١١، وفي مدح موسى وهارون ١٢٠ - ١٢٢، وفي مدح آل ياسين ١٣٠ - ١٣٢ ويمكن العودة إلى ظاهرة التكرار في هذا البحث لتغيش موسيقاه المعبرة.

المصادر المعتمد عليها في هذا الكتاب

- ١ - البلاغة الواضحة قسم البديع: لعلي الجارم ومصطفى أمين، مطابع دار المعارف.
- ٢ - البلاغة العربية في ثوبها الجديد: لبكري شيخ أمين، دار العلم للملايين - الطبعة الرابعة ١٩٩٦.
- ٣ - صفوة التفاسير: للشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت - الطبعة السادسة ١٩٨٥، ألمانيا شتوتجارت.
- ٤ - صور من تأذي الرسول ﷺ في القرآن: لعثمان قدري مكاني، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- ٥ - التربية النبوية: لعثمان قدري مكاني، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- ٦ - المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق - بيروت، توزيع المكتبة الشرقية - الطبعة السابعة والعشرون ١٩٨٤.
- ٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- ٨ - الشعر العربي في الفتوحات العثمانية: لعثمان قدري مكاني، تحت الطبع.
- ٩ - القصص الفني في المثل العربي «عصور القوة الأدبية»: لطلال الدرويش، تحت الطبع.
- ١٠ - الظلال: للشهيد سيد قطب.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	المقدمة
٩	الثقة بالله واللجوء إليه
١٤	التعظيم
٢٠	ذكر الصالحين
٢٥	التذكير بفضل الله تعالى
٣١	الأسوة الحسنة
٣٧	الصحبة الحسنة
٤١	القول الحسن
٤٥	حُسن الأدب
٥٢	الأمان والحرية
٥٧	الصبر
٦٤	العُدل
٦٩	الغفران والصفح
٧٤	الالتزام بالوعد والعهد
٧٩	التحجب
٨٤	بذل المساعدة
٨٩	النصيحة والحضُّ
٩٥	المشورة

٩٩ التلطف والاعتذار
١٠٣ العتاب
١٠٨ عدم التدخل فيما لا يعني
١١٣ الكتمان والسرية
١١٧ المعاملة بالمثل
١٢٥ الترغيب والترهيب
١٣٩ المديح
١٤٤ الذم
١٥١ السخرية
١٥٩ التقرير والتوبيخ
١٧٠ فضح المواقف
١٨٣ التحدي
١٩٢ الاستعلاء
١٩٨ الجزاء
٢٠٧ الحذر والحيطه
٢١٤ أساليب القتال
٢١٨ تطهير الصف
٢٢٤ التمايز والمفاصلة
٢٣٠ الاعتراف بالخطأ
٢٣٤ التعريض والتلميح
٢٣٩ القصد والاعتدال
٢٤٦ أسلوب الحكيم
٢٥١ الحكمة
٢٥٨ التفكير المنطقي (المحاكمة العقلية)
٢٦٦ التسلسل المنطقي
٢٧٤ التجريب
٢٧٩ التخطيط واتخاذ الأسباب

٢٩٢	الإشهاد . . والشهادة
٣٠١	التفعيد
٣٠٧	العظة والعبرة
٣١٥	الدقة في العلم والتصرف
٣١٩	الوضوح في المعاملة
٣٢٦	اغتنام الفرص
٣٣٣	إيصال الأمر إلى أهله
٣٣٧	التزام الوقت
٣٤٢	الاستبعاد
٣٤٩	دحض الافتراء
٣٥٧	الدعاء
٣٦٢	أسلوب القص «القصّة»
٣٧٧	الحوار
٣٨٥	التصوير
٤٠٣	ضرب المثل
٤٠٩	استعمال المثل والحكمة
٤١٤	التعليل
٤٢٤	الأمر والنهي
٤٣٨	السؤال
٤٤٤	التعجب
٤٥١	التنبيه
٤٥٦	الإصرار
٤٦٣	التأكيد
٤٦٩	التكرار
٤٧٨	التفصيل
٤٨٨	الاستقصاء
٤٩٦	الإيجاز بالحذف

٥٠٢	المقارنة والاختيار
٥١١	ذكر الأهم فالأقل أهمية
٥٢٠	التدرج
٥٢٩	حسن الخاتمة
٥٣٩	الجمل الموسيقية
٥٤٥	المصادر المعتمد عليها في هذا الكتاب
٥٤٧	المحتويات